الثورات الثلاث



النميري — عبد الناصر — القذافي

الثورات الثلاث

حسن يوسف الدرويشي

عمر ابو النصر

الثورات الثلاث

عبد الناصر القذافي النميري

في مصر وليبيا والسودان

دراسة سياسية اجتماعية للثورات الثلاث التي هزت ارض العرب ، وما سيكون لها من خطر على الوضع الدولي والعربي وعلى مستقبل الشرق الاوسط في مقبلات الايام .

(تصدر عن مكتب ((عمر ابو النصر)) للتأليف والترجمة والصحافة)
بناية درويش ـ شارع سورية ـ بيروت

١٩٧٠

كلمــة المؤلف

نحــن وهــم !!

سمعتهم يقولون : انه لا بد ان يكون عمر ابو النصر من اصحاب الملايين او ان تكون خلفه دولة تمده بالمال ، ليستطيع اخراج هــذا العــدد من الكتب بمثل هذه السرعة ..

والواقع اني لست من اصحاب الملايين ... وان كنت ارجــو ان اكون من اصحاب المليون الاول اذا سارت الامور على النحو الحاضر ...

وليس ورائي دولة تمدني بالمال ولو كان هناك دولة لوجب علي ان اكون من دعاتها وما دعوت لاحد من العالمين حتى الان ... الا لله رب العالمين !!

واما نجاح هذه الكتب التي اصدرها فيعود الــى تنوعها وجدتهــا ، وطرافة اساليبها وليونتها وهوان ثمنها واقبال القاريء العربي عليها ..

فنحن مثلا لا نأخذ كتابا قديما او ديوان شعر ننقله عاريا حافيا ونقدمه الى القارىء .

اننا ان فعلنا اخرجناه اخراجا جديدا وقدمنا له ، وشرحنا الكثير مــن موضوعاته ، ثم ارخنا لمؤلفه ، وذكرنا خطره ومركزه وتأثير كتابه ..

كذلك فعلنا في كتابنا عــن (ابــو نواس) و (اللزوميات) واثــار الجاحظ ..

وقد طبعت هذه الكتب للمرة الثانية وما سوف يصدر من امثالها فــي

المستقبل سيكون على غرارها ...

واما باقي موضوعاتنا فاننا بالتأكيد نختارها لتفيد وترشد ونؤنس وترطب بعض ساعات من النهار ..

وهي ايدا جديدة لم يطرقها احد ، ولا تعرض لها كاتب على نحو ما فعلنا ..

ولولا ان بعض موظفي المراقبة في بعض البلاد العربية لا يفتحون صدرهم لبعض كتبنا كما يفعل زملاؤهم في البلاد الاخرى ، لملأنا الدنيا بالجديد الطريف اللطيف ..

* * *

واخيرا لا بد من كلمة الى بعض وكلائنا وموزعي مطبوعاتنا الذين يتهاونون في دفع ما عليهم ، ولو فعلوا لزادونا اقداما وحماسا وشكرا ..

واما اولئك الذين يحاولون عصر كل كتاب قبل شراء عدد من نسخه واقناع المؤلف بالقبول باهون الربح تقديرا العلم وتنزيها له عن التجارة ، فامري معهم كما قال الشاعر :

اذا اكلوا لحمي حفظت لحومهم

هذا اذا كان لهم لحم ، او بهم بقية من دم ...

عمر ابو النصر

عمر أبو يوسف الخويثي

١

علينا ان نحسن صناعة المـوت لنعيـش احـرارا اقويـاء

يجب ان نتعلم صناعة الموت اذا اردنا ان نكون احرارا .. وان نظـل احرارا .. لا عبدانا ..

ولقد تعلمنا هذه الصناعة في ماضيات الايام وفجـر الاسلام ، ففالبنا الدنيا ، وجمعنا بين المشرق والمغرب وقوضنا القلاع ، وهدمنـا الحصون ، وازلنا الممالك والامبراطوريات ، ثم بنينا فوق كل هذا دنيـا جديدة ، قوامها العدل والعلم والحرية دنيا عربية خرجت من الجزيرة وامتدت الـى الدنيـا كلهـا ..

ان الامبراطوريات التـي تكونت فـي الهـلال الخصيب وافريقيا كالامبراطورية الاشورية والكلدانية والبابلية والفرعونية حتـى والفينيقية ـ اذا جاز لنا ان نسمي هذه المدن المستقلـة ـ امبراطورية ، انما كونتهـا الامواج السامية التي تدفقت من جزيرة العرب لتضع اسس العدل والتشريع والحق والفضيلة التامة قبل اي جماعة اخرى ..

فحمورابي اول من قال : العين بالعين والسن بالسن، كما هو منقوش على مسلته المحفوظة في متحف اللوفر .. وباقرارنا لهذا المبدأ، نكون قد اخذنا سلاح من يريدون طعن العروبة من دعاة الفينيقية والكلدانيـة والفرعونية ،

اذ كلها ترجع الى مصدر واحد ومنبع واحد ...

كذلك كان يجب ان نكون .. كما كنا في سابقات الايام .. امبراطورية عربية تمتد من مشرق الارض الـى مغربها .. ولكننا تبدلنـا فبدلنا اللـه، والبسنا بعد عز ذلا ..

وبدأ العرب في كل اقطارهم يتحركون ويحسون ويدركون ان لهم مكانا في صدر الوجود يجب ان يصلوا اليه ، ويجلسوا عليه ..

***

ايها العرب

لقد بدأتم ترسمون طريق المستقبل لانفسكم ولاولادكم من بعدكم ..

لقد تحركتم بعد ان كنتم نيامـا .. واخذتـم تعودون لانفسكـم ، وتتلمسون في اعماق قلوبكم عزة الماضي وامجاد الدنيا ..

ان احدا بعد اليوم لن يستطيع وقف مسيرتكم ، وان قوة بعـد اليوم لن تقوى على مقاومة العاصفة المقبلة ..

لقد دخل المارد العربي في التاريخ الحديث ولن يخرج منه بعد اليوم .

وكان دخول هذا المارد في التاريخ حدثا مذهلا بالتأكيد .

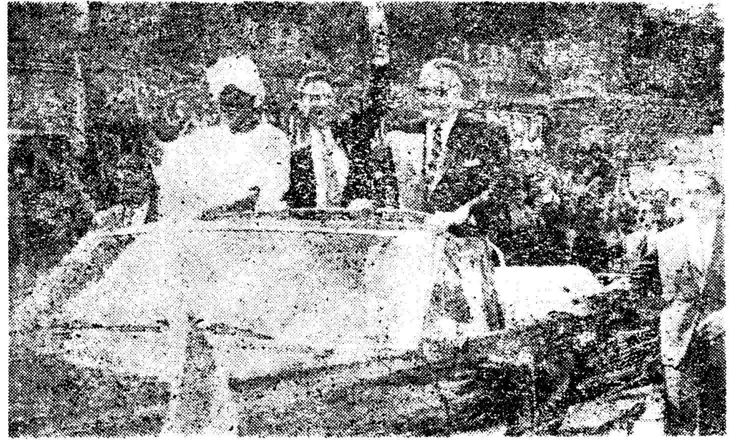
وانه لمارد جبار كما يعلم المستعمرون .

يضرب في ارض الدنيا من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي .

ويملك من الموارد والمواد الاولية ، ومن الخيرات ومنابت الثروة مـا يذهل البشر .

وفي هذه اللحظة التاريخية من وعي هذا المارد ، وشعوره بمسؤولياته وامجاده التاريخية ، ظهر جمال عبد الناصر .

ظهر ليدق ابواب الامة العربية .



الرؤساء الثلاثة في القاهرة

كان في نبراته قوّة لم نعهدها في زعيم قبله .

وفي الحانه اخلاصا لم نحسه منذ زمن طويل .

بدأ عبد الناصر يعزف فينا نشيد النصر .

ويدعونا الى ان نرفع رؤوسنا لنصل الى السماء .

نفث فينا روح التضحية .

وأثار فينا من وقدة الوطنية ، ما لم تعهده الأمة العربية ـ وبمثل هذه القوة ـ في نفسها قبل اليوم .

ان عبد الناصر حدث تاريخي بعيد المدى ، ضخم الاثر ، عظيم التأثير ..

كنا بحاجة الى زعيم .. فظهر الزعيم .

وكنا بحاجة الى منقذ فجاء المنقذ .

وأخذت مصر على الاثر تتطور .

ومضى العرب من مغرب الشمس الى مشرقها يتطورون .. ويندفعون .. و يطالبون بحياة حرّة كريمة .

لم نطلب منحة من أحد .

ولا استجدينا استقلالنا من دولة .

قرّرنا ان ننتزع حقوقنا بالقوّة .

وسنصوغ من الحان شهدائنا قصة نضالنا في سبيل هـذه الحرية وهذا الاستقلال .

***

ووقف الاستعمار ذاهلا قلقا .

لم يكن يتوقع هذا الانقلاب الضخم في مثل هذه السرعة .

ولا كان يتوقع ان تنقلب مصر بين ليلة وضحاها الى دولة قوية ذات سيادة .

ولم يكن يتبادر الى ذهنه ان تصبح بمثل هـذه القوة في سنوات معدودات .

ولم يكن يتصوّر ان يظهر جمال عبد الناصر ، وان يكون بمثل هذا الاخلاص والصلابة والجراة .

واشتدّ ذهوله لما شاهد الشعب العربي يلتفّ حوله .
وينادي باسمه .

ثمانــون مليونـــا :

ثمانون مليونا من العرب .. كانت لهم سواعد تستطيع ان تبطش .. واجسام تستطيع معها ان تتحمل كل صنوف العناد والارهاق في سبيل فكرة ابدعتها احلام الامة العربية ، وجعل منها جمال عبد الناصر ، امرا واقعا وحلما منظورا .

ولكن الاستعمار كان يدفع هذه الشعوب عن طريقها السويّ .

ويصرفها عن مثلها العليا في الحرية والاستقلال والكرامة والعزّة .

فلما ظهر جمال عبد الناصر ، وتوحدت الآمال حوله ، وبدأ المارد العربي يتحرّك ويدوس بأقدامه كل من تحدّثه نفسه بالوقوف في طريقه ...

تحرّك الاستعمار .

وأدرك ان عليه ان يعمل بسرعة .. ليحافظ على مصالحه ، وامتيازاته، وسرقاته في ارض العرب .

وتطلع حوله .. يدرس موقفه .. ليقرّر المكان الـذي يجب ان يسدّد ضربته اليـه .

لم يجد في طريقه غير جمال عبد الناصر .. الرجل الذي ألهب الامـة العربية بثورته وقاد بلاده للجهاد الاعظم .

***

كانت هناك ثورات وانتفاضات في اماكن متفرقة من ارض العرب .

كانت هناك ثورات دامية وبيضاء .

دامية كما في شمالي افريقيا .. وبيضاء كما في مصر والاردن وسوريا وغيرها من بلاد العرب .

وبدأ الاستعمار يحارب هذه الانتفاضات بالحديد والنار .

حاربها في شمالي افريقيا .. حيث افنى زهرة ابنائه .. ومليونا مـن العرب .

وحاربها في اماكن متفرّقة من ارض العرب بالمال تارة وبالوعيد تـارة اخرى .

ولكن الثورات تتابعت وتعددت .. واخذ الاستعمار يحس ان البـلاد العربية قد اصبحت فوق برميل من البارود .

وانها لا تلبث ان تنفجر .

حاول يائسا اقرار مصالحه هنا وهناك فلم يفلح .

فارتد الى مصر يمنع عنها المعونة المالية لبناء السد العالي الذي سيدرّ عليها الخير والرخاء والثراء ، فكان جواب جمال عبد الناصر ان امّم قنـاة السويس ، آخر مركز للاستعمار في مصر .

وتحول الاستعمار نحو سورية مهددا متوعدا مرعـدا ، ولكن سورية

وقفت كالجبل لا يبالي ولا يتزحزح .. وبرهن شعبها الابي على انــه شعب يحب الموت كما يحب اعداؤه الحياة .

ضاق صدر الاستعمار .. وأسقط في يده .. وأدرك ان المعركة بينــه وبين الامة العربية هي معركة حياة او موت .

كان عليه ان يحتفظ بمصالحـــه وامتيازاته وسرقاته فـــي الشركات والبترول والبنوك والمؤسسات الاخرى ، ادو يخسر كل شيء .

فيعود ادراجه الى قواعده خائبا فاشلا وقد فقد ثروات الشرق التـي كان ينعم بها بسبب خنوع حكام الشرق السابقين ، وتهاونهم في الدفاع عن حقوق بلادهم ومصالح امتهم .

وكان عبد الناصر يقف امام هذه القوات العربية التي اتحدت لاول مرة منذ الف عام .

وكان على الاستعمار ان يقضي على عبد الناصر .

وبدأت المكيدة تحاك في الخفاء .. بين الاستعمار والصهيونية العالمية .

وكانت حرب السويس.. التي قلبت الموقف في الدنيا رأسا على عقب، فهوت بريطانيا من عليائها .. وزعزعت الجمهورية الرابعة في فرنسا ، واذا رجال العدوان على مصر ينهارون .. واحدا بعـد الآخر .. ويذهبون فـي الغابرين .. ولكن الاستعمار ، لم يتعظ .. فكانت حـــرب حزيران وكـان الغدر وما تعرفون .

***

اما سبب ما وقع فـي ٥ حزيـران ١٩٦٧ ، فليس العجـز العسكري فحسب ، ولا الغدر وحده ، ولكن هناك الضعف العسكري والغدر ، وعـدم الاخذ بأسباب العلم والمران والتكنيك الجديد ، وانما السبب ايضا ان الشرق العربي مصاب بانقسام اهله ، وتشتت ارائهـــم واختلافهم علـــى الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف .

والرجل الذي يجسر على مقاومة التفرقة ، ويدعو الى نبذ الاختلاف ، ويقول بالمحبة والاصلاح والتفاهم ، ورفع مستوى البائس والفلاح والمعذّب، يكون منبوذا من اصحاب المطامع ، محاربا مـــن الاقطاعيين ، ممقوتا مـــن

الرجال المستثمرين ، لانه رجل يريد قطع ارزاق العشرات ليعيش الملايين .

هذا هو الموقف بصراحة مؤلمة ، ملايين من العرب يكدحون ويعملون ويجوعون ، ليعيش بعض مئات من بني الانسان او ممن يسمون انفسهم من بني الانسان ، فان قام احدنا داعيا الى الاصلاح والانصاف والعدل اتهموه في وطنيته ودينه ، وتفننوا في نشره وتمزيقه ليموت ويهلك ويعيشون .

***

وليس الذنب في هذا كله ذنب هؤلاء العشرات من المستثمرين ، وانما هو ذنب هذه الملايين المستسلمة التي لا تريد ان تدافع عن مصالحها ، ولا تجاهد في سبيل حياتها ومعاشها وحقها في الحياة والخبز والنور .

ولعل اشدّ ما يؤلم العربي المخلص ما يسمعه من تشدق قومه بأجدادهم ومفاخر اسلافهم ، فان كان اجدادنا كما تقولون ، قد بنوا وعملوا ، ونشروا العلم ، واخضعوا الدنيا لسلطانهم ، فأي فخر لكم انتم ، وهل حافظتم على تراث اجدادكم لتفاخروا بهم ، ام هل تأثرتم خطاهم واهتديتم بهديهم ؟.

اي بينة ، وأي برهان على اننا حقا ابناء هذا السلف ، وهل يصح منا ان نتغنى بمفاخر سوانا ، ومآثر غيرنا ؟

اليس من العار ، ان يكون اجدادنا كما كانوا ، منائر للعلم ، ومشاعل للعدل والاعمار ، فاذا ذهبوا لمآبهم ، هدمنا ما انشأوا ، وقوّضنا ما اقاموا واستسلمنا للخمول والذل والجهل ؟.

وهل يعقل لو ورثنا اخلاقهم وحافظنا على تراثهم ، وسرنا على طريقهم وهديهم ، ان تكون كما نحن اليوم ، اذلة في بلادنا ، عبدانا في مجموعة العالم ، تستبد بنا الاهواء ، وتمزقنا الخلافات ؟.

لنترك اجدادنا وشأنهم ، فقد اصبحنا عارا عليهم ، ولننظر في اصلاح ما فسد من امرنا ، ولنتدبر شأننا ، ولننصرف الى العلم والعمل ، ولنتمسك بالاخلاق الكريمة ، ولننبذ الاختلاف والشقاق ، ولنقسم فيما بيننا وبين انفسنا على ان نضحي بأنفسنا في سبيل المثل العليا ، والعمل الخير للجميع .

٢

ليلــة الثــورة
غادر جمال منزله ليلا وفي جيبه جنيــه واحد

اليــوم الحــار

كان الحر شديدا مذيبا في القاهرة صباح الثاني والعشرين مـــن تموز ١٩٥٢ ..

ومع هذا فقد خرج الجميع فيه الى اعمالهم كما كانوا ابـــدا يفعلون .. في كثير من التردد وضيق الصدر ، وفقدان الامل .

لم يكن هناك من يتوقع شيئا او يتوجس شرا .. او ينتظر مفاجأة من المفاجئات ..

كان الجميع يعتقدون ان الامور في القاهرة ومصر سوف تسير علــى النحو الذي سارت عليه في الايام التـــي سلفت ، فاستبـــداد الملك قائم ، وتدخل الانكليز في كل شؤون الحياة المصرية سائر جار .. وتبـــدل الوزراء مرات في السنة الواحدة سوف يظل سنة متبعة ، وعـــدم مبـــالاة الشعب المصري فيما يجري حوله ، سيظل امرا واقعا ملموسا ..

كان هذا كله يجري دون ان يفطن احد الى انه كان هناك جماعة مـــن شباب مصر ، قد حزمت امرها على قلب نظام الحكم ، وطرد الملك ، والقضاء على الاقطاعية والفساد ، والمحسوبية كي تظهر مصر علـــى حقيقتها وحتـــى تأخذ طريقها على رأس الثورة العربية الجديدة التـــي كانت جموع الشباب تحس بها ، وتعمل وتستعد لحمل لوائها ..

لم يكن في مصر هذا العهد غير تنظيم واحـــد يعمـل للثورة ، تنظيم عسكري ، مؤلف من بعض الضباط الذين اطلقوا علـى انفسهم اسم الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر ..





الرؤساء الثلاثة اثناء الصلاة في المسجد

الماضي المظلـم :

اكثر من سيقرأون هذا الفصل لا يعلمون انه في اليوم الذي قرّر فيـه تسعون رجلا برئاسة جمال عبد الناصر ان يهدمـوا نظام الحكم القائم ، كانت الحكومة البريطانية قد اعلنت عن عقـــد جلسة خاصة لمناقشة الموقف فـي مصر .

وسيقولون لانفسهم : هذه مفارقة لطيفة !

ثم يعبرون السطور الى ما وراء ذلك من القصة .

ذلك انهم لم يعيشوا ما قبل الثورة ، ولم يعرفوا ما معنى ان يجيء نبأ ـ أي نبأ ـ من لندن في تلك الايام .

كانت الحياة عادة تتوقف عندما يبـــوح لسان انكليزي بأية كلمة عـن

مصر .

وفي منطقة القناة كان جيش كامل من الانكليز مدجج بالسلاح، مستعد في أية لحظة للزحف على اي متمرد .

وكان بوّاب وزارة الخارجية البريطانيـــة حين يعطس ، ترتعد فرائص رئيس الوزراء في مصر ، وتتوالى من القاهرة البرقيات المرسلة الـــى لندن تقول لجناب البوّاب :

– يرحمكم الله .

وقد جاء يوم صمم فيه الملك علـــى اقالة الوزارة ، وجمع حوله كـل الاحزاب المعادية لها ، واعتبرها مسألة شرف وكرامة لا تراجع فيها .. ولكنه (بلع) كل ذلك في لحظة امام برقية جاءت مـــن لندن تحمل كلمتين فقط : « ممنوع التغيير ! » .

فاذا جاء في وقت كهذا تسعون رجلا لا يبالون بلندن ولا بمـــا ستفعله في مصر ، ثم لا يكترثون لهذا النبأ ، بل ويقررون فـــي نفس اليوم ان يتولوا هم امور مصر .. فان هـــذه الحقيقة تكشف عـــن ان هؤلاء التسعين كانت جرأتهم فوق مستوى البشر ، وانهم كانوا مقدمين على تحدّ يندر في التاريخ من يتصدّى لمثله .

خطـة الثـوار :

كانت خطة الثائرين تلخص اهداف الخطوة الاولى في شيئين : السيطرة على الجيش ، ثم طرد الملك .

والشباب من هذا الجيل لن يعلقوا غالبا على هذه الخطة بأكثر من انها كانت خطة حكيمة .

ولن يخطر ببالهم – لانهم لم يعيشوا ايـــام الملك – مـدى الفدائيـــة المذهلة فيها .

كان الملك في تلك الايام نصف اله .

بل كان اكبر الناس شأنا ، واعلاهم مقاما ، يخشونه اكثـر مما يخشون الله ، ويخاطبونه بنفس الكلمات التي نخاطب بها الله حين نصلي .

اذا كتب له رئيس الوزراء ، بـــدأ كتابه بأن « يشكره على مـــا أنعم ، ويحمده على ما جادت به مراحم جلالته » !

واذا سافر الى أي مكان في اوروبا ليلعب القمـــار ويتسلى بالفانيات ، صار هذا المكان « المكان الذي تهلع اليه القلوب ، وتتوجه الصدور والآمال » .. على حدّ تعبير واحد من كبار الزعماء في ذلك العهد ...

واذا تكلم جلالته ، فكلماته مهما بلغ مـــن سخفها وحمقها تتحول الـــى آيات تنشرها الصحف بالخط المزخرف ، وتسمى رسميا : النطق الكريم !

بل لقد بلغ من هول صاحب الجلالة انه بعد الثورة عليه ، وبعـــد ان خضع لارادة الضباط الاحرار ، وعهد بالحكم الى الرجل الذي عينوه ، ظلت الصحف تطلق على الكلمات التي قالها لرئيس الوزراء الجديـــد نفس الاسم : النطق الملكي الكريم ! فكيف يستطيع انسان ان يتصور جرأة المتمردين علـــى رجل كهذا الا الذين عاصروا سلطانه ، وتنفسوا جو ايامه ، وشهدوا السادة ينحنون على حذائه ، وتدمع اعينهم شكرا لله اذ اتيح لهم ان يقبلـــوا اطراف اصابعه .

النـــذيـــر :

قبل ان يبدأ ثوار تلك الليلة حركتهم ، جاء من يبلغ جمال عبـــد الناصر بأن الملك قد علم بها ، وان كبـــار ضباطه بـــدأوا ينشطون لوقفها وضبط القائمين بها قبل ان تبدأ .. فلم يزد جمال على ان قال : لا تراجع !

ما الذي يمكن ان يفهم من هذا .. قارىء لم يعاصر تلك الايام ؟
سيقول على اكثر تقدير : انها شجاعة !

ولن يخطر بباله ان شيئا آخر غير الشجاعة كان لازما لاتخاذ مثل هذا الموقف .

فعلم الملك بالحركة كان يتيح له الاستعانة مبكـــرا بالانكليز . واسراع كبار الضباط الى المعسكرات كان معناه ــ بمقتضى العلـــم العسكري ــ ان العدو قد كسب المبادرة ، وانتهى الامر .

وما كان يمكن ان يقدم على تحدي هذه الحقائق المفاجئة في الموقف الا

رجل يملك فوق الشجاعة ، سلاحا سريا يؤمن بأنه سيغير الموقف لصالحه . وقد كان هذا السلاح الذي اطمأن اليه جمال هو الشعب .

وكانت ميزته الكبرى على خصومه في تلـك الليلة ، لا شجاعته فقط ، وانما ثقته التي لا حد لها بثقل الشعب في المعركة .

ولو كان جمال يشك مقدار ذرة في قيمة هذا الثقل ويبني حكمه على اعتبارات عسكرية خالصة ، لكانت الحكمة ، بل والشجاعة نفسها ، تلزمـــه بأن يوقف كل محاولة في تلك الليلة ، ولا يلقي بنفسه وقواته الـــى مصيدة الاعـــداء .

تحديـــات خارقـــة :

تحديات لا يتصوّر انها ممكنة الا رجل عاصر ليلـــــة ٢٣ تموز ، وشهد انتصارها .

فهذا الرجل وحده هو الذي يعرف جيـــدا ان تحديات ٢٣ تموز كانت اضخم من تحديات هذه الايام .

في ٢٣ تموز كان تسعون رجلا يتحدون استعمارا قويا ، له جيش على مسافة ساعتين من القاهرة .

وفي هذه الايام يقف ٣٠ مليونا ، تؤيدهم ملايين كثيرة من العرب ، ومن آسيا وافريقيا ، امام استعمار متهالك .. عجوز .. مثخن بالجراح .

في ٢٣ تموز كان الثوار يواجهون الها ، او على الاقل نصف اله ، اسمه فاروق .

وفي هذه الايام يقف الثوار ، وقد تضاعف عددهم آلاف المرات ، امام قوى زالت قدسيتها ، وذابت الهالات الخادعة مـــن فوق رؤوسها ، وهتكت عنها الشعوب ـ وتجارب الثوار ـ استار الجلال .

في ٢٣ تموز كان قائد الثورة يتسلح بالشعب كقـــوة معنوية ، عبثت الاحزاب بوعيها ، وبدّدت قواها ، وليس لها تنظيم يتيح لها البطش بأعدائها .

وفي هذه الايام تتسلح الثورة بالشعب كقوة ماديـــة رفعت التجارب وعيها . وتملك تنظيما تتبلور قواه يوما بعد يوم .

في ذلك الصباح – ٢٢ تموز – كانت المسافة بين ما يجري في الاسكندرية وما يجري في القاهرة نفاس بعدة قرون !

ففي الاسكندرية كان الملك الذي يحكم مصر يستعد لحفلة سباحة في قصر المنتزه .. حيث أجمل حدائق الشرق الاوسط .

ومنذ الصباح كانت زوجته (الملكة ناريمان) تجري بروفة لثوب السهرة الجديد الذي ستشهد به الحفلة . وبين وقت وآخر تنصرف الى مداعبة طفلها (احمد فؤاد) الذي لم يبلغ الشهر السادس من عمره بعد ، والذي كان مفروضا ان يجلس على عرش مصر في المستقبل !

وفي ظهر هذا اليوم ، كانت مائدة السفير الاميركي تجمع على الغداء معظم كبراء الدولة ، حيث دار الحديث طويلا حول مقترحات اميركية جديدة تتعلق بحلف عسكري مع مصر .

وفي السفارة الانكليزية كان خبر اليوم هو قرار الحكومة البريطانية بعقد جلسة خاصة لبحث الموقف في مصر . وهو قرار كانت ترتعد له فرائص السياسيين المصريين جميعا .. لانه من لندن – لا من القاهرة – كان المصير دائما يتحدد .

اقوال الضيوف :

وكان في الاسكندرية في ذلك اليوم ضيوف من الخارج ، يرون ما لا يراه الحاكمون النائمون .

أحدهم – وهو شخصية سودانية – نشرت له الصحف حديثا ادلى به يوم ٢٢ تموز ، وقال فيه :

« ماذا جرى لكم في مصر ؟ ما هذا الذي تصنعونه ببلدكم ؟ اننا نكاد نجن مما يحدث عندكم . ففي ظروف تحضيرنا لمباحثات المهدي معكم حدثت عندكم عدة تغييرات مفاجئة كان من نتيجتها :

– ان الذي قام بالمباحثات التمهيدية رئيس وزراء .

– والذي قام بترتيب زيارة المهدي رئيس وزراء ثان .

– والذي سيستقبل المهدي رئيس وزراء ثالث .

وأنا اعلم انه ليس من حقي ان افرض نفسي علـى شؤونكم الخاصة ، ولكني أسألكم كأخ وصديق :

ـماذا جرى لكم ؟

أما الزائر الثاني ، فكان صحفيا المانيا ، تحدث الـى بعض اصدقائه حديثا نشرته الصحف أيضا . يقول فيه :

« انني انظر الى ما يجري فأجده مخيفا مروعا .. وانظر الـى الناس فأجد الهدوء بينهم شاملا .. واقول لا بد انني المجنون وحدي وكلهم عقـلاء .. بحق السماء انني لا افهم شيئا مما يجري هنا .. في أي بلد اجنبي غير مصر يستطيع الصحفي في سهولة ويسر ان يتابع الموقف ويربط بين حلقاته .. فان الاحداث تصنعها دائما تيارات سياسية ظاهـرة تستطيع ان تعرف تبعا لها من أين تنبع .. وأين تصب . والرجال الذين يصنعون الاحداث في اتجاه هذه التيارات رجال يمثلون سياسة واضحة قد تختلف فيما بينها وقد تتضارب وتتشابك .. ولكنك تستطيع ان تراقبها وتحكم على نتائجها .. اما في مصر ، فقد رأيت كل شيء يختلف تماما .. وتيارات الحوادث تسير في مجار خفية لا يراها احد .. تنبع مـن الظلمات وتصب فـي الظلمات .. والرجال الذين يصنعون الحوادث لا تكاد تعرفهم او تحددهم ولا تكاد تعرف لهم سياسة او منطقا » .

الرجـال التسعـون :

كان تنظيم الضباط الاحرار الذي يقوده جمال عبد الناصر يضم حوالي ٣٠٠ ضابط ، ولكن جمالا لم يكن يرى من الحكمة اشراكهم كلهم في السر ولا ينبغي ان يطلع عليه الا الذين يثق بهم ثقة مطلقة ويقدرون على الاحتفاظ به ، وليس فيهم نقاط ضعف او تردد ، كما لا يشربون الخمرة ، ومن ٣٠٠ ضابط اختار ٩٠ وبدأ ثورته بهم .

وفي ذلك اليوم نام اكثر مما اعتاد ان ينام . حتى لقد تساءلت ابنتـاه منى وهدى عما اذا كان مريضا . أما ولداه خالـد وعبـد الحكيم فقد كانـا أصغر من ان يلاحظا شيئا .

كان الحر في ذلك اليوم فظيعا في القاهرة . ولكنه لم يكن السبب في نومه الطويل .

انما كان السبب انه في تلك الليلة كان سيقدم على عمل خطير . ويريد ان يسترد صفاء ذهنه بعد ايام مرهقة قضاها يستعد لهذا العمل .

وعندما احس انه نال ما يحتاج اليه من الراحة ، نهض بهدوء ، وغادر بيته الى بيت خالد محيي الدين .. حيث كان ينتظره زملاؤه في قيادة الشكيل السري « للضباط الاحرار » .

وفي الوقت الذي كان فيه وزراء الهلالي يحلفون اليمين في الاسكندرية امام فاروق ، ويتهيأون – كما قال لهم – لانجاز المهام الملقاة على عاتقهم ، ومنها « تطهير الجيش » .. في نفس هذا الوقت كان جمال في القاهرة يقول لزملائه في بيت خالد محيي الدين :

– الليلة تتم العملية .

وكانت العملية التي يعنيها هي :

– السيطرة على الجيش . – طرد فاروق من مصر كلها .

أما خطتها فكانت مكتوبة في ست صفحات فولسكاب . كتبها عبد الحكيم عامر ، وأضاف اليها زكريا محيي الدين بعض الاضافات ، ثم وضع تصحيحاتها النهائية جمال عبد الناصر .

وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على كلمة السر : نصر .

وتم الاتفاق ايضا على ساعة الصفر : الواحدة بعد منتصف الليل .

* * *

ولقد غادر جمال منزله ليقوم بثورته وفي جيبه جنيه واحد ، وقد اوصى شقيقه بأولاده قبل ان يغادر بيته واخبره ان كل ما يملكونه هو مائتي جنيه يصرفها على العائلة فيما اذا حدث له مكروه .. او لم تنجح الثورة .

ثم مضى يدور على منازل الضباط التسعين ينذرهم ويعين لكل واحد منهم مكانه في العملية .

واخيرا ذهب لزيارة ثروة عكاشة في بيته وقد وصفه (ثروة) تلك الليلة فقال : « قبل ان يدخل علينا جمال كنا قد درسنا الجزء الخاص بسلاحنا من الخطة .

« الخطوات التنفيذية على وريقات صغيرة عددها عشر .. مقسمة الى

سبعة اقسام .. كل قسم منها عبارة عن عملية من العمليات .. مضافا الى هذا اربعة اوراق متشابكة .

كانت العمليات السبع الواردة تحت عنوان « تعليمات عمليات حربية رقم ... » تحمل الواجبات التالية :

دار الاذاعة .. ك ميكا (أي الكتيبة الميكانيكية) .. التليفونات .. الاعتقالات .. بوابة العباسية .. سلاح الحدود .. مطار مصر الجديد .

وكل قسم من هذه الاقسام .. يحوي اسم القائد .. والقوات الموجودة تحت قيادته .. والشؤون الادارية من طعام وذخيرة ووقود .. وطريقة الاتصال اللاسلكي .

أما الوريقات الاربع فكانت تضم الخطة الاحتياطية لتنظيم باقي القوات غير المشتركة في العمليات السبع .. حتى تكون جاهزة ومستعدة لتلبية اي طلب .

وفرغنا في التاسعة مساء من اعداد كل شيء .. وتقدمت زوجتي بعشاء خفيف .. التهمه حسين الشافعي وخالد محيي الدين وعثمان فوزي بشراهة اذهلتني . ان لهؤلاء الثلاثة اعصابا من حديد .. اما انا فلم أتناول شيئا من الطعام رغم شدة جوعي . فقد فقدت شهيتي .. الا من الماء الذي تجرّعت منه ليلتها اكبر كمية شربتها في حياتي .

جاء ليطمئن :

وفي الساعة التاسعة والنصف دخل علينا شاب طويل القامة .. يرتدي قميصا ابيض وبنطلونا .. يبدو على ملامحه التعب الشديد والانهاك المتواصل .. لكنه تبسم حين رآنا جميعا .

كان ذلك الشاب هو جمال عبد الناصر .. فأخذ نصيبا من الطعام وقال :

ـ جئن لاطمئن .. والحق اني مطمئن اذ وجدتكم .

بعد فترة ، غادرنا الرئيس فذهبت اودعه ، فالتفت اليّ عند نهاية الدرج قائلا بالانكليزية :

ـ ثروت .. لا تجعل للعواطف تأثيرا عليك .

كان يشفق عليّ من عاطفتي !

وهذا ما جاء يطمئن عليه ! واستطرد الرئيس قائلا :

ـ لا تتخيل نفسك ذاهبا الـى السينما .. فمن الجائز الا نتمكن مـن تنفيذ بعض بنود الخطة العامة ، ومـــن الجائز ان نصادف بعض العراقيل ، تصرف ، تصرف .

أكدت للرئيس بطبيعة الحال اني مدرك تماما انـــي لست ذاهبا الـى السينما .. واشفقت عليه بدوري من شدة التعب الذي كان يكابده والانهاك البادي عليه.. وقلت لنفسي : لماذا لا نخفف عنه بعض هذه الانواء والمسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقه فقلت له : ان سلاح السواري مستعد ونحن واثقون من انفسنا .

ولعل الرئيس اراد ان يخفف بدوره ما بي فقال :

ـ وانا ايضا مطمئن ٩٩ بالمئة من النجاح .

وتركني ، ولم أره الا في فجر يوم ٢٣ تموز .

وكنت في ذلك الصباح قد احسست ان واجبي اطـلاع زوجتي علـى الموقف خاصة وانها احست في الايام الاخيرة ان تصرفاتي غير عادية . ولـم اجد صعوبة في اقناعها . فدعت لنا بالتوفيق .

والآن جاء الموعد . فودّعتها ، وقبلت طفليّ وهما نائمان .. ولم انس المصحف الصغير الذي وضعته بحرص في جيبي .

بدأنـــا مبكرين :

ركبت مع حسين الشافعي في سيارته.. وركب خالد سيارته متوجها الى وحدته للخروج بها في الموعد المحدد . دخلنا الى المعسكر من باب خلفي مهجور . حالما وصلنا اطفئت الانوار فجأة .. بالطبع .. كان اول خاطر مـرّ بأذهاننا انه متعمد .. وان خطتنا معروفة وان اطفاء الانوار وسيلة لمنعنا من اخراج الدبابات والمدرعات وزيادة تعطيلنا .

لكننا لم نضيع دقيقة واحدة في التفكير .. او ننتظر حتم حلول موعد التنفيذ . بل بدأنا مبكرين . وفي ضوء البطاريات والشموع اخرجت مـــن شنطة الجراحة التي كنت اعلقها على كتفي القصاصات الصغيرة .. ومضيت

اصدر الاوامر الى الضباط .. بينما كان حسين الشافعي في الخارج يفتح مخزن السلاح ويشرف على الاعداد .

مضى كل شيء في سهولة رغم الانوار المطفأة . لكن بعد برهة فاجأني ضابط شاب فارغ القوام يحمل رتبة الملازم ثان محتجا : لماذا لم تكلفني بعمل يا حضرة الصاغ ؟

والحق اني فوجئت وتأثرت وفرحت وتشجعت وآمنت بالنجاح .. ونظرت الى ممدوح اسماعيل وقلت له : طوّل بالك .. ولم تنقضي نصف ساعة حتى أوكلت اليه مهمة على جانب كبير من الخطورة .

ما لم نكن نتوقعه :

بعد ان انتهيت من اصدار الاوامر النهائية ، تقابلت مع حسين الشافعي . وبينما نحن وقوف الى جوار المدرعات ، اذ بأحد الضباط يأتي ليخبرنا بوجود رئيس اركان حرب الجيش وقائد قسم القاهرة داخل المعسكر . فقلت له على الفور :

ــ ولماذا لم تقبض عليهما في الحال ؟

وقد فهمت بعد ذلك ان هذا الضابط لم يكن مسلحا فطلبت منه ان يتوجه الى وحدته ويعمل على اعتقالهما .

بعد دقيقة واحدة .. جاءنا نبأ وجود قائد اللواء المدرع بالمعسكر .. وكان النبأ مزعجا حقا .. فوجود القائد بين جنوده له أثره ، لذا لم نفكر كثيرا وتوجهنا اليه لاعتقاله .

ومن حسن الحظ ان دور خدمة الطوارىء بين وحدات القاهرة في تلك الليلة كان يقع على عاتق سلاح الفرسان .. كانت اورطة من الدبابات ومائة عسكري من مشاة الآلاي المدرع معينين في هذه الخدمة . ولاول مرة في تاريخ الطوارىء كانت الاورطة جاهزة بالفعل ومستعدة للقتال .

لقد كان الضباط المسؤولون من الاحرار ، فجمعوا هذه الوحدة في تلك الليلة قائلين لهم :

« احنا طالعين طوارىء ولكنها طوارىء من نوع جديد .. طوارىء زمان كانت لاجل حماية الملك من الشعب .. لكن طوارىء الليلة هي لحماية



عبد الناصر اثناء المناورات العسكرية ومعه الرئيس القذافي

الشعب من الملك » .

وبدأت الثورة ونجحت .

صدمـــة :

من يدري ؟ لعل عاطفة (ثروت) كانت ستتغلب عليه في تلك الليلة لـو لم يزره جمال ، ويحذّره .

كان جمال قائدا نموذجيا من حيث معرفته برجالـه ، بميزاتهم ونقاط ضعفهم ، وبكل التفاصيل التي تتعلق بمهامهم .

ومن بين هذه التفاصيل كان جمال مهتما بكمية مـن الاسلحة الصغيرة لدى احد الضباط . فخرج من بيت (ثروت) متجها الى بيت هـذا الضابط

بسيارته الصغيرة .

وهنا كانت الصدمة الثانية في تلك الليلة .

لم يكن الضابط في البيت .

وبعدها بلحظات كانت صدمة ثالثة .

فبينما هو في الطريق فوجىء بأحد كرنستبلات المرور يستوقف سيارته :

ــ الا تعرف القانون ؟

قال جمال : ماذا حدث ؟

فقال الرجل بفظاظة : ليس لديك نور في مؤخرة السيارة !

وذهبا معا الى مؤخرة السيارة . فلم يكن هناك نور بالفعل .

وقال رجل المرور مستحثا ذكاءه :

ــ هل كنت تفر من شيء ؟ هل ارتكبت جريمة وتريد ان تهرب ؟

كان أسوأ ما يمكن ان يحدث عندئذ .. هو ان يلقى القبض على عبد الناصر من اجل امر تافه كهذا . فمضى يحاول ان يشرح للرجل ، وهو مدرك ان الوقت من ذهب ، وكل دقيقة لها ثمن . ولكن حرص على الا ينظر في ساعته حتى لا يثير ريبة الرجل .

ونجح ثبات عبد الناصر ولباقته ، في اقناع رجل المرور بتركه وشأنه بعد شيء من التأنيب ، وانصرف مبتعدا بالموتوسيكل وهو لا يعلم انه ــ لعدة دقائق ــ كان يملك بين يديه مصير ثورة !

واخيرا عاد عبد الناصر الى بيته ، وبدأ يرتدي ثيابه العسكرية .
كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل ، وكان مرهقا الى اقصى حد ، ولكنه خشي ان يستلقي على فراشه ولو لدقائق .

وفجأة .

بدأ يتصاعد دق عنيف على الباب . ودخل اليوزباشي سعد توفيق .
كان من الضباط الاحرار . ولكنه لم يكن من التسعين الذين يعرفون السر .
ومع ذلك ، فقد فوجىء به عبدالناصر يسأل بلهفة :

ـ ماذا يحدث الليلة ؟

« هناك شيء يحدث الليلة . أليس كذلك ؟ »

ولم يجب عبدالناصر ايضا . فعاد الرجل يقول :

ـ اذا لم يكن هناك شيء فلمــاذا ترتدي الثياب الرسمية ؟

وهنا قاطعه عبدالناصر غاضبا : انت جيت تستجوبني ؟

اوقفوا كل شيء :

فهتف اليوزباشـــي :

ـ لا يا فندم . انا جيت اقول لك لازم توقف كل حاجة !

ـ اوقف ايــه ؟

ـ اللي بيحصل دي الوقت لانهم عرفوا . .

ـ مين اللي عرفوا ؟

ـ فاروق . قالوا له ان هناك انقلابا يتم تدبيره الليلة وهو الان علــى اتصال برئيس هيئة اركــان الحرب .

ـ ايه كمان ؟ بسرعة ! قل لــي !

كانت هذه هي الصدمة الرابعة هذاالمساء.

وكان اليوزباشي سعد توفيق يعمل في المخابرات ولهذا اتيح لــه ان يعرف ان رئيس اركان الجيش قد امر كل قادة الفرق والالوية بان يتوجهوا فورا الى مقر القيادة العامة في كوبري القبة .

ولكن كيف عرف الملك ؟

ظهرت الحقيقة في اليوم التالي . واكدت ان جمال كان على حق فــي حصر اختياره للضباط في اضيق نطاق ممكــن .

فالثغرة حدثت بسبب واحد من الضباط الاحرار ذهب الى منزلـــه ليرتدي الرسمي ، فأثار ريبة امه . ولجأت امه الى شقيقه الاكبر ، وكـــان ضابطا في الطيران ولكنه لم يكن من الضباط الاحرار . ولم يستطع الشقيق الاصغر ان يصمد طويلا امام ضغط شقيقه . فعدل عن الاشتراك في العملية ،

واعترف لشقيقه بالحقيقة كاملة . واسرع شقيقه على الفور يتصل بالقصر الملكي في الاسكندرية ، ويطلعه على السر .

رجل واحد اخطأ عبدالناصر الحكم عليه ، من بين تسعين رجلا ، كان هو السبب اذن .

والان وقد عرف القصر . وبدأ كبار ضباط الملك يتحركون . . ما العمل؟
قال اليوزباشي الذي جاء بالانباء لجمال عبدالناصر :

ـ ارجو يا فندم . اذا كنت تخطط الليلة لشيء فأجله .
ولكن عبدالناصر اجاب :

ـ مستحيل . العجلة بدأت تدور فعلا . وعلينا ان ندور معها .إتفضل ارجع لشغلك .

ونظر الضابط لحظة الى وجه قائده .ثم هز رأسه وقال :
ـ لا يا فندم . اعتقد انني لا يجب ان اعود الى عملي . واجبي الان هو ان اشترك في العملية . ألست من الضباط الاحرار ؟

سآخذ جنيها واحدا :

وخرج الضابط بتعليمات من جمال عبدالناصر تقضي بان يرتدي ثيابه العسكرية ، ويحضر مسدسه ، ثم ينتظر على ناصية الشارع الذي يقيم فيه الى ان يذهب اليه عبدالناصر ويلتقطه بسيارته الاوستن السوداء .

ونظر عبدالناصر حوله بعد ان خرج الضابط .

ان زوجته واولاده نائمون جميعا . ولا احد منهم يعرف ما يجري .

ولكن في البيت شقيقاه : الليثي وشوقي .

وكلاهما مستيقظ .

وناداهما عبد الناصر ، ثم التفت اليهما قائلا :

ـ انا عندي هنا ٢٠٠ جنيه ، حاخذ جنيه واحد لنفسي، واسلمكم الباقي . اذا حصل لي حاجة الليلة سلموا المبلغ لاختكم (زوجته) .بالفلوس دي وبدخلها الخاص حاتكون بخير . لكن خدوا بالكم منها ، ومن الاطفال .

وسكت لحظة ، ثم اضاف ببطء :

ـ ده .. اذا حصل لي اي حاجة !

ثم اسرع الى سيارته دون كلمة اخرى .

الصدفة المعجزة :

كان لا بد الان من تعديل في الخطة ، بعد ان عرف ضباط الملك وبدأوا يتحركون .

واتجه عبدالناصر رأسا الى بيت عبدالحكيم عامر . وقال له :

ـ قد يكون هذا الذي حصل في صالحنا . لان اجتماع ضباط القيادة الان قد يسهل علينا القبض عليهم دفعة واحدة .

ولكن كيف ؟

ان ساعة الصفر لم تحن بعد . وقوات الاحرار لن تتحرك قبل ساعة وربع . فهل سيظل ضباط الملك مجتمعين طوال هذه المدة الى ان تتقدم قوات الاحرار وتعتقلهم ؟

ولم يكن امام عبدالناصر وعبدالحكيم عامر الا ان ينزلا لدراسة الموقف على الطبيعة .

وقال عبدالحكيم عامر :

ـ نتجه الى الثكنات ونحاول احضار بعض الجنود معنا لاحتلال القيادة.
وخرج كلاهما بالسيارة السوداء ، متجهين الى الثكنات .

ثم فجأة ، تذكر عبدالناصر موعده مع اليوزباشي سعد توفيق ، الذي امره ان ينتظر الى ان يمر لالتقاطه . ولكي يحافظ على هذا الموعد . اضطر جمال ان ينعطف بسيارته في غير الطريق الذي كان متجها اليه .

وقبل ان يعرف بالضبط ماذا حدث ، فوجىء بزحام من مصابيح السيارات يعترض طريقه ، ويستوقفه .

وهمس عبدالناصر لعامر : ان اعداءنا يعملون بسرعة !

ـ الا يمكن ان يكونوا من قواتنا ؟

ـ ساعة الصفر بالنسبة لقواتنا لم تحن بعد .

ـ ربما يكون الطموح قد دفعهم للتحرك قبل الموعد !

وضغط جمال على فرامل سيارته ، ووقف ينتظر .

كانت السيارات التي امامه تشكل قافلة عسكرية .

وهبط من احداها ملازم شاب ، وعدد من الجنود حاصروا سيارة جمال ببنادق التومي .

وتقدم الملازم يفحص شخصية راكبي السيارة .

نظر الى عبد الحكيم عامر ...

ثم صوب مسدسه الى جمال قائلا :

ـ انت بكباشي . ممنوع تتحرك من هنا .

ووثب قلب جمال !

ـ ان هذه هي اوامره بالضبط . فقد كان يعلم ان اخطر خصوم الثورة هم كبار الضباط ، وكانت اوامره لقوات الثورة ان تحاصر منطقة المعركة ، ولا تسمح بالمرور فيها لاي ضابط من رتبة البكباشي فما فوق .

واذن ، فهذه القوات لا بد ان تكون من قوات الثورة .

ولكن كيف ؟

ما الذي حركها قبل الموعد ؟

وحاول جمال ان يستوثق من صدق استنتاجه ، فقال للضابط :

ـ انا بالصدفة اعرف القائد بتاعك .

واذا بالملازم يجيب :

ـ انت ما تعرفش اي حاجة ! انت ما تعرفش اي ليلة انت عايشها دلوقت !

وابتسم جمال !

الان اصبح واثقا هذه قوات الثورة .

وبهذه القوات يمكنه الان ان يحتل القيادة ، ويضبط القادة مجتمعين .

ولكن الوقت يمضي . وكل دقيقة لها ثمن . والملازم لن يقتنع ابدا بان هذا الرجل الذي يقبض عليه هو قائد الثورة .

ومرت لحظات تزهق الانفـاس .

الى ان ظهرت فجأة سيارة جيب ، توقفت عند سيارة جمال .

واخلى الملازم الطريق لرجل هبط من سيارة الجيب يصيح :

ـ جمال ! بتعمل ايه هنا ؟

وعرف جمال الصوت على الفـور .

صوت يوسف منصور صديق . قائد كتيبة المدافع الرشاشة ، وقائد هذا الطابور الذي يعترض طريق الثورة . والذي اصبح عليه الان ان يتجه فورا الى مبنى القيادة ليقبض على الضباط مجتمعين .. وتبدا الثورة .

كيف حدثت هذه الصدفة المعجـزة ؟

ساعـة الصفر لم تحن بعد . والطابور مع ذلك موجـود في الشارع ! وموجود في غير المكان المحدد له في الخطة ! ولولا ان جمال كان قـد غير طريقه لالتقاط ضابط المخابرات لما التقى به !

معجزة ؟ نعم .. معجزة ..

بعد احتلال القيادة :

تم احتلال القيادة في عشر دقائق .

وبعدها كانت ساعة الصفر قد حانت . وبدات قوات الاحرار في كل الاسلحة تؤدي دورهـا .

في نفس الوقت الذي كانت قوات الثورة فيه تتجـه الى اهدافها المرسومة في الخطة .. كان جمال عبدالناصر يجلس في مكتب القيادة يتلقى الانبـاء ويصـدر التعليمـات .

الان بدأ عبء القيـادة .

وجلس جمال يتلقى بنفسه المكالمات ، ويجيب عليها .

ولكنه كان حذرا .. اذا سئل :« من الذي يتكلم ؟» اجاب :

ـ هنا القيادة العامة .

لم يفارقه حذره الا مرة واحـدة ـ وكان التعب قد نال منه ـ

فاجاب دون تفكيــر :

ــ انا جمال عبدالناصر .

فسكت المتحدث لحظة ، ثم سأل :

ــ بتعمل ايــه عندك ؟

قال جمال : مين اللي بيتكلم ؟

ــ انا مساعد اركان حرب .

كان المتكلم احد مدرّسي جمال في الكليــة .

وقال جمال في هدوء :

ــ يا سيادة اللواء .. احسن شيء في الدنيا تقدر تعمله دي الوقت هو انك ما تسألش اكثر من كده وانما تروح تنام فورا .

فأغلق الرجل الخط على الطرف الاخر بعنف شديد .

واستمر جمال رغم ارهاقه يواصل العمل .

ان المهمة الاساسية الان هي :

ــ تامين الثورة من التدخل الخارجي .

ــ اذاعة اول بيان لها على الشعب .

واستدعى جمال زميله الشاب علي صبري ، وكان مديرا لمخابــرات الطيــران ، وسألـــه :

ــ تعرف حد في السفارة الاميركية .

قال علي صبري : اعرف مساعد الملحق العسكري (دافيد ايفانز).

ــ كويس . توجه اليه حالا .. صحيه من النوم ..وقل له .. احنا قمنا بحركة سلمية . وليست موجهة الى الاجانب .. واطلب منه ان يخبر السفير وهو بدوره يخبر السفير الانكليزي .

وبعد قليل عاد علي صبري ليقول انه وجد (ايفانز) مستيقظا وانالاخبار نقلت فورا الى واشنطن ، والى السفير الانكليزي الذي فوجىء بها تماما .

وفي نفس الوقت كان رجال الاستكشاف الذين ارسلوا على طريـــق السويس تتوالى تقاريرهم على جمال :

ــ لا علامة على ايــة تحركات عسكرية بريطانية من منطقة السويس نحــو القاهـــرة .

٣

الايـــام الاولى في حياة الثوار العرب
مظاهرات جمال .. وحرب فلسطين

لحظــات حاسمــة

شاهد جمال وزملاؤه الثوار النميري قائد الثورة السودانية والقذافي قائد الثورة الليبيـــة النور في لحظات حاسمة من تاريخ العالم ، وتاريـــخ الشعب العربي .. ذلك ان هذا النصف الاول من القرن العشرين الذي نعيش فيه كان اخصب مرحلـــة بالمآسي الكبيرة في تاريخ الانسانية ، ففي مطلعه انتصرت اليابان على روسيـــا وكان هذا اول انتصار يسجله شعب اسيوي على شعب اوروبي منذ سقوط القسطنطينية ..

وكان هناك حدث اخر في هذه الفترة الحاسمة فقد نشبت الحـــرب العالميـــة الاولى وقامت الثورة الروسية التي بدلت وجه التاريخ ..

وقسمت العالم الى فريقين واثارت الدنيا ولم تقعدهـــا حتى الان .

اما الحدث الثالث الذي يضارع في الاهمية والخطـورة الحدثيـــن السابقين ، فهو تحرك القومية العربية بعد جمودها وظهور طلائع الـــروح التحررية في الشعوب الاسيوية والافريقية ..

تقسيم الاســلاب :

وانتهت الحرب العالمية الاولى ، وغلبت المانيا علـــى امرها ، وجلس الحلفاء في مؤتمر فرساي ، يقتسمون الغنائم ، فاستقر الانكليز في فلسطين والعراق ، ثم اقامـــوا في الاردن امارة صغيرة كانت نواة المملكة الاردنيـــة الهاشميـــة الحاضرة .

واستقر الفرنسيون في سورية ولبنان ، وظل الانكليز يتربعون في مصر ، بعد ان وعدوا شعبها اكثر من مرة ،بل عشرات المرات بالحرية والاستقلال والجلاء ..

واما شمالي افريقية فكانت مقسمة بين الانكليز والفرنسيين .. الانكليز في مصر والسودان ، والفرنسيون في تونس والجزائر ومراكش ، والاسبان في قطعة اخرى من مراكش .. وكذلك لم تكن هناك في العالم العربي دولة مستقلة استقلالا حقيقيا ثابت الاركان موطد المعالم ، تستطيع معه مساعدة شقيقاتها العربيات الاخرى .

والواقع ان العرب في هذه الفترة من تاريخهم ، اي في السنوات التي تلت معاهدة فرساي ، لم يكونوا يبحثون عن المعارك ، ولا كانوا يريدون الاعتداء على احد من الناس .

كانوا يريدون الحياة الحرة ، والاستقلال التام ، فلما جعلهم الحلفاء من المغانم ، وقسموا بلادهم فيما بينهم ، وابو الاعتراف بحقوقهم وحرياتهم، كان لا بد لهم من خوض هذه المعارك ، سواء أكانوا يطيقونها ، ام كانوا ضعافا لا يستطيعون الوقوف امام دولة واحدة من دول العالم الكبرى .

راحوا يثورون في مصر ، وفي الشام ، وفي العراق ، وفي فلسطين، وفي كل ارض عربية اخرى .. وسالت دماء ، وذهبت ضحايا ، وامعن الحلفاء والاستعمار في العرب كيدا وقتلا ونهبا وسلبا وسجنا ، ولكن العرب لم يبالوا ، كانوا يفضلون الموت على حياة الاستعباد والخنوع .

نحن قوم نريد ان نعيش بسلام في بلادنا ، نريد ان نعمر ارضنا ، ونصلح الفاسد في مجتمعنا ، ونضع حدا للاستغلال والسلب والاقطاع .. لا نحلم بارض غير ارضنا ،ولا نريد ان ننتزع من احد شبرا من ارضه، فان ما عندنا من ارض يكفينا الى اخر ما يكون من ذريتنا.

ولكن الاستعمار لم يكن يريد لنا الحياة الحرة،ولا يريد لاكثريتنا الساحقة من الفقراء والمعذبين في الارض ان تنال حقها من الاقطاعيين ولصوص السياسة.. وقف في سبيلنا ، وتعاون مع كل خائن منا لبلاده ووطنه .. كان يريدنا ان نظل حفايا عرايا فقراء جهلاء ، حتى يظل مسيطرا علينا ، مستغلا كنوزنا وخيراتنا ، فارضا علينا الرؤساء والخونة ، والسياسيين المستغلين ، والاغنياء الذين يبيعون كل كرامة ليحصلوا على المزيد من الملايين .

ولم يكتف بان قسم بلادنا التي كانت بلادا واحدة في عهد المملكة

العثمانية ، ليزيد في تجزئتنا وضعفنا ، حتى نظل صغارا وضعافا .. بل ازداد طغيانا واثما . فأقر الصهيونية في فلسطين ، ليجعل منها رأس حربة لكل البلاد العربية اخرى .. وانزل في ارضنا قوما غرباء عنا ، في الجنس والدين واللغة والتقاليد ..

لقد باعنا الاستعمار .. ونحن لا نزال احياء .. وكان هذا اول خزي نزل بالعرب ، في مدى تاريخهم الطويل .

واهتزت الصهيونية العالمية لنجاحها هذا ، وكتب (مكميلان هاردن) احد كتابهم يقول :

(ان تصريح المستر (بلفور) وقع في اذان الملايين من اليهود كصوت المسيح الهادي ، الذي طال امد انتظاره .. ولا ريب ان اليوم الذي قررت فيه بريطانيا العمل بكل قواها في القضية الصهيونية ، لا يمكن محوه من تاريخ العالم)

وكذلك شاهد (جمال) النور حين اخذت الصهيونية العالمية تستقر في فلسطين بفضل حراب الجنود الانكليز ، وتأييد الحكومة الانكليزية لهم .

وكان لهذه الظاهرة ابعد الاثر في حياة هذا الطفل ، فقد نبتت بذور هذه الثورة المصرية العارمة ،حين ذهب (جمال عبدالناصر) الى فلسطين ليحارب فيها سنة ١٩٤٨ .

كان ضابطا ينام كجنوده على الارض . ويتعرض هو وجنوده للقنابل والرصاص ، للقنابل والرصاص الصالح ، فيما كان هو وجنوده يحملون معهم الرصاص الفاسد ، الذي قام سماسرة فاروق بشرائه لهم ، ليضعوا ارباح هذه الصفقة في جيوبهم ، وفيما كان (فاروق)، وهو القائد العام للجيش المصري، يضحك وهو جالس الى مائدة القمار في نادي السيارات .. بالقاهرة .

حين ولد عبدالناصر :

واما ما كانت عليه مصر في السنة التي ولد فيها جمال عبدالناصر ، فشيء لا يستطيع قلم وصفه .. كان الحكم فيها للمستشارين الانكليز ، واما الوزراء فكانوا لعبا في ايديهم يحركونها اذا ارادوا تحريكها ، او لا يبالون بهم، اذا ارادوا اغفالهم وعدم استشارتهم في امر من امور الدولة .

لا حد من ابنائها يستطيع ان ينفرد بعمل له شأنه وخطره .. فهذه الاعمال للانكليز وعملائهم دون غيرهم ، ولا احد من ابنائها يستطيع ان يدعو لاصلاح او خير ، فان فعل زجوا به في السجون ، والصقوا به مختلف التهم كانوا يفعلون ذلك بالاتفاق مع الملك ورجال السراي والوزراء ، ولم يكن كل هؤلاء يرى في ذلك شرا ولا خزيا .

لقد كانوا في واد ، والشعب الفقير المظلوم البائس الجائع في واد . وبدأ الشعب يتحدث عن الفساد والظلم والطغيان ، واخذ ابناؤه يهمسون بعضهم الى بعض بما في صدورهم من غضب ونقمة .. لقد اخذوا يضيقون ذرعا بهذا الاحتلال الاثم ، وبهؤلاء الخونة من المصريين الذين يتعاونون مع هذا الاستعمار المجرم .

فلما كان يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨ ، وهو يوم اعلان الهدنة ، ذهب ثلاثة من رجال مصر وهم : سعد زغلول ، وعلي شعراوي ، وعبدالعزيز فهمي الى دار الحماية ، وطلبوا من عميدها الاذن بالسفر الى مؤتمر الصلح ليدافعوا عن حق مصر في الحرية والاستقلال ، بعد ان كانت انكلترا قد قطعت عشرات العهود للمصريين ،بالحرية والاستقلال .

وكان الجنرال اللنبي فاتح فلسطين ، هو العميد الانكليزي لمصر فيذلك الوقت ، وكانت خمرة النصر قد ابطرته ، فرد عليهم ردا قبيحا ، فاشتعلت على الاثر نار الثورة في مصر .

نشبت الثورة .. وخرج المصريون جميعا يحاربون العدو الغاصب بالحجارة والعصي والسلاح الضعيف النادر .. خرجوا يحاربون الامبراطورية العظمى التي خرجت من الحرب ظافرة غانمة .. وخرج جمال عبدالناصر معهم بالتأكيد ، حين راح يهتف مع سواه من الطلاب المتظاهرين (يحياالوطن)

ابتداء الثورة :

بدأ جمال عبدالناصر ثورته في سنة ١٩٣٠ .

وشارك في الثورة فعلا بان خرج مع المتظاهرين من طلاب المدرسة الابتدائية في الاسكندرية . . ونال حظه من الثورة بضربة عصا ادمتهوجرحته وهو ينادي : (تحيا مصر) .

وكان سبب هذه الثورةالتي وقعت في سنة ١٩٣٠ ، كما قدمنا ، ان

اسماعيل صدقي ، وكان رئيسا للوزارة المصرية في ذلك العهد ، استصدر مرسوما ملكيا بالغاء دستور سنة ١٩٢٣ .

وانطلقت على الاثر المظاهرات تطوف شوارع القاهرة ، والاسكندرية والاقاليم ، وسقط كثير من الشهداء صرعى برصاص الانكليز الذين قاوموا هذه المظاهرات بالرصاص والنار .

وفي الاسكندرية خرج طلبة المدارس الابتدائية والثانوية ينادون مع بقية ابناء الشعب بحياة مصر .

وكان جمال عبدالناصر التلميذ بالسنة الثالثة الابتدائية بين هؤلاء المتظاهرين وكان يتقدم جموع المتظاهرين ، ويهتف بسقوط الاستعمار .

وقد قاد الشاب الصغير اخوانه ، وهم يرددون هتاف الحرية حوله، الى ميدان المنشية ، وهناك انهال عليهم رجال البوليس ضربا بالعصي .. وكان من نصيب الشاب الصغير الثائر ضربة عصا شديدة على رأسه سال منها الدم حتى غطى وجهه ، فأخرج منديله وربط الجرح ، ثم انطلق يهتف بصوت قوي : (تحيا مصر).

ولما تولت وزارة (توفيق نسيم) الحكم في تشرين الاول سنة ١٩٣٤، وعدت باعادة دستور ١٩٢٣، ثم تناست وعدها ، واعلن على الاثر السيد صموئيل هور وزير خارجية بريطانيا في خطاب القاه : (ان بريطانيا ترى ان دستور سنة ١٩٢٣ ، غير صالح للعمل به) .

ثبات جمال :

وكان هذا التصريح فوق ما تحتمل اعصاب الشباب الوطني .

وفي مساء ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ اجتمع جمال عبدالناصر مندوب اللجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية بعبدالعزيز الشوربجي مندوباللجنة التنفيذية لطلبة الجامعة .. واتفق المندوبان على عقد مؤتمر بميدان الاسماعيلية .. (التحرير) ... يضم طلبة الجامعة والمدارس الثانوية ،لوضع الخطوط الرئيسية للحركة الوطنية التي ستقوم مطالبة بعودة الدستور .

وقال الاستاذ عبدالعزيز الشوربجي المحامي الان امام محكمة النقض ، يروي تلك الحقبة التاريخية من حياة الرئيس :

« ما كدنا نجتمع في الميدان حتى دعاني (جمال) لكي اخطب فيجماهير الطلبة ، ولكني لم اجد مكانا عاليا اقف فيه ، فدفعني الى عمود نور ،واعانني على تسلقه ، وما كدت ابدأ الخطابة،حتى ملأت قوات البوليس الميدان،ونزل افرادها من السيارات ، وانقضوا على الطلبة بعصيهم الغليظة ، واصابنيمنهم الشيء الكثر ، ووقع منظاري على الارض، ولكن (جمال) ظل ثابتا فيمكانه، وبحث لي عن منظاري حتى عثر عليه،وقدمه لي،ومضى يحثني علىالاستمرار في الخطابة ، ويحث زملاءه على الثبات في اماكنهم .. وسرعان ما التأم الشمل من جديد ، وكف رجال البولس عن الضرب ، بل اخذتهم روعة الموقف ، فراحوا يهتفون معنا بحاة مصر ،وذهبت اوامر رؤسائهم بضربنا ادراجالرياح»

وفي ساعة مبكرة من صباح الوم التالي ــ الاربعاء ــ ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وقف (جمال) في فناء المدرسة ، وصاح وسط الطلبة :« تحيا مصر حرة » .

وردد الطلبة الهتاف ، ثم وقف على الدرج يشرح لهم الموقفالسياسي، مما الهب صدر الجميع ، فحملوا علم المدرسة بينما حمل جمال العلم المصري ، وانطلق يتقدم المظاهرة ، ويطوف بمدارس الحي المجاورة ، لينضم طلبتها الى المتظاهرين ، ويقول الاستاذ مرسي الحديدي مدرس اللغة العربية بالمدرسة وقتئذ ، وهو يتحدث عن ذلك اليوم :

استاذ انكليزي يحمل مسدسه :

« كان بين اعضاء هيئة التدريس ، مدرس بريطاني اسمه وولي،يتولى تدريس اللغة الانكليزية ، وكان هذا المدرس يعرف عن جمال انه وطني ثائر متعصب لوطنيته ، وانه يؤلف حوله جماعة من الطلبة الثائرين امثاله، وكان يخشى ان يكون هدفا لسخط جمال واخوانه ، ولذلك كان يحرص على ان يخرج مسدسه كلما دخل الفصل الذي يجلس فيه جمال ، ويضعه في متناول يده على منضدة المعلمين ، حتى يدافع به عن نفسه عند اللزوم ، او قل كان يتعمد هذا التصرف ليشعر الطلبة ان القوة هي صاحبة الكلمة الاخيرة في كل مناقشة ، مما اثار الطلبة ضده ، وايقنوا انه يتحدى مشاعرهم الوطنية . . فاضمروا له العداء والكراهية ».

وفي ذلك اليوم ، يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، عندما وقف جمال

يهتف في ثورة عارمة بحياة مصر في فناء المدرسة ، توهم مستر وولي انه هو المقصود بتلك الثورة ، او ان رشاشا سيصيبه منها ، فاستنجد تليفونيا بالبوليس ، ولذلك ما كاد الطلبة يغادرون المدرسة ، حتى فوجئوا بفوهات بنادق البوليس تحاصرهم من كل جانب ، ولكن جمال تقدمهم ، وهو يهتف قائــلا :

« اننا نرحب برصاصكم ، هذه صدورنا ، اطلقوا رصاصكم اذاشئتم ، او اطلقــوا سبيلنــا » .

فأثارت عبارته ثائرة زملائه ، وانطلقوا يحطمون كل شيء امامهم ،وكان اول تلــك الاشياء سيارة (مستر وولي) التي كانت واقفة بجوار بــــاب المدرســـة .

وراء الطالــب الثائر :

ويستكمل الطالب ــ وقتئذ ــ محمد عمر الطوانسي قصة المدرس قائلا:

« ومضينا الى مدرسة فؤاد الاول ، فاخرجنا طلبتها ، كمــا اخرجنــا طلبة مدارس الحي الاخرى ، وسرنا في مظاهرة تزيد على عشرة الاف طالب، والاف مؤلفــة من ابناء الشعب ، وعندما مررنا بفندق (شبرد) وكــان يجلس في شرفته نفر من الضباط الانكليز، هتف جمال بحياة مصر ، ثــم صرخ بالانكليزية : لتسقط انكلترا ..

وانطلق جمال يتقدم المظاهرة مخترقا شوارع العاصمة ، في طريقه الى الجامعة لينضم الى الطلبة المجتمعين هناك، فلما بلغ الروضة وجد ان البوليس قد فتح كوبري عباس ، ليحول دون الاستمرار في المظاهرة، فاستأجر مع عدد من اخوانه مركبا عبروا به النيل ، تحت نيــران البنادق ، بينمــا استطاع بعض طلبة كلية الهندسة اغلاق الكوبري ، فاندفع عليه الطلبــة ، وادركــوا جمالا وصحبه والرصاص يتساقط حولهم ، وسقــط الشهيد محمد عبدالمجيــد مرسي الطالب بكليــة الزراعة ، وانحنى عليه محمد عبد الحكم الجراحي الطالب بكلية الاداب ، فاصابته رصاصة مــزقت امعاءه ، واستشهد بعد خمسة ايــام وهو يهتف :(تحيا التضحية ، تحيا مصر) .

سدد الانكليز الرصاص لرأسه :

ومضى الرصاص يتعقب جمال وزملائه ، فلجأ هو وزميله حسن النشار.

الى بيت صديق لهما بالمنيل ، حتى اذا انتهى اطلاق الرصاص ذهب جمال الى بيته في حارة خميس العدس لاليلوذ به ، وانما ليعد الطعام لاخوانه المعتقلين ويحمله اليهم في قسم الموسكي ، ثم انطلق الى بيت الامة على رأس جماعة كبيرة من الطلبة لحضور المؤتمر الوطني الذي عقد بمناسبة عيد الجهاد وهناك اصطدموا مرة اخرى برجال البوليس .

ولاحظ احد الضباط الانكليز ان الفتى طويل القامة ، ضامر البدن، هو الذي يثير الطلبة ويذكي لهب الوطنية في قلوبهم بصوته القوي ، فاطلق عليه رصاصة سددها الى رأسه حتى يتخلص منه .

وأصابت الرصاصة جمال في جبهته ، واخترقت فروة الرأس من امام الى الخلف ، وتفجر الدم غزيرا من رأس الفتى الثائر للمرة الثانية ، وكانت الاولى كما قلنا من قبل ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، عندما ضربه الجنود بالعصا على رأسه في ميدان المنشية بالاسكندرية .

واسرع به زملاؤه الى دار جريدة (الجهاد) التي تصادف وقوع الحادث بجوارها .. وفي مكتب صاحب الجريدة ضمد رجال الاسعاف جرح جمال ونصحوه بالذهاب الى مستشفى قصر العيني ولكنه رفض، فان كل من كان يذهب الى هناك ، كان البوليس له بالمرصاد ، فيلقى القبض عليه، ويحمله الى السجن .. ولا يزال اثر الجرح ظاهرا في جبهة جمال عبد الناصر حتى الان ، يقوم بمثابة وسام الجهاد الوطني في الشباب الباكر. وسام بالرصاص !

فصله الناظر واعاده الطلبة :

وكان هذا العمل الوطني يقتضيه ان يخصص له جانبا كبيرا من وقته ، فانقطع عن الدراسة زمنا ، ولما عاد الى المدرسة فوجىء بناظرها الاستاذ سليمان زكي يمنعه من الدخول، ويتهمه بتحريض الطلبة على الثورة .

وعندما علم الطلبة ان ناظرهم اصدر قراره بفصل قائدهم جمال، اعتصموا بالفصول ، وقذفوا الادراج في فناء المدرسة ، وهددوا باحراقها اذا لم يعد زميلهم المفصول بسبب الوطنية .

واستدعى الناظر البوليس ، وجاء ضباط القسم التابعة له المدرسة، وحاولوا اثناء الطلبة عن قرارهم ، ولكنهم اصروا على التمسك بمطالبهم ..

ولما لم يجد الناظر سبيلا الى اقناعهم اضطر للرضوخ الى مطالبهم ،

وامر بعودة جمال للمدرسة، ولكنهم رفضوا ان يعود جمال الا اذا ردت لـه كرامته واصروا على ان يذهب اليه في بيته ضابط المدرسة عباس ابو سعده ليعتذر له ويعـود به في عربة ... ويجلس فيها الى يساره زيادة فـي تكريمـه ورد اعتبـاره .

وفعلا عاد جمال وبجانبه الضابط في موكب من طلبة مدرسةالنهضة، بينمـا كـان ابناء الحي يحيونه في الطريق ، لما عرفوا فيـه من وطنيـة وحماسـة .

وكأنما كان القدر يصفق له بجانبهم ، ويحيى فيها الفتى الذيسيكون يومـا امل الوطـن العربي كله .

ودخل جمال الكلية الحربية ، بعد ذلك وفاز في امتحاناتها واصبح ضابطـا وارسل الى فلسطين في سنة ١٩٤٨ ليحارب اليهود ويرد كيـد الغاصبيـن ..

وهناك شاهد العجب .. فقد كانت هناك حرب..ولكنالجنود الذين ارسلتهم الحكومة المصرية لخوضها لم يكونوا يملكون خطة عسكرية ولاقيادة منظمـة ولا سلاحا صالحـا ولا آلة مـن الات الحرب ..

فاعجب لهذه الحرب الغريبة العجيبة ...

٤

عبدالناصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨
اسرار الحرب واسباب الفشل

اعلان الحرب :

كان الاجتماع في مكتب رئيس الوزارة المصرية ، محمود فهمي النقراشي ... وكان رئيس الوزارة يقول :

ـ بعد ٤٨ ساعة يدخل الجيش المصري معركة فلسطين .

وكأنما شك الضابط الكبير فيما سمع ، فقال :

ـ ماذا تقولون دولتكم ؟

وبصوت واضح قوي النبرات ، عاد محمود فهمي النقراشي باشا رئيس مجلس الوزارة يقول :

ـ اقول ان جلالة الملك امر بان يدخل الجيش المصري معركة فلسطين بعد ٤٨ ساعة .

ومرت فترة صمت عميق ، تطلع خلالها الاميرالاي احمد علي المواوي الى وجه محدثه يتأمله جيدا .

ثم انتقل منه الى وجه وزير الحربية الذي يجلس على المقعد قبالته في غرفة رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، وكان وجه الوزير جامدا، لا يدري معه من يراه ، حقيقة الاثر الذي تركته لديه العبارة التي قالها رئيس الوزراء .

ولاح في عيني وزير الحربية بريق شجع الاميرالاي المواوي على الكلام، فسأل رئيس الوزراء :

ــ ولكن هل انتم مطمئنون الى ان الجيش قد استكمل عدته وعتاده ؟

واجاب رئيس الوزراء :

ــ انا لست من العسكريين حتى احكم على الجيش من هذه الناحية. الامر متروك لتقديركم انتم .

ــ اذا كان الامر متروكا لتقديرنا ، فأنا شخصيا اعارض بشدة دخول جيشنا المعركة .

ــ لماذا ؟

ــ لانه لا يملك مقومات القتال الكافية.

وكأنما اراد وزير الحربية ان يزيد العبارة ايضاحا امام رئيس الوزراء، فسأل الضابط الكبير :

ــ ماذا تقصد بقولك ان الجيش لا يملك مقومات القتال الكافية ؟

واجاب المواوي :

ــ اقصد ان قواتنا ينقصها السلاح .. تنقصها الذخيرة .. ينقصها الاعداد .. ومعاليكم تعلمون من هذا الشيء الكثير .

ومضى الاميرالاي المواوي يشرح حالة الجيش المصري واسلحته بدقة، بينما وزير الحربية يطبق شفتيه بحزم ، ويعقد ما بين حاجبيه ، ويضرب بعصاه القصيرة حافة المقعد الجلدي الذي يجلس عليه .

واخيرا سادت فترة صمت غير قصيرة ، قطعها رئيس الوزراء قائلا:

ــ على كل حال اعتقد ان اشتراك ستة جيوش مع الجيش المصري لن تجعل مهمة القضاء على العصابات الصهيونية امرا صعبا .

وسأل القائد :

ــ اتدرون دولتكم كم يبلغ عدد القوات الاسرائيلية ؟

واجاب رئيس الوزراء :

ــ لست ادري تماما .. لكنني سمعت ان هذه القوات تتألف من منظمات ارهابية هي (الهاجناه) و(ارجون زفاي ليومي) و(شترن) .

ــ انها منظمات ارهابية حقا ، ولكنها تؤلف في مجموعها جيشا قويا مسلحا ، وان جيش (الهاجناه) لا يقل تعداده عن ٥٠ الف مقاتل ، بينهم فريق من رجال (الكومندو) الفدائيين .

ورد رئيس الوزراء :

ـ على كل حال هذا امر الملك ،وقداصدره جلالته بعد ان تم الاتفاق بينه وبين ملوك الدول العربية ورؤسائها ، وقد عهد جلالته اليك بالقيادة العامة للقوات المحاربة .

واجاب القائد :

ـ انني لن اتأخر عن خوض المعركة.. لكنني احب ان ابرىء ذمتي امام الله فأقول لدولتكم انني سأخوض معركة مرتجلة ، وان القدر وحده هو الذي سيضع نهايتها .

* * *

وعكف الاميرالاي المواوي على دراسة الخطة التي قدمها له رئيس الوزراء ، وتتضمن تعاون الجيوش العربية للقضاء على العصابات الصهيونية وانقاذ عرب فلسطين من عدوانها الاثيم ، والقضاء على قرار التقسيم ، كما تضمنت الخطة المناطق التي سيجري فيها كل جيش عملياته على مسؤوليته ، وتتضمن :

ـ الجيش السوري واللبناني وجيش الانقاذ :

تقوم بعملياتها العسكرية في المنطقة الشمالية المحاذية لحدود سوريا ولبنان ، وتشمل المنطقة الواقعة بين رأس الناقورة وطبريا ، حتىالمنطقة العراقية .

ـ الجيش العراقي والجيش الاردني :

يقومان بعملياتهما العسكرية في المنطقة الوسطى ، وتبدأ من الحدود السورية عند طبرية وسمخ الى منطقة الخليل جنوبا .

ـ الجيش المصري والجيش السعودي :

يقومان بعملياتهما العسكرية في المنطقة الجنوبية ، التي تمتد من الخليل حتى الساحل غربا .. وهذه الجيوش جميعا تباشر معاركها طبقا لاساليبها في القتال حتى تلتقي في تل ابيب .

وجعل الاميرالاي المواوي يدرس الخطة بدقة ، ويحاول ان يستفسر من رئيس الوزراء بين الحين عما يراه غامضا ، فكان يسمع اجابات لا تتصل بالمسائل العسكرية في قليل او كثير ، وتنتهي عادة بعبارة :

ـ على كل حال المسائل دي شغلتكم انتم .. المهم تنفيذ الامرالملكي.

الاجتماع :

وانفض الاجتماع ، وجلس الاميرالاي المواوي يسجل ما دار فيه بدقة، حتى اذا انتهى منه ، مضى يتصل بكبار الضباط ، ويدعوهم للاجتماع حول مائدة المعركة التي ستبدأ بعد ٤٨ ساعة .

لو عرف القائد المصري بعض الحقائق الاخرى عن الموقف السياسي العربي لحسب للموقعة حسابها ، ولكنه كأي رجل عسكري يتلقى الامر فيطيع ، مضى يراجع عدته وعتاده ، وحاجته من القوات والمؤن ووسائل القتال والانتقال .

– وجد ان سلاح المدفعية بحاجة الى ذخيرة .
– وسلاح الطيران لا يملك قاذفات قنابل .
– والدبابات الموجودة كلها تحتاج الى اصلاح .
– والقوات المرابطة في العريش بحاجة الى سيارات نقل تحملها الى ارض المعركة .

واتصل المواوي برئيس الحكومة ، وقدم له تقريرا دقيقا بالحالة، وبيانا باحتياجاته في المعركة .. فوعد رئيس الوزراء بتدبير السلاح المطلوب ، ثم اتصل بوكيل وزارة الداخلية وكلفه بمصادرة جميع سيارات النقل الخاصة الموجودة في القاهرة .

ونشط رجال المرور في شوارع القاهرة ، وصادروا عربات الخضر والفاكهة والطوب ، حتى تجمع لديهم نحو ١٧٠ سيارة بعثوا بها الى القيادة، وهذه بدورها بعثتها الى القوات المصرية في العريش ، ولكن لم يصل منها غير ٢٠ سيارة ، فقد تعطلت السيارات الباقية في الطريق .

وفي يوم الجمعة ١٤ ايار ١٩٤٨، صدرت الاوامر بالتعبئة العامة في الجيوش العربية . وعندما علمت شعوب العرب ان جيوشها ستحارب الطغيان الصهيوني، اخذتها الحماسة ، واشتعلت حرارة القومية العربية في صدور ابنائها ، وهبت تحيي الجيوش الباسلة التي فزعت تدافع عن الوطن العربي دون ان تدري ما تخبئه لها النفوس المريضة عند الحكام من نوايا خبيثة .

السر الغريب :

المعروف حتى الان ان الجامعة العربية كانت وراء اعلان الحرب

النظامية ، واذكر ان احد رجال الجامعة وصف سكرتيرها العام وقتئذ الاستاذ عبدالرحمن عزام بأنه رجل دموي ، وانه هو الذي اشعل الحرب في الارض العربية .

وفي مقابلة مع الاستاذ عبدالرحمن عزام سألته :

ـ انت رجل محارب ، اشتركت في معارك كبرى .. فكيف ساهمت في دفع الجيش المصري الى المعركة وانت تعلم جيدا انه ليس مستعدا ؟

واجابني السكرتير العام السابق للجامعة :

ـ سأروي لك القصة كاملة ، وسأدع لك اختيار الوقت المناسب لكي تعلنها على الناس ،حتى تتضح الحقيقة امامهم .

« فقبل ان ينسحب الانكليز في١٥ ايار ١٩٤٨ ، حاولت معهم ان يؤجلوا انسحابهم حتى تتاح لنا فرصة ايجاد حل يمنع خراب فلسطين ووقوعها في فوضى لا حد لها .. ووصل بي الامر الى ان عرضت على الحكومة البريطانية في شهر مارس ١٩٤٨ ، بواسطة سفيرها فيالقاهرة السير رونالد كامبل وبحضور مستر تشابمان اندروز (ومستر ترولت بك) احد سفرائها ، ان تبقى تلك القوات فترة اخرى ، وقلت له : اننا نؤيدها تأييدا ادبيا ومعنويا لاعادة السلم الى نصابه في فلسطين ولايجاد حل سلمي .

« ولكنني لم البث حتى تلقيت جوابا من الحكومة البريطانية وقد جاء فيه انها قررت الجلاء نهائيا في الموعد المحدد .

« هذا الرجاء مني كان سريا للغاية ، وهذا يدل على ان العرب لم يكونوا يضمرون اي اشتباك دموي ، كما يزعم اصحاب الدعاياتالرخيصة المسمومة .

« وعندما اعتدى الصهيونيون على العرب الامنين ، واستولوا علىحيفا وطبريا وغيرهما ، وفتكوا بالاهالي العرب، لم يكن هناك بد من القتال، وفعلا بدأنا نعد المتطوعين للمعركة ، على ان تكون حربهم غير نظامية .

« وقبيل انسحاب البريطانيين من فلسطين يوم ١٥ ايار ، كنت في رحلة بين سوريا ولبنان وبغداد وعمان ، لتنسيق التعاون بين الدول العربية ومواجهة الاحداث القائمة . .وكنت اعتذر لمن يسألني : لماذالا يشترك الجيش المصري في القتال ؟ .. بأن مصر لا تستطيع ذلك وقتئذ ، بسبب وجود الانكليز في القتال .



الرؤساء الثلاثة يحملون مشعل الحرية والنـور

« ولكن حدث وانا في عمـان انني فوجئت بدخول الجيش المصري حرب فلسطين ، ورجحت ان يكون هذا قد حدث لان الرأي العام المصري اضطـر الحكومة الى هذا القرار ، ولكنني عندمـا عدت الى القاهرة علمت ان النقراشي باشا ، عندمـا ضغطت عليه الاحداث والرأي العام وحالـة الامـن الداخلي وكرامة البلاد امام العالم الاسلامي ، لم يجد بدا مـن ان يشترك الجيش المصري في المعركة مع الجيوش العربية .. وقال لي ، رحمه الله ، وانا اعتب عليه انه تجاهلني في هذا الامر الخطير : لو انك كنت معنا لما رأيت غيـر ذلك » .

وسألت السيد عبدالرحمن عزام :

ـ الم تلمس في قيادات الجيوش العربية اثناء المعركة ما جعلك تشكك في صدق نوايـا زعما البلاد العربية وقتئذ ؟

واجاب الامين العام :

– وقعت فعلا على اخطاء للقيادات العربية وهي اخطاء تكاد تبلغ مرتبة الخيانـة ، فكنت اتستر عليهـا واحاول اصلاحها بالنصح .

– ولماذا لم تنبّه الشعوب المخدوعة الى تلك الحقائق ؟

– لم اكن استطيع الجهر بشيء وقتئذ ، فقد كان هذا يعني زيادة البلاء ومضاعفـة الهزيمة ، والقضاء لفترة طويلة على التعاون العربي .

– هل ندمت اذن على دخول الجيش المصري المعركة ؟

– لا .. بل لقد سررت حين سمعت النبأ في عمان .. فالجيـوش مهمتهـا القتال ، ولكن يجب ان تدخل المعركة وهي مزودة باسلحة القتال، لا ان تدخل مجزرة وهي مجردة من كل سلاح الا الايمان .

قصـة المعركـة :

ونعود الى قصة المعركة .. فقد بدأت في الموعد الذي تحـدد لهـا ، واجتازت الجيوش المصريـة والعراقية والسورية واللبنانية والاردنيـة الحدود الى فلسطين . وفشلت اولى عمليات الجيش المصري .. وكانت قواته التي اشتركت في المرحلـة الاولـى من مراحل القتال لا تزيد علـى مجموعـة لواء ، تصاحبهـا كتيبة مشاة واحدة من الجيش السعودي .

كانت مستعمرة (الدنجور) هدفه الاول ، وهي تقع جنوب شرقي رفح وسط صحراء النقب ، ولكنه لقي فيهـا مقاومة عنيفة جدا ، فتراجع عنها، وعـاد الجنود سيرا على اقدامهم الى مقر القيـادة .

ولكن الابواق الكاذبة اذاعت في القاهرة انباء النصر العظيـم الـذي احرزته قواتنا في مستعمرة (الدنجور) ، وذلك بغية تخدير اعصاب الشعب، والتمويه عليه بنصر زائف ، حتى لا يفطـن الى الحقيقة المرة ، وهي ان الجيش مدفوع الى الحرب بطريقـة ارتجالية ، وانه بحاجـة الى جميع انـــواع الاسلحـــة .

الفرق في القوى والسلاح :

وخلال فترة الهدنة الاولى ، تدفقت الاسلحة والمساعدات الحربية على جيش اسرائيل من جميع انحاء العالم . كمـا ظهرت في المعارك التاليـــة

جيوش صهيونيـــة جديدة .

وهكذا استطاعت قوات اسرائيل ان تستورد المال والسلاح والرجال خلال فترة الهدنة ، حتى اذا استؤنف النضال كانوا اكثر عددا واستعدادا.

اما القوات المصريـــة فكانت اذا طلبت سلاحـــا مـــن ايـــة دولـــة مـــن دول العالـــم لا تجد قبولا .. فعمدت الى السوق السوداء تستمد منهـــا حاجتهـــا .

ومن الاسواق التي كانت القوات المصريـــة تأخذ منها اسلحتهـــا المعسكرات البريطانيـــة في منطقـــة قناة السويس .. ولهذا قصة :

ففي ذات يوم احتاجت قواتنا الى قنابل ثقيلة زنة ٥٠٠ رطـــل و٢٥٠ رطـــلا ، واستطاعت جماعة من الشباب الحر من ضباط الجيش ان تحصل على تلـــك القنابل ، وخاصة قنابل (بات) التي كانت تعد في ذلك الوقت سرا من اسرار الحرب البريطانيـــة .

وعندما تنبه المسؤولون في معسكرات الجيش البريطاني بالقنال الـــى ضياع تلـــك القنابل ضاع صوابهم ، وشنوا حملة ارهاب على المدن المجاورة للمعسكرات ، ولكنهم لم يستطيعوا العثور عليها ، فقـــد كانت جميع الذخائر ترسل اولا باول الى القوات المحاربة .

وحدث مرة ان احتاج سلاح الطيران الى عدد من الطائرات حتى يواجه به الامدادات التي تلقتها اسرائيل خلال فتـــرة الهدنـــة ،فنشط الضباط المغامرون الـــى العمـــل .

اتصلوا ببعض الضباط الانكليز في مطار (ديفرزوار) واتفقوا معهـــم على شراء ٣٠ طائرة بثلاثين الف جنيه ، وكان قائد المطار الانكليزي سيحتجز لنفسه عشرة الاف جنيه وبقية المبلـــغ يوزعهـــا على ضباطه .

وعاد الضابط المصري المغامر الى القاهرة ، ليحمل الى رؤسائهنتيجة اتصالاته ، تمهيدا للموافقة على عقـــد الصفقة ، واتصل بثلاثـــة من القادة الكبار وقتئذ ، وادلى لهم بتفاصيل الخطة ، ثم عاد الى المعسكر البريطاني ليستكمل الصفقـــة ، ولكنه كان متأخرا ، وجد ان قائد المطار وضباطه قـــد نقلـــوا مـــن مراكزهم . فقد تسرب النبأ من القاهـــرة للمسؤولين فـــي المعسكـــرات البريطانيـــة .

حركة الطيـران :

وقال السيد حسن ابراهيم ـ احد اعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومن نسور الجيش المصري ايام معركة فلسطين ـ عن الدورالذي قـام به لشراء اسلحـة من اوروبا ، قال :

« فاجأنا اعلان الحرب ولم نكن نملـك في سلاح الطيران قاذفـات قنـابل ، وكل ما كان لدينا لا يتجاوز بضع طائرات (سبتفاير) ، ولكـن المهندس محمود ابراهيم رحمه اللـه ، استطاع ان يحول عددا مـن طائرات الركاب (داكوتا) التي كان السلاح يستخدمها في نقل الجنود ، الى قاذفات قنابل ، بعد ان زودها بحمالات خاصة في اسفلها .

« ولكن هذه الطائرات ، على الرغم مـن النتائج الباهرة التي حققتها ، لم تستطع ان تسد حاجة جيش يواجه عدوا تغذيه الدول الكبرى باحدث الاسلحـة والطائـرات .

« ووجد المسؤولون انفسهم في مأزق شديد الخطـورة ، فانتدبني سلاح الطيران مع بعض الزملاء للسفر الى ايطاليا ، والاتفـاق علـى شراء طائـرات مـن هنـاك » .

عملاء اسرائيـل :

« وفي روما وجدت عملاء الصهيونية قـد سبقونـي اليها ، فنفثـوا دعايتهم المسمومة ضدنا ، بل لقد اتخذوا في حربهم هذه خطوات ايجابية. فعندمـا نمي اليهم اننا اتصلنـا بأحد المصانع ، وانه وافق على امدادنـا بالاسلحة ، القـوا عليه بضع قنابل ، كما حاولوا تدمير طائرتين كانتا قـد اعدتا للشحن الى مصر ، وفيالوقت نفسه كانوا يشترون كل ما استطاعـوا شراءه من اسلحة ، ويبذلون في ثمنها اموالا سخية .

« تركنا ايطاليا ، وسافرنا الى سويسرا للاتفاق مع احدى الشركات هناك على شراء طائرات المانية ، من مخلفات الحرب العالمية .. وعندما بدأنا الاتفاق ، وبعثنا مضمونه للمسؤولين في الحكومة عندنا ، اصر هؤلاء على ان يفتح اعتماد الشراء باسم شخص مصري كان يقيم في الخارج ، وهو معروف بسوء السيرة ، وتحوطه الريبة والشبهات في الاوساط المالية .

« ورفضت المؤسسات هناك ان تتعاقد باسم هـذا الرجل ، وكـاد

الاتفاق معها ان يفشل ، لولا اننا استطعنا في النهاية ان نقنع ممثليها باقرار التعاقد .

« وكلان عملاء الصهيونية يتبعوننا في كل مكان بسويسرا اثناء مفاوضات الاتفاق ، لمحاولة عرقلته بأية وسيلة ، لكننا عرفنا كيف نحتال عليهم، وعقدنا اتفاقا مع وكلاء الشركات الالمانية على عدد من الطائرات » .

« وبينما كنا نتأهب للسفر الى المانيا الغربية ، لمعاينة الطائرات التي تم التعاقد عليها ، لاحظت ان عيونا كثيرة تتبعنا اينما حللنا ، وادركت اننا تحت رقابة صهيونية شديدة ، وقررنا ان نضلل هؤلاء الرقباء :

« خلعنا ثيابنا الرسمية ، وارتدينا الثياب المدنية ، ووضعنا القبعات على رؤوسنا ، وتظاهرنا باننا سنقوم بنزهة في الشوارع ، ثم انطلقنا بالقطار الى مقرّ المصنع في كارلسرد بالمانيا الغربية ، بعد ان انتحلنا صفة التجار .

وعندما وصلنا الى المصانع الالمانية لمعاينة الطائرات ، وجدنا في انتظارنا مفاجأة مذهلة .

علمنا ان الطائرات التي اتفقنا على شرائها باعتها الشركة قبل وصولنا اليها ببضعة ايام .. وكان عملاء الصهيونية وراء هذه المفاجأة » .

واستؤنف القتال مرة اخرى ، ودخل العدو اللد والرملة ، بعد ان انسحب منهما الجيش الاردني ، وانكشفت بذلك ميمنة الجيش المصري ، فوقف وحده امام القوات الصهيونية ،ثم اعلنت الهدنة الثانية في ١٧ تموز ١٩٤٨ .

٥

جمـــال بعـــد الثـــورة

لم يكن جمال معروفا الا عند اصدقائه وزملائه

الضابط المجهـــول :

لم يكن جمال عبدالناصر في مطلع سنة ١٩٥٢ .. معروفا عند عامة الناس في مصر والبلاد العربية .

كان ضابطا بالجيش المصري ، يعرف جنوده ويعرفه الضباط الاحرار اصدقــاؤه ..

وقد حدث في هذا العام ان هدد قائد القوات البريطانية فيالسويس باستعمال القوة لصد غارات الفدائيين المصريين .. الذين كانوا يقومــون بعرقلة تمويــن الجيش الانكليزي الرابض فــي القنال ، ومطاردة جنــوده ، واقتحــام منازله وعنابره .. والاستيلاءعلى ذخائره ..

كمــا اشتدت الازمة في اول هذا العام ايضا بين الضباط الاحــرار وفاروق بسبب انتخابات مجلس ادارة نادي الضباط ، اذ كــان الضباط الاحرار يرشحون شخصا غير الشخص الذي كــان يريده فاروق وبطانته .

كما بدات ايضا كتائب منظمة من الفدائيين تهاجم معسكر الاسماعيلية الانكليزي .. ممــا دعا القائد البريطاني الى التهديد باستعمال المدافــع الثقيلــة .

وفي هذا العام عمم التدريب العسكري في مصر .. وقتل ٢٢جنديا

بريطانيا في معركة السويس ، واشتد الخلاف بين ترومان وتشرشل حول المسألة المصرية .. كما اعلن عزام رئيس الجامعة العربية عن استعداد مصر للتحالف مع اميركا .

وعلى الاثر تتابعت الحوادث .. ومضى الفدائيون المصريون يناوشون القوات الانكليزية في القناة ، حتى كان ٢٣ تموز واعلنت ثورة مصر ..وبدأ التاريخ المصري العربي يكتب قصته ، ولم يتوقف حتى الان .

ففي مطلع سنة ١٩٥٣ كان جمال عبدالناصر نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية . وفي هذا العام :

حلت جميع الاحزاب في مصر . اعلن دستور الحكم في فترةالانتقال. قطعت العلاقات بين روسيا واسرائيل . عقدت اتفاقية السودان بين مصر وبريطانيا . مات ستالين . توقفت المباحثات بين مصر وانكلترا ثم استأنف الفدائيون جهادهم في القنال . دالاس يعلن تأييده للجلاء عن مصر . اعلان الجمهورية وخلع احمد فؤاد الثاني واسقاط اسرة محمد علي . تحريم التعامل مع القوات البريطانية . روسيا تصنع القنبلة الهيدروجينية . تشكيل محكمة الثورة . محاكمة الساسة القدامى . مصادرة اموال جميع افراد اسرة محمد علي ..

وفي عام ١٩٥٤ نجد عبد الناصر يستعد لثورته الكبرى . ثورة القومية العربية من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . اتصالات مستمرة بالوطنيين في كل بلد عربي . عبدالناصر يرفض محاولات اميركا وبريطانيا لفرض الدفاع عن الشرق الاوسط . عبدالناصر يرى ان تدافع البلاد العربية عن نفسها بنفسها . عبدالناصر يؤمن بان سر فشل الثورات العربية كونها ليست ثورة واحدة . لو ان ثورة ١٩١٩ اتصلت بثورة عبدالكريم في مراكش وثورة سلطان الاطرش في جبل الدروز . وثورة سوريا وثورة لبنان وثورة طرابلس وثورة العراق وثورة السودان ، لاستطاعت الثورة ان تحرر البلاد العربية كلها .ان الطريق هو توحيد الجهاد الوطني لا توحيد الحكومات.

الطريق ان يثور العرب في وقت واحد تحت علم واحد . ان عبد الناصر ينتظر الجلاء عن مصر ليبدأ حركة تحرير كل بلد عربي . عبدالناصر يرفض العروض المغرية . يرفض المساعدات المشروطة . انه يريد ان يكون حرا ليستطيع ان يمد يده الحرة الى الشعوب التي تريد ان تكون حرة .

حركـة التاريـخ :

بدات حركات الفدائيين ضد الانكليز في القنـاة . عبدالناصر يؤلف الوزارة . عبدالناصر يهاجم حلف بغداد ويحاول توحيد خطة العرب ضـد اعتداءات بريطانيا واسرائيـل .

عبدالناصر يقرر مساعدة الوطنيين في تونس . وثيقة تقع في يـد المسؤوليـن بان هناك مؤامرة غربية لعزل مصر عن العالم العربي . بـدات مباحثات الجلاء عن مصر . نجحت المباحثات . تقرر الجلاء التام عن مصر. اضطرابات خطيرة في مراكش . مصر تؤيد ثـورة مراكش . الدبابـات والسيارات الفرنسية تحتل شوارع المـدن فـي مراكش . نساء مراكش يخطبن في المساجد . عبدالناصر يعلن : لن نشترك في اي حلف مع الـدول الكبرى . تقرر مضاعفة عدد الجيش المصري فورا . تسلمت مصر المطارات البريطانية . محاولة اغتيال جمـال عبـدالناصر في ميدان المنشيـة بالاسكندرية . أطلاق الرصاص عليه وهو يخطب .

عبدالناصر يستمر في القاء خطابه والرصاص ينهال عليه . القبض على الجاني وشركائه . ضبط اسلحة ومفرقعات . القبض علـى الارهـابيين . القبض على الجهاز السري للارهاب .

طار نوري السعيد الى القاهرة ليقنع عبدالناصر بحلف بغداد . رفض عبدالناصر ، وقال ان الشعوب العربية هي التي يجب ان تدافع عن نفسها.

قال نوري السعيد لزملائه : ان عبدالناصر يتصور ان العرب الضعفاء قادرون على ان يقفوا على ارجلهم وحدهم ! وقال نوري ان كلمة من لندن تستطيع ان تسقط اي حكومة في الشرق الاوسط !

وفي عام ١٩٥٥ حدثت معركة عنيفة في غزة .

عبدالناصر يخطب في برلمان الهند . اسرائيل تشكو مصر الى مجلس الامـن . فشل اميركا وبريطانيا في اقناع مصر بالعدول عن صفقة الاسلحة التشيكية . اسرائيل تستغيث .

* * *

فاذا اشرفت سنة ١٩٥٦ نجد ايدن يحاول اقناع عبدالناصر بحلف بغداد . عبدالناصر يؤكد ان الحلف لن يعيش . الشعوب سوف تنقض عليه وعلى الحكام الذين وقعوه . ايدن لا يقتنع باراء عبدالناصر . الشعب العربي

يثور في الاردن . فشلت محاولات ارغام الاردن على دخول حلف بغداد . اعلن عبدالناصر الدستور الجديد . منح المرأة المصرية حق الانتخاب . شعب الاردن يطرد جلوب باشا . لندن ثائرة على عبدالناصر . عبدالناصر يعلن ان سياسته هي الاخذ بيد جميع الوطنيين في الشرق الاوسط . اسرائيل تهدد بحرب الربيع . عبدالناصر يقول اعصابنا قوية واقوى مما كانت منذ ٦ شهور ، تيار الوطنية يجتاح الشرق الاوسط . الوطنيون في البحرين يضربون سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية . معركة في غزة الفدائيون ينتقمون ، يتوغلون داخل حدود اسرائيل . مدن اسرائيل تعيش في ليالي الرعب .دول الغرب ثائرة على عبدالناصر . انه يقول لقد قررنا الا نكون منطقة نفوذ لاحد . عبدالناصر يؤيد ثورة مراكش لعودة السلطان محمد الخامس . مذابح في شوارع مراكش . بدأ ينهار حكم عملاء الاستعمار في المنطقة . فرنسا تسلح اسرائيل .

عبدالناصر ينذر دول الغرب ان الجيش المصري هو الاقوى رغم مؤامرات دول الغرب لتسليح اسرائيل . مصر تعترف بالصين الشعبية . عبد الناصر يعلن : سنعادي من يعادينا . مذابح في الجزائر .

***

تم جلاء الانكليز عن كل شبر من ارض الوطن. عبدالناصر يرفع العلم على ارض القناة ، خمسة ملايين ينتخبون عبدالناصر رئيسا للجمهورية . عبدالناصر يقرر ادخال المرأة الى مجلس الامة . عبدالناصر يجتمع مع تيتو ونهرو في بريوني ويقررون سياسة عدم الانحياز . دالاس يسحب عرض السد العالي . عبدالناصر يعلن تأميم القناة . ذعر في عواصم الغرب . اميركا وبريطانيا وفرنسا تجمد اموال مصر . الغرب يهدد بالحرب . الحكومة تقرر اعطاء السلاح لكل مواطن . امر جمهوري بانشاء جيش التحرير الوطني . الاتفاق على عمل قيادة موحدة في البلاد العربية كلها .

ليبيا ترفض السماح بمرور الجيش البريطاني في اراضيها للهجوم على مصر . الدول تجتمع في مؤتمر لندن لترغم مصر على تدويل القناة. عبدالناصر يرفض الاشتراك في مؤتمر لندن. ويقول سنحارب اذا هوجمنا. خرج المرشدون الاجانب من القناة . المرشدون المصريون يقودون ٥٠ سفينة، العالم يعترف بانتصار مصر في معركة القناة . بريطانيا تستعد للحرب . فرنسا وبريطانيا تشكوان مصر لمجلس الامن . اسرائيل تهدد بغزو الاردن. عبدالناصر يعلن ان مصر تدخل المعركة فورا اذا غزت اسرائيل الاردن . فرنسا تضبط سفينة مصرية تحمل اسلحة وذخائر الى الجزائر .

حرب سنة ١٩٥٦ :

اشتراك ١٦ شعبا عربيا في تأييد الثورة في الجزائر . اسرائيل تهاجم مصر ، بريطانيا وفرنسا تهاجمان مصر . ضرب مدن مصر بقنابل الطائرات تعطل الملاحة في القناة . سورية تحطم انابيب البترول . الشعر العربي يستعد لنسف ابار البترول في كل مكان . عبدالناصر يقول للشعب سأحارب معكم الى اخر قطرة من دمي . استولت مصر على القاعدة البريطانية بكل اسلحتها مصّرت جميع البنوك والشركات الاجنبية . الشعب كله يحمل السلاح . الاساطيل تقترب من بور سعيد . ابادة قوات من جنود المظلات . القتال من منزل الى منزل . سماء بور سعيد تتحول الى جحيم . مظاهرات في كل بلدان العالم ضد العدوان حتى في لندن نفسها . دهشة العالم لبطولة المصريين . الرأي العام العالمي يثور ضد المعتدين . الامم المتحدة تطالب بوقف اطلاق النار . اضطرت فرنسا وبريطانيا الى وقف اطلاق النار ، مؤامرة في لبنان لاسقاط الوزارة الوطنية . اعتقالات في العراق للوطنيين الذين ثاروا ضد العدوان . عبدالناصر يرفض تطهير القناة قبل الانسحاب الانكليز يخضعون ويبدأ الانسحاب فورا . نوري السعيد يعتقل زعماء المعارضة لتأييدهم لعبدالناصر . كارثة مالية تهدد بريطانيا . ايدن يعلن ان بريطانيا تمر باحلك محنة عرفتها . غادر الانكليز مصر ليلا .

* * *

وفي سنة ١٩٥٧ يعلن عبد الناصر انهاء اتفاقية الجلاء .. الغزو البريطاني اسقط معاهدة سنة ١٩٥٤ .. ايزنهاور يعلن مشروعه للدفاع عن الشرق الاوسط .. عبدالناصر يهاجم مشروع ايزنهاور .. استقال ايدن من رئاسة الوزارة .. استقال من مجلس العموم .. دالاس يعلن ان حكومة العراق طلبت من اميركا انقاذ الشرق الاوسط . خروشوف يقول الاسد البريطاني فقد ذيله في مصر .. الموقف الدولي يتكهرب .. ايزنهاور يعلن: سنستعمل الاسلحة الذرية اذا حاربنا في الشرق الاوسط . عبدالناصر يعلن لن نكون ذيولا لدول الكبرى . اسرائيل تنسحب من غزة .. ومظاهرات صاخبة في تل ابيب .. بن غوريون يبكي .. بلغت خسارة بريطانيا وفرنسا في العدوان على مصر ٩٠٠ مليون جنيه .. اصرت مصر على ان تكون لها مائة في المائة من رسوم القناة .. خضعت الدول الكبرى لقرار مصر .. روسيا تدفع ٢٠٠ مليون دولار معونة اقتصادية لمصر . . عامر يعلن في مجلس الامن الاتفاق مع روسيا ، ويعلن لا انحياز ، ولا قواعد اجنبية ، ولا مناطق نفوذ لاحد .. المؤامرات تستأنف ضد البلاد العربية .. عبد الناصر

يعلن ان الاعتداء على اي بلد عربي هو اعتداء على جميع البلاد العربية .

* * *

في سنة ١٩٥٨ نرى جمال عبــد الناصر رئيسا للجمهورية العربيــة المتحدة . في٢ شباط اعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة . الرئيس يقبل ميداليــة الشعب من مجلس الامة باسم محرز الشعب . الرئيس يزور دمشق . انذار روسي بتدمير دول حلف بغداد .

ثورة في العراق ، وقتل فيصل وعبد الاله ونوري السعيــد . انتهــاء الخلاف في لبنان ، وانتخاب الجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش اللبنانــي رئيسا للجمهوريــة . الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا علــى تسوية حرب السويس ، بعد ان رضيت فرنسا بدفع التعويض عن الخسائر التي اصيبت بها مصر .

واما حين تبدأ سنة ١٩٥٩ ، فان اول حادث فيها هو قبول انكلتــرا بتسويــة حرب السويس اسوة بفرنسا ، والافراج عن الاموال المصريــة المجمدة في لندن ، ودفع التعويض المطلوب من مخازن القناة التي كـــانت لانكلترا قبل الحــرب .

وكذلك مضت حياة عبدالناصر الملتهبة على النحو الذي وصفنا .

تحد للعالم الاستعماري على طول الخط .. ودعوة العرب ليرفعــوا رؤوسهم ويحرروا انفسهم من الضغوط الاستعمارية والامبريالية .

فهم يملكون المواد الاولية والثروة العظيمة ، ومن حقهم ان يكونوا سادة بلادهم بكل مــا في الكلمة من معنى .

٦

جمـال فـي رأي رفـاقـه
لمـاذا يعترفون بزعامته ؟

ما قاله تشرشل عنـا :

كنا صفارا فأصبحنا في صدر التاريخ ..

وكنا غنائم ، فثبت اقدامنا ، وبث القوة في نفوسنا ، والاندفاع فـي رؤوسنا ، والعزم في اعمالنا ، فلم يعد احد يستطيع ان يفرقنا او يمزقنا.

لقد كانت حياته السياسية بيننا ومنذ سنوات انتصارا متتابعا ، بل طوفانا لا يقف في وجهه شيء ، ولا ترده صعاب ولا عقبات .

احالنا من حال الى حال .

أعطانا الحرية ، واعطانا الاستقلال ، وأعطانا العدل .. وقضى على ما كـان بيننا من منازعات ، كمـا قوض كل مفاسد الماضي وشروره .

قال تشرشل في الجزء الثالث من مذكراته : (لقد طلب اليهود فـي ابان الحرب ان تدرب الحكومة البريطانية فرقة يهودية خاصة عـلى القتال ، وان تزودهـا بالسلاح والعتاد ، فنبهني المستشارون الى ان هـذا يغضب العرب ويثير حنقهم ، وحذروني عاقبة موجدتهم ، ولكنني لم اكترث لهذا التحذير ، ومضيت في سبيلي ، فدربت اليهود ، ولم ينبح ... عربي واحد بالاحتجاج على هذا) .. ولم يلق سياسي اوروبي بعد ذلك من حفاوة ساسة العرب وتجلتهم واكبارهم مثل ما لقيه تشرشل !.. فهل تريد ايـة ابلغ

وأبين من هذا على خفة الوزن العربي في ميزان السياسة البريطانية .. حتى في ادق ظروفها واحلك أزماتها ؟ لقد كان القوم يعتقدون ان الامة العربية في الجيب ، واذن فليفعلوا بها ما يشاؤون !..

هذا ما كانت عليه قيمتنا في نظر المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة الانكليزية في اثناء الحرب العالمية الثانية ، وقبل ظهور جمال عبدالناصر .. والقارىء يعرف بعد هذا وزن العرب بعد الثورة المصرية العربية .. ويعلم اي خطر اصبح لهم في ميزان السياسة الدولية ، واي مكان يتصدرون من صدر الوجود ..

كان موقفه فذّا .

وسيظل في أعماق مستقبلنا شريانا تتفجر منه الحياة .

والكلمات التي اعلن بها تأميم شركة القناة ، كانت تملأ فم مصر من دهر طويل ، لكنها لم تكن تجد السبيل لالقائها ، ولعل الكثيرين منا كانوا قد شرعوا ينسون اهمية هذه القناة .. اما التأميم ذاته ،فما كان يخطر ببال .

ولما وقف جمال يصحح تاريخنا ، وجدنا افواهنا تتفتح وتخرج منها الكلمات التي طال احتباسها .

كان كمن يعزف لحنا ، ويلقي نشيدا .

نعم ، كان يعزف نشيد الانتصار .

وكان وهو يملأ موقفه ذاك ، يزيح عن حقيقته جزءا اخر من اجزاء الغطاء الذي كان يخفيها .

انهذا الرجل حدث تاريخي ضخم ،وهو الاطار الحي للمرحلة العظمى في تطورنا الماثل .

ليس تطور مصر وحدها ، بل ومعها ثمانون مليونا من العرب ،يعثرون اليوم على انفسهم .

ثمانون مليونا او اكثر ، كانت لهم اقدام تستطيع ان تمشي ، وسواعد تستطيع ان تبطش ، لكن حارس التاريخ كان يدفعهم بكلتا يديه عنالطريق. لماذا ؟

لم يكونوا يحملون جواز مرور .

اما اليوم .. فقد وجدوا ما كانوا يفقدون . والرجل الذي يتحدث الان باسمهم ، هو جواز مرورهم الى المستقبل .. واسمه هو « كلمة السر»

بينهم وبيـــن التاريـــخ .

انه لجدير بكل تحية تزجى اليه ، وبكل تأييد يحاط به . هذا الرائـــد الذي احتشدت فيه على نسق باهر تجارب ابائـــــه ، وخصائص امتـــه ، وروح عصره .

اخذ من دينه ، حب السلام، ونبذ العدوان . ومن مصريتـــه ، روح الصبر ، وجلال العزم . ومن عروبته ، حب الاباء ، واستقامة الضمير .

الرجل الجيش :

ذات يوم ارسل احد قواد عمر بن الخطاب اليه يسأله مددا سريعا . فأجابه عمر بكتاب يقول فيه :« لقـــد امددتك بجيش اوله عندك واخـــره عنـــدي » .

ولبث القائد في ابتهاج عظيم ، يترقب طلائع الجيش المقبل ، ويتنشق عبيـــر غبـــاره .

واخيرا ، دخل عليه رجل يعرفه ، وهو القعقاع بن عمرو ، وسلم القائد رسالة امير المؤمنين عمر ، واذا هو يقرأ فيها :

« هذا هو الجيش الذي وعدتك به ..انه رجل واحد .. ولكن لـــن يغلب قوم فيهم مثله » .

اننا الان نملك رجلا من هذا الطراز .. وانه لاثمن ممتلكاتنا .

ومن حق جمال عبدالناصر ان يعرف هذا ويسمعه بعد المواقف الجليلة والشريفة التي وقفها ، وحمل في استبسال عظيم كل تبعاتها .

أجل ، انه لاثمن ممتلكاتنا ، وأفضل مكاسب الثورة على الاطلاق .

هوايـــة جمـــال :

ان جمال عبدالناصر ، رجل هوايته مجد مصر والشعب العربي ،انه مـــن هؤلاء القلائل الذين لا يجود بهم الدهر الا نادرا من القلائل الذيـــــن يضحـــون بانفسهم واولادهم في سبيل الامة وعزة الامة .

لقد تتبعنا خطوات هذا الرجل ، وخرجنا من دراستنا لشخصيته ، بانه من النوع الذي لا ينتهي عند قمة .. ومن القلائل الذين جاد بهم التاريخ واودع قلوبهم ونفوسهم هوايـــة واحدة هي (هواية المجد) .

ان جمال عبدالناصر هوايته المجد ، واستطيع ان اؤكد ان هذا الرجل لا يطيق ان يمر شهر عليه .. دون ان يعمل لبلاده عملا يهـز اركان العالم ، ويحفر اعمق الذكريات في صفحة التاريخ ..

ولا يطيق ان يحقـــق نصرا دون ان يفكـــر وهـــو يتلقـى التهاني في تحقيق نصر اكبر .. هكذا وجدنا هذا الرجل .. يخرج من نصر الى نصر ، ومن امل الى امل .. الى امل .

كان يكفيه مجدا على الزمن انه خلع ملكا فاسدا، واطاح بالاقطاع وعصف بالاحزاب ، وخلق دستورا مثاليا ، وحرر وادي النيل ، وحقـق الجلاء ، وسلح الجيش ، ورسم لبلاده سياسة خارجية مستقلـــة يتزايد انصارها يومـا بعـد يـوم .

كان يكفيه كل هذا او بعض هذا او بعض هذا او واحدا من هذا .

بعد انتخابـه :

ولقد حدث بعد انتخابه رئيسا للجمهورية ان كتب محمـد حسنين هيكل في أخبار اليوم يقول :

(دخل مكتبي مواطن قال لي بصراحة :

ـ اسمع .. انا واحد.. من الواحد في الالف الذين لم يعطوه اصواتهم في الاستفتاء على رئاسة الجمهورية .

وخبط بيده على المكتب وقال :

ـ وددت لو كان في استطاعتي ان اغير صوتي الان ..!

عبداللطيف البغدادي يقـول :

يقول رفاقه المقربون اليه ، الذين جاهدوا معه ، وعملوا معه ، وحاربوا معه .. وما زال بعضهم يعملون ويحاربون :

« رقيق جدا : شديد الحساسية ، كبير القلب ، صافي النفس ،ومع هذا فهـو عنيف ، صلب لا يتزحزح عن موقفه قيد انملة ، ما دام مؤمنـا بسلامة هـذا الموقف .

هذا العنف وهذه الصلابة وهذا العناد تجدها عنده في اكرم مجال،

في مجالات الوطنية والعروبة والفداء ، انـه صلب فـي الحق ، صلب فـي الوطنيـة لا يعرف في حقوق الوطن مساومة او هوادة او حلولا بين بين ، ولا يتسامح قيد شعرة مع من يعتدي على بلاده ، او يفرط فـي شيء من حقوقهـا .

ثم هو انسان ،طيب القلب جدا ، يضع نصب عينيه الاحساس بشعور الاخرين ، الاحساس بشعور الضعيف والقوي ، الفقير والغني ، وبين هذا وذاك يسعى الى الحقيقة ، ومن هذا السبيل يرسي قواعد العدالـــة الاجتماعيـة .

ان شخصية صديقي وزميلي جمال عبدالناصر كانت وما زالتوستبقى دائما مثار اعجابي وتقديري وايماني برجولة الرجال وبطولة الابطال » .

وكمال الدين حسين يقول :

« الرجل لا يوصف بالاقوال ، وانمـا يوزن بالاعمال ، فلا تسألونـي عن جمال عبدالناصر ، وانما اسألوا عنه اعماله ، اسألوا عن ايمانه وشعوره العميق بالام مواطنيه وامالهم ، وكيف كان هذا الايمـان ينعكس حجة قوية، اقوى مـا تكون الحجة ، وثقة متينة راسخة ، اثبت ما تكون الثقة . فجمع الصفوف ووحد الفكرة وكسب الثقـة وضاعف الامل في النصر ، والهب الشوق لبلوغ الغايـة مهمـا تكن التضحيات في سبيلها .

(اسألوا عن صفات القيادة عنده ، عن المامه ودرايته التامة بحقائق الامور ، ودقتـه في رسم خطوط المعركـة ومـداخلهـا ومخارجها رسما يكاد يخيل لمن يراه بعد تنفيذه ، ان جمال عبدالناصر كان ينظر في مرآة من مرايـا المستقبل ، وهو في كل ذلك هادىءثابت متزن ، لا تهزه نشوة النصر، ولا يستخفـه غرور الفـوز .

(وجمال فوق هذا كله طاقـة انسانية عظيمة ، وقوة قومية اعظم ،لا تحطمه مرارة الهزيمة ، ولا تدفعه الى يأس ،بل انه لا يعترف بالهزيمـة ، فتراهابدا مستعدا ليخوض المعركة من اولها الى خاتمتها .

(واخيرا اسألوا الانتصارات الكثيرة الباهرة التي قادنا فيها جمـال في الخارج وفي الداخل ، تجبكم عن جمال ، وتغنيكم عن السؤال عنجمال وتنبئكم وتحدثكم عن المستقبل الذي يقودنا اليه جمال)



عبد الناصر وانور السادات في طريقهما الـى اجتماع مجلس الوزراء المصري

وانـور السادات يقـول :

(عرفته فنفرت منه اول الامر) .. لصمته الذي كـان يلوذ بـه . وبدأت اسأل نفسي : ترى ما الذي يشغل بال هذا الزميل الذي يأبى الا ان يتحفظ في علاقته بنا دائما ؟. الى ان كان ذلك اليوم في منقباد ، عندمـا تخلف عن ركوب عربة النزهة الاسبوعية مع بقية الزملاء ، ليبقى هو فـي الثكنات ، لان زميلا لنـا كان مريضا ، وعز عليه ان يذهب الجميع فيبقـى

هذا الزميل وحيدا ، بعد ان ربطته به اخوة الروح وصداقة العمر .

(اي صديقي جمال ، سأفخر دائما بهذه الصداقة العميقة ، الهادئة ، وسأفخر بك ايضا كلما ذكرت موقف ذلك الصديق الذي دبر مع الخارجين على الوطن خطة لاغتيالك ، التي اعترف بتفاصيلها شركاؤه وهرب مع الهاربين ، وبعد ان سمعت انت كل هذه التفاصيل لم تناقش الخطة ، ولم تناقش عقوق ذلك الصديق ، وانما كلفتني ان ارعى ابناءه كما ارعى ابنائي ، فلهم علينا حق ابناء المواطن والصديق ، حتى ولو خرج علينا هذا الصديق).

(اي زعيمي جمال ، ان الشعب في الوطن العربي ، في القرى وفي المدن وفي الصحراء ، وفي الحقول يرحب بك يا جمال . فلطالما طوفت معلنا صوت الثورة وزحفها العظيم ، بكل ما تملك من ايمان وحب ، ايمان بالقضية الوطنية ، وحب للحرية التي هي حق لكل شعب مقهور .. كان صوتك يرتفع مناديا الشعب ان انتبه فقد بدأت ثورتك وتنبه الاعداء ، اولئك الذين كم من مرة حاولوا وقف زحف الثورة واسكات صوتها المجلجل الجبار ، ولكن مضى الصوت قويا على الدوام ، وسيظل صوتك يا جمال يرن في اسيا وفي افريقيا حاملا الامل ، الامل الجديد العظيم ، فسلام عليك اخا وصديقا وزعيما على مر الايام) .

ويقول حسين الشافعي :

(اول مرة التقيت فيها بالرئيس جمال عبدالناصر بعد الكلية الحربية كانت في سنة ١٩٤٢ ، في ساحة العلمين ، وكان اذ ذاك في سلاح المشاة.

(وفي سنة ١٩٤٥ جمعتنا المصادفة في بيت احد زملائنا من الضباط الاحرار .

(ومنذ ذلك الوقت عرفت (جمال) وزاملته وعملت معه تلك السنين الطويلة ، فعرفت فيه المتحكم في اعصابه ، الضابط لها ، الذي لا تظهر عليه انفعالات حتى في احرج الاوقات ، كما ان المتحدث معه مهما يكن حظه من الذكاء والفطنة لا يستطيع ان يعرف من ثنايا حديثه معه ما اذا كان موافقا على كلامه ام لا ، ولا ان ينفذ الى رأي يكون قد رآه . ان رأيه لا يبديه لمحدثه، فاذا ما انتهى الحديث وخرج محدثه من عنده خالجه شعور بالارتياح الى الاثر الذي تركه في نفسه . اما الحقيقة فعسير عليه ان يعلمها .

(ومع هذه المقومات وغيرها ، فلا يكفي ان يكون الانسان ذكيا نابها

قوي الشخصية ليلي الزعامة والرياسة والقيادة ، انمـا لا بد ان يكون الى جانب ذلك ممن يعرفون بمحالفـة التوفيق لهم في اعمالهم . فمن الجائز ان تتوافـر هذه العناصر كلهـا في شخصية من الشخصيات ، فترتفع بها الى مستوى من مستويات النبوغ او العبقرية . ولكنهـا لا تستطيع ان يكون لها شأنهـا الايجابي الفعال الا اذا استكملت بهذا العامل الاخير ، وهو عامـل التوفيق ، ولا يكـون حليفـا الا للمخلصين .

(وقد توافـر هذا الاخلاص لجمال ، فتوافر له بقدرة هذا التوفيق البعيـد ونصره الله ، وكان لـه من اسمه جمال عبدالناصر نصيب فـي تحقيق النصر ، فاصبح علمـا لـه ورمزا ، وكانت هذه الكلمة الطيبة كلمة السر في يـوم الثورة ، فكانت فألا وكانت بدايـة النصر على يـد عبدالناصر (قـدم السعد) .

ويقول خالد محي الدين :

(التقيت به لاول مرة سنة ١٩٤٤ . وقد ذهبت اليه بصحبة صديق لنـا في بيته بشارع الجلالي ، المتفرع من شارع رمسيس الان . ولفـت نظري اليـه لاول وهلـة شيئان بارزان .

(الشيء الاول انه مضياف كريم الى ابعد حدود الكرم ، لا يكاد الضيف يقضي معه في بيته بضع دقائق حتى يشعـر انه اصبح صاحب البيت ، وان جمالا ضيفه ، وهـذا هو السبب الذي جعلنـا فيمـا بعد نفضل ان نعقـد كثيرا مـن اجتماعاتنا فـي بيتـه .

(والشيء الثاني الذي لفت نظري اليه يومئذ انه متفتح الذهن ، شديد الملاحظـة ، يفهم بسرعة اتجاه محدثه ، ويتمتع بذكاء خاد وفطنة تمكنه من ادراك المعاني العميقة التي تستتر وراء احاديث الناس ، التي قد تبـدو للبعض عابرة .

(وهناك ما هو اهم من هذا وذاك . فهو يتمتع بابرز صفات القادة ، فينشيء الالفـة والود والصداقة بين جميع معاونيـه ، ويحس بالخطر الذي يتهدده وهو في طريقه اليه ، وامام هذا الاحساس تستيقظ عنـده القدرة على سرعـة اتخاذ التدابير السريعة اللازمة ، التي تحول دون وقوع الخطر ، وبفضل هذه الصفات القيادية الحكيمة نجحت الثـورة وتحررت مصر واشرق فجر الوطن العربي الكبير) .

مقدرة عبدالناصر :

ويتمتم زكريا محي‌الدين هذه الكلمات ، فيقول :

« رأسي مليء بالحقائق المضيئة عن الحوادث الكثيرة التي كشفت عن شخصية جمال عبدالناصر القيادية المثلى .. ولقد تحدثت من قبل عن موقفه عندما هاجمته قوات اسرائيل يوم ٢٨ كانون الاول ١٩٤٨ في مواقعه (بعراق المنشية .. وكيف استطاع بقدرته وبراعته وشجاعته ان يجعل من الضعف قوة ، ومن الهزيمة نصرا . وبالتالي فقد استطاع ان ينقذ القوات المصرية كلها في فلسطين وقتئذ .. وهناك احداث كثيرة من هذا القبيل في حياة جمال ، اهمها كما نعلم جميعا ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، ففي تلك اللحظات الحرجة من حياة الوطن .كانت شخصية جمال عبد الناصر القيادية ، وايمانه بالنصر وسط الظلام الحالك والعواصف والانواء التي تهب عليه من كل ناحية .. كانت تلك اللحظات التي انتهت بالنصر المبين خير دليل على شخصية الزعيم ، واروع مثل للقائد الذي يملك زمام الموقف دائما ، ويسيطر على اعصابه في اقسى الظروف . ويستطيع ان يجعل من القوة التي لا تكاد تقوى على الدفاع ، قوة تقوم بالهجوم وتصنع المعجزات .. انه ينبوع يفيض بالامل والحماسة والايمان .. الايمان بالله ، والنصر الذي هو من عنده ».

٧

ايام الوحدة الحلوة
اخبارها وتأثيرها واستقبال العرب لها

الوحـــدة :

لقد اراد الشعب العربي فيسورية الوحدة مع الشعب العربي في مصر ، فكان له ما اراد ..

ارادها بالاجماع ، وطلبها بالحاح .. وضحى في سبيلها كل انواع التضحيات .

تحمل الارهاق والعذاب والاستعباد والدكتاتوريات المختلفة .. حتى استقام له السبيل اخر الامر ، فعبر عن رجائه هذا باجماع رجاله ونسائه وشبابه وكهوله ، وكما اجمع على الوحدة اجمع على اختيار جمال عبد الناصر ، رئيسا للجمهورية العربية المتحدة .

فحكومة القاهرة لم تطلب هذه الوحدة ، ولم تسع اليها . لم تنفق قرشا لشراء الذمم ، او كسب الانصار !

ان صحف القاهرة لم تكتت حرفا واحدا تدعو به الى قيام وحدة كاملة بين مصر وسوريا !

ان عبدالناصر لم يتكلم مع سياسي واحد او وزيرواحد ليقنعه بالفكرة او يغريه بمزاياها !

ولكن الرأي العام العربي هو الذيفعل ما لم تفعله الصحافة ولا

الحكومة ولا الاذاعة ولا المال ، ولا جمال عبدالناصر !

هذا الراي العام هو الذي حطم الاسوار .. هوالذي انهى الحدود. هو الذي دفع رجال الاحزاب دفعا الى الوحدة الكاملة !

حتى شكري القوتلي رفض ان يدعي انه صاحب الوحدة ، وقال :

ـ اكذب عليك اذا قلت انني صاحب الفضل فيها ! ان صاحبها هو الشعب كله . . وانا منفذ ارادته !

وهذا هو سر المفاجأة الكبرى التي فوجيء بها العالم !

ولقد سمعت ان موظفا كبيرا في سفارة اجنبية صديقة جرى الى السفارة المصرية في دمشق يوم الوحدة ، كان يلهث من العدو .. كان يرتعش من الاضطراب ، وقال للموظفين من اصدقائه :

ـ خربتم بيتي ! سوف افقد منصبي ! سوف اطرد من السفارة ! كيف تحدث الوحدة دون ان اعرف ! انني كل يوم مع رئيس الجمهورية . ومع الوزراء ومع الزعماء .. ولم اعرف ان دولة جديدة ستولد ، وانها ستضم مصر وسوريا ؟.

وراح موظفو السفارة المصرية في دمشق يقسمون له بانهم فوجئوا! وانهم دهشوا وانهم لم يصدقوا آذانهم وهم يسمعون اذاعة القاهرة تعلن النبأ الخطير .

هذا الذي حدث في سفارة مصر في دمشق .. حدث مثله في مجلس الوزراء السوري .

قصّ احد الوزراء السوريين انه كان يتعشى ليلة سفره الى القاهرة مع احد كبار السفراء .

وجرى الحديث على المائدة عن كل شيء وعن كل احتمال .

ولكن احتمال قيام دولة واحدة من مصر وسوريا لم يجر على لسان احد .

وانصرف السفير الاجنبي .

واذا بتيلفون في الساعة الاولى من الصباح يدعو الوزير السوري للسفر الى القاهرة .

وسافر الوزير واعلنت الدولة الجديدة وعاد الوزيرالسوري الى دمشق .

وقاطع السفير الاجنبي الوزير السوري .

وقال لاصدقائه انه لم يكن يتصور ان السفير السوري يخدعه هذه الخديعة الكبرى .

انه لم يصدق عينيه عندما قرأ في صباح اليوم التالي ان مجلس وزراء سوريا طار الى القاهرة .

ولم يصدق اذنيه عندما اذيعت بعد ساعات انباء قيام الدولةالعربية المتحدة .

لقد توهم السفير الاجنبي ان الوزير السوري كان يخدعه طول الوقت ، كان يحدثه في كل شيء الا في النبأ العظيم الذي كان سيحدث بعد ساعات .

وكثيرون من السفراء الاجانب في القاهرة ودمشق تلقوا برقيات توبيخ من وزراء خارجيتهم :

ـ كيف لم تعلموا بنبأ هذه الدولة قبل قيامها ؟

ـ كيف لم تبرقوا لنا بما كان يحدث في الخفاء؟

ـ ماذا كانت تفعل اقلام المخابرات ؟

ـ ماذا يفعل العملاء والجواسيس ؟

ـ يا ضيعة الملايين التي ننفقها للحصول على الانبا والاخبار والاسرار

ولكن السفراء الاجانب كانوا مظلومين ! ان احدا لم يخدعهم اويحاول ان يخدعهم .. ولكن الاحداث سارت بسرعة مذهلة .

دهشوا :

لقد روى الوزراء المصريون والسوريون انهم عندما عقدوا مجلس الوزراء المشترك الذي حضره جمال عبدالناصر وشكري القوتلي دهشوا .. بعد دقيقة واحدة من الاجتماع لم يعد في الاجتماع جانبان ..شعروا انهم اصبحوا مجلس وزراء واحدا .. المسائل الضخمة التي ظن بعضهم انها تستلزم مفاوضات واجتماعات ودراسات وابحاثا ولجانا فرعية .. لم يستغرق كل هذا الا دقيقة ونصف دقيقة .

وعندما جرى الحديث عن سلطات جمالعبدالناصر في فترةالانتقال كان الوزراء السوريون هم المطالبين بها والمتحمسين لها .

وكان هناك معارض واحد متحمس ضد هذا الاجماع .
ومن الغريب ان هذا المعارض كان جمال عبدالناصر نفسه .
واضطر جمال بعد مناقشة ان يخضع لرأي الاغلبية ، ويقبل كل هذه السلطات .

الاستفتاء :

وطلب جمال عبدالناصر ان يستفتي الشعب السوري العربي في الوحدة ورئاسة الجمهورية .
وتعين يوم الجمعة لهذا الفرض .
وزحف مليون ونصف المليون من الشعب العربي في الاقليم الشمالي، يوم الجمعة ، الى صناديق الاستفتاء ، فأعلنوا تأييدهم الكامل الصادق للجمهورية العربية المتحدة ونادوا بسيادة الرئيس جمال عبدالناصر رئيسا لهذه الجمهورية الفتية القوية .

الوجوه ضاحكة ، والصدور مغتبطة ، والنفوس مغمورة بالسعادة والهناء فقد تحقق الحلم الحلو الذي دغدغ افئدة العرب ، سنوات طويلة ، واصبح حقيقة حلوة خالدة لا ريب فيها .

لقد وضع كل مواطن في الاقليم السوري يده على ضميره ، وعاد بذاكرته الى الماضي العربي المجيد ، يوم كان العرب امة واحدة ، وكانوا خير امة اخرجت للناس ، ومشى الى (صندوق الاستفتاء) في خيلاء وانتصار ، ليقول كلمته ، وكانت كلمة ساحرة وفية لعروبة المواطنين ولحماستهم ، ولاندفاعهم الساحق في تأييد الوحدة بين مصر وسورية، وفي المناداة بالبطل العربي الشاب اول رئيس لهذه الوحدة الكبرى .

.. وقبل يوم الاستفتاء ، مضى اسبوع كامل على دمشق ، وهي مغمورة بالافراح والاحتفالات ، تنتظر اليوم السعيد الموعود ، يوم الجمعة يوم الاستفتاء والمبايعة .

ويصف لنا محرر في المصور صورة حية للانتخابات التي جرت في سورية فيقول :

« ليتك كنت معي في الجزء الشمالي من جمهوريتنا الوليدة ، ليتك كنت معي في سورية ، لترى بعينك وتسمع بأذنيك وتحس بقلبك . وما اخالك الا رائيا سامعا على البعد .

ليتك كنت معي لتكون شاهدا بنفسك ، فانني اعترف ان قلمي عاجز عن نقل الصورة لـك . وانني اقرر ، غير مغالط ، انني في حاجة الـى مائـة عين ، والف اذن ، وقلب واحد لاجيدالتعبير لـك عما رأيت وسمعت واحسست !.

يـوم الاستفتـاء :

كنت في مسجد جامع سيدي هشام في حي الشاغور ، حيث اختار القوتلي ان يدلـي بصوتـه .

فأن هـذا الحي مسقط رأس القوتلي ، وقد ادلى فيه بصوته فيكل انتخاب اجري في بلاده . كان اهل الحي .. واناس اخرون اقبلوا مـن كل احياء دمشق يملأون كل الشوارع المؤدية الى المسجد .

وتأخر موكب الرئيس القوتلي . فقد كـان مع الوزراء في بيتـه، تلتقط لهم الصور التذكارية ، ويتجمعون لينطلقوا الى مركز الاستفتـاء معا .. ووصلوا في العاشرة والنصف .

وكانت اثار الدمـوع في عيني الرئيس القوتلي ..

وشق القوتلي طريقه بين صفوف الالوف من مستقبليه حتـى وقف امام صندوق الانتخاب ، والتقط ورقتي الاستفتاء من يد رئيس اللجنة، وسـاد المكـان وجوم ، لم تكـن تشوبهالا هتافات صاخبة تقتحم المسجد مـن الخـارج .

ثوان من اجمل لحظات التاريخ .. وادقها ! وامسك القوتليبالقلم، وملأ الفراغ الابيض في الدائرة الحمراء . بدأ بورقة الوحدة ، فانها جامعة القلـوب . وانتهى بورقة جمال ثم قال :

ـ لقد انتخبت جمال عبدالناصر .

واخذت جماهير الشعب العربي السوري تملأ كل شوارع دمشق ، تغنـي وتنشـد :

يا جمال يا جمال	يا صافع الاستعمـار
في تابوت الاستعمار	بندقوا آخر مسمار
هنا وحدة عربيـة	اسـلام ومسيحيـة

اهازيج جميلة خرجت من الحناجر والقلوب معا .. واستقبلتهـا

اذني مـع الفجر من يوم الجمعة . .يوم الاستفتاء .

وخرجت اشق طريقي بين سيول من البشر تتدفق على مراكـز الاستفتاء ، لتعبر عن ارادتها . لتقول انها تريد الوحدة . وتريد(جمال) .

كل الناس اقبلوا على صناديق الاستفتاء . الشيوخ والرجـال والشبان ، الشابات والسيدات الطاعنات في السن . حتى الاطفال اقبلوا حول لجـان الاستفتاء يهتفون لجمال .. وهذا اضعف الايمان .

وصور جمال على كل بيت ، على كل جدار ، على كل واجهة لحانوت، على رؤوس النساء في (ايشاربات) ، في جيوب الشبان ، فـي قلـوب الجميـع . والهتافات تشق عنان السماء .

وتدفقت على اللجان نسبة من المقترعين لم تشاهد لها سورية مثيلا في تاريخهـا .

كانت نسبة من اقبلوا على الاستفتاء ممن لهم حق الاقتراع ٩٠ ٪

اي ثلاثة اضعاف اي انتخابات مضت في سورية !

ولهذا دلالته على الاجماع الرائع الذي حدث .

وفي الساعة العاشرة من المساء تعانق الناس ، وتبادلوا التهنئـة بالنتيجـة الرائعـة .

كان اجماعا لم يشهد له التاريخ مثيلا .

اجماعا على الوحدة .. واجماعا على رئاسة جمال لها .

زيـارة سوريـة :

وكان لا بد لجمال عبدالناصر ان يزور سورية .. ليجتمع الى ابناء الشعب الذي اختاره بالاجماع .. وليدرس بنفسه مشاكلهم ومطالبهم .

ولكنه لم يعين موعدا معينـا .

نزلها قلى غير انتظار .. فقامت الدنيا ولم تعد تقعد .

كان قادة الجيش في دمشق بالمطار ينتظرون وصول الطائرة التـي تقل المشير عبدالحكيم عامر .. ووصلت الطائرة ، وفجأة اطـل منهـا الرئيس جمال عبدالنـاصر .

وسرى النبأ في دمشق ، وعرفت العاصمة ان (جمال) جاءيزورها. وما كاد ركبه يصل الى قصر شكري القوتلي حتى كانت الجماهير قـد

تجمعت بالالوف في الميدان الفسيح امام القصر، وخرج (جمال) الى الشرفة يرد تحية الجماهير التي ارتفعت هتافاتها تدوي في انحاء العاصمة الثانية .

ولما هدات الجماهير ، بدأ جمال يخاطبها .. بدأ يعاهدها ان يكرس نفسه وجهده للامانة العظيمة التي حملها .

وآمنت الجماهير بان وحدة العرب هي طريق القوة والعزة ،وامنت بأنها حينما اختارت الوحدة ، واختارت (جمال) .. احسنت الاختيار.

وأراد الرئيس جمال ان يشق طريقه من قصر القوتلي الى قصر الضيافة ، حيث تقرر ان يقيم الرئيس فيه .. والمسافة بين القصرين مائة متر فقط .. ولكن الشوارع كانت مفروشة بالقلوب ..والموكب يسير فوق المهج .

كانت دمشق كلها تلتف حول الموكب .. تعانقه الاجساد والاعين والحناجر .

سدّت الجماهير كل الطرقات .. وكأنما ترى دمشق يوم البعث.

وكان يوما ما رأت دمشق مثله .

الرجال والنساء.. الشيوخ والاطفال .. الطلبة والموظفون .. ورجال البوليس والجيش ، التجار واصحاب الاعمال .. الجميع تركوا اعمالهم وتزاحموا حول موكب الرئيس .

الموكب يسير ببطء .. يشق طريقه وسط القلوب المحتشدة بصعوبة فائقة . ولما قطع الموكب المسافة بين القصرين .. وكانت مائة متر ، كان قد مضى من الزمن ساعتان .

ساعتان من العمر

وما ان وصل الرئيس الى دار الضيافة حتى بدات مشاوراته السياسية .. فاجتمع بشكري القوتلي اجتماعا طويلا .. كانت تقطعه الهتافات الصادرة من مئات الالوف من القلوب العربية من اهالي دمشق وما جاورها من القرى التي احتشدت حول القصر تنادي :« جمال .. جمال » . وتطلب منه (ان يطل عليها) .

وكان جمال يطل بين كل وقت واخرمرات في اليوم الواحد .

ولكن عيون الشعب لم تكن تشبع من رؤيته ، فما ان يعود الى داخل

القصر ، حتى تعـود فتطالب بعودته اليهـا .

دق الطبـول :

كانت النساء تزغرد .

والطبول تدّق ، والاطفال يصيحون ، والرجال يهتفون .

ثم يلتقي الجميع في النهاية خلال هذا النغم ، ويلتفت جمال عبـد الناصر الى شكري القوتلي وفي عينيه دمـوع ..

وكانت هذه الدموع اروع كلمـات عبر بها الرئيس عما يعتمل فـي صدره من محبة نحـو هذه المشاعر والاحاسيس .

والمرة الثانية حينما وقف في قاعة قصر الضيافة واخذ يستقبـل الوفود القادمة من حمص وحلب وحماة واللاذقية والقامشلي والدرعـاء والسويـداء .

ساعتها دخل وفد حلب .

وكان في المقدمة شيخ اعمى ، واقترب الرجل من الرئيس ، ثم سأل الواقفيـن حولـه :

ــ اين هـو ؟

وامسكه عبدالحميد السرّاج من يده وقاده الى يد الرئيس الممتدة ، وامسك الشيخ بهـا ثم قال لجمال :

ــ اعذرني يا سيدي . انا لا اراك ولكنني احفظ صوتك . ارجوك ان تتكلم حتى اتأكد انك جمال عبدالنـاصر .

وبكى الرجل ، وظهرت الدموع في عيني الرئيس جمال عبدالناصر، وقـال له :

« ليتني استطيع ان اعطيك عيوني لترى بها .. ان قلبك المؤمن هو عيـن الله التي تهديـك » .

وشدّ الشيخ الاعمى على يد جمال عبدالناصر ، واخذ يصيح :

ــ هو .. هو بعينه .. حبيب القلب .. انت جمال عبد الناصر .

واخرج الشيخ من جيبه مصحفا ووضعه في يد الرئيس عبدالناصر، وهـو يقول بفـرح :

« الحمدالله .. لقد اقسمت ان اعطيك هذا القرآن في يدك ليحفظك

ويرعاك .. واستجاب الله دعائي .

ايام في دمشق

وكانت كل الايام التي عاشها جمال عبدالناصر في دمشق تحمل في طياتها هذه الصور وهذه المعاني الكبيرة ..

صورة السيدة التي وقفت خلف سور القصر تزاحم الناس وتحمل طفلها الرضيع بين يديها وبقيت تنتظر الساعات الطوال حتى خرج جمال عبدالناصر الى الشرفة وامتدت يده تصافح الايدي الممتدة فيالهواء ـ على البعد ـ ونسيت السيدة نفسها وطفلها..والقته على الارض وسط الالوف المتدفقة لكي تصفق للرئيس ولفت نظرها احد الحراس الى ابنها وقال لها : ان الاقدام سوف تدوسه في غمرة الفرح .. ونظرت اليه الام وكان جوابها في كلمتين : فداء جمال !

وصورة السيدة العجوز التي جاءت منحي المهاجرين في الفجر وبقيت واقفة قرب القصر حتى طلع النهار ثم اخذت تزاحم الرجال . ومضت تخوض امواج البشر التي سبقتها الى باب القصر وظلت هكذا ساعتين ، وحينما وصلت الى الباب اخذت تبكي وتطلب الدخول لكي تعطى زهور البنفسج للرئيس ، وحينما تعبت من هذه المحاولة ابتعدت قليلا ثم قفزت من فوق السور ودخلت القصر وبقيت واقفة في القاعة ساعتين ايضا ، وحينما نزل جمال عبدالناصراندفعت نحوه ومضت تبكي وتقدم له الزهور وتقول : اعذرني واعذر دموعي .. انني ارى فيك ابني الشهيد وزوجي واخي .. لا تتركنا .. ابق معنا دائما !

من الاردن

وصورة الشاب الاردني ، الذي اخترق الحدود وجاء الى دمشق سيرا على قدميه لكي يرى جمال ، وحينما دخل قصر الضيافة معالوفد الاردني اخذ دوره في الطابور وصافح الرئيس ثم خرج من الباب الثاني وعاد الى الطابور يأخذ دوره من جديد ، وحينما اكتشف رجال القصر الحكاية قالوا له : لقد صافحته قبل ذلك .. واخذ الشاب الاردني يتوسل اليهم ان يتركوه لانه نسي ان يقبله ، وسمع الرئيس الضجة فضحك وقال لهم : اتركوه يدخل .. ودخل الشاب وقبل جمال عبدالناصر وهو لا يصدق عينيه !

من لبنان

وصورة الطالبة اللبنانية ، التي هتفت وسط المدرسة في الصباح

لجمال عبدالناصر والجمهورية العربية المتحدة وطردتها الناظرة ، واخذت الفتـاة تفكر بسرعة ، وفي النهاية اخترقت الحدود ، وجاءت لكي تقابـل جمال ، وامضت ثلاثة ايام تحوم حول القصر بلا طعام ، واهلها فـي بيروت لا يعرفون مكانها ، وتمكنت في النهايـة من ان تقفز من فـوق السور الخارجي للحديقة وتدخل .. ووقفت امام الرئيس تبكي وتقول : لقد كانت لي امنية واحدة في حياتي .. ان اراك واصافحك يـا ابـي .. ثـم تعلقت برقبته وهي تبكي وتضع في يده السلسلة والمصحف التي تحملهما ..

الشيـخ الخطيب

وصورة الشيخ هاشم الخطيب ، احـد علمـاء دمشق ، الذي حملوه من الفراش الى المسجد الاموي قبل صلاة الجمعة ، وطلب منهم ان يضعوه في قاعـة الانتظار لكي يرى جمال قبل ان يموت .. وقال له اصدقاؤه انك مشلول وان ايـة حركة سوف تقضي على حياتك ! وهـز الرجـل رأسه وصمم على رأيه .. وحينما دخل عليه جمال عبدالناصر لكي يصافحه .. استند الى الحائط واخذ يد الرئيس بين يديه وهو يصيـح بصوت متلعثم النبرات : ابشر يا سيدي .. ابشر يا جمال .. ! ثم بكى وهو ينهنه: يارب .. خذني الان .. رأيته .. رأيته قبل ان اموت !

وصورة خامسة وسادسة وبعدها الاف الصور ..

صورة دمشـق

ولكن اروعها كانت صورة دمشق نفسها ان سكان العاصمة الشمالية عددهم حوالـي نصف مليون ..

والمدينة نفسها كانت تنام بعد الغروب مباشرة وتهدأ حركتها وتخمد الحياة فيهـا حتى يجيء الصباح التالي ..

ولكنها فجأة اصبحت شيئا اخر بعد حضور جمال عبدالناصر ..

نصف المليون اصبح مليوناو نصف مليون .. وامتلأت دمشق دفعة واحدة بالقادميـن من انحاء سورية الشمالية والجنوبية ولبنان والاردن وجبل عامل وجبـل الدروز .

والهدوء والصمت انقلبا الى ضجة هائلة ، واضواء مشتعلة ، وطبـول الفرح ، واناشيد النصر ، وحلقات الرقص ، وزغاريد السوريات تدوي في كل شـارع وكل ميـدان وكل زقاق ..

وخذوا مثلا سوق الحميدية .. لقد تحول ليله الى نهاره ، وعلق التجار الانوار والزينات وفتحوا ابواب محالهم حتى منتصف الليل ،وهذا شيء يحدث لاول مرة في دمشق ..

وحينما عرفوا ان الرئيس جمال عبدالناصر سوف يصلي الجمعة في المسجد الاموي، فرشوا لسيارته السجاجيد الثمينة على طول الطريق من السوق الى المسجد ، وقال لي احد التجار : ان هذا شيء لم نفعله لمخلوق قبل الان ...

ولكن جمال عبدالناصر عندنا شيء اخر .. انه الرجل الذي كنا ننتظره من زمن ..

وسوق الخيط .. تحول الى شعلة اخرى من الانورا امتدت على الشارع العتيق الذي يبلغ طوله اكثر من كيلومترين ..

وقد قال لي محافظ دمشق : ان استهلاك الكهرباء في العاصمة في ليلة واحدة بلغ قيمة استهلاكها خلال شهرين في الايام العادية ، وانالرقم الرسمي للذين دخلوا سوريا من الاردن ولبنان والعراق خلال سبعة ايام بلغ ٥٥٠ الف شخص بخلاف الذين عبروا الحدود بصورة غير رسمية ..!

وسمعت نفس المعاني من اكرم الحوراني وقال لي : انه يسير الان في شوارع دمشق ويحس انها اصبحت شيئا اخر ليس له مثيل .. ان الفرحة التي حدثت في دمشق لم تحدث قبل ذلك ، والمحبة والاستقبال العظيم الذي قابل به الشعب جمالعبدالناصر لم يره زعيم او رئيس او حاكم من قبل .. انني احس ان معجزة من السماء حدثت في سوريا وحولتها الى هذه الحال !

ولم تقتصر الافراح بجمال عبدالناصر والجمهورية العربية المتحدةعلى دمشق وحدها او مدن سوريا الاخرى ، وانما تنافست نابلس ومدن الاردن وبيروت وطرابلس ومدن لبنان في اقامة الزينات وتعليق صور جمال ولافتات الترحيب بالوحدة ..

كيف عاشت دمشق

وهناك مثل صغير على الصورة الكبيرةالحية التي عاشت فيهادمشق.

الفتاة اللبنانية هيام حيدر ، الطالبة باحدى مدارس بعلبك ، التي ذهبت الى ناظرة المدرسة وطلبت منها اجازة لكي تذهب الى دمشق وتقابل

عبدالناصر ، ورفضت الناظرة وقالت لها : سوف تفصلين من المدرسة اذا سافرت الى دمشق ، وابلغت الخبر الى اهلها ..

ولم تنتظر الفتاة ، وانما خرجت بملابس المدرسة وركبت الاوتوبيس الى الحدود مع زميلاتها ، وتضحك وهي تقول :

ــ انني اعرف ان قدمي لن تدخل المدرسة بعد اليوم ، ولكن هذا لا يهمني ما دمت قابلت جمال عبد الناصر !.

* * *

والواقع انه لم ينقطع سيل الاوتوبيسات والسيارات القادمة عبر الحدود ، طوال الاسبوع الماضي ..

وقد قال عبدالحميد السراج : ان سلطات الامن لم تسجل مثل هذه الارقام من قبل ، وفي يوم واحد بلغ عدد السيارات التي جاءت من لبنان وحدها ٣٨٠ اوتوبيس وسيارة نقل وتاكسي خلال ١٠ ساعات فقط !

وظل السيل يهدر من كل مكان ويلتقي حول قصر الضيافة ، حتى ان قوات الدرك عجزت في النهاية عن مواجهة الضغط ، وجرفتها الالاف في طريقها .

وحينما خرج الرئيس جمال عبدالناصر الى الشرفة ولاحظ الضغط الشديد ، ورأى النساء والاطفال يكادون يختنقون من الزحام امر بفتح ابواب الحديقة والقصر وقال لمن حوله :ادخلوهم .. انه بيتهم ولا يجب ان يقفوا في الخارج !

ورأيت طفلة صغيرة من فلسطين تدخل قاعة الاستقبال وتتقدم وحدها من الرئيس وتقدم له باقة زهور وتقول :

« ان اباها استشهد في الحرب وانها جاءت ترحب به وتحييه نيابة عنه .. »

وتأثر جمال ودمعت عيناه وفي كل مكان كنت ارى واسمع والمح صور الحب والتقدير لجمال عبدالناصر .. والامل به ..

وقد قالت لي السيدة عادلة الجزائري بعد ان قابلت الرئيس :

هل تعرف ماذا يجري الان في بيوت دمشق ؟ ان جميع السيدات السوريات جلسن حول اجهزة الراديو واخذن يسجلن خطب جمال واحدة واحدة ، واصبح الشيء الوحيد الذي تسمعه الان في السهرات هو صوته وكلامه العميق ! ..

الحاكم المؤمن

وقال لي اصحاب التاكسيات في ميدان المرجه :

— انهم نسوا كل شيء ساعة وصول الرئيس ... واصبح كل همهم ان يشاركوا في الفرحة ، وقاموا بتوصيل الناس « مجانا » الى قصر الضيافة ، وكانوا يرفضون منهم « الليرة » ويقولون لهم : ان كل شيء اليوم ملك عبدالناصر !

وكل واحد كنت اقابله في اي مكان .. في الجبل او في المهاجرين او في الاكراد او في الغوطة ..

كنت اسمعه يقول : هل تعرفون لماذا نحبه ؟ لانه رجل مؤمن .. الايمان في عيونه .. والايمان في كلامه .. والايمان في عمله .. ونحن في حاجة الى حاكم مؤمن يخاف الله ويسير في الطريق الصحيح ..

الوحدة العربية

وفي المواقع الامامية المواجهة لاسرائيل، ترك الجنود اسلحتهم ومواقعهم وخرجوا يستقبلون جمال عبدالناصر على جسر بنات يعقوب وقرب بحيرة الحولة ..

وكانت فرحتهم اكبر من ان يقدرها انسان ، وكانوا يقولون : الرئيس تذكرنا وجاءنا في قلب المواقع ايضا !

وقال لي احد الضباط المرابطين على الحدود الجنوبية لسوريا وعلى وجهه معالم من الحب والحماسة المتدفقة : لقد نسيت نفسي حين اخبروني باللاسلكي ان الرئيس في الجبهة ، ولم اكد ادير رأسي حتى وجدته امامي ووجدت نفسي اصيح كالطفل الصغير واجري اليه واتعلق برقبته .. وشعرت انني اعرفه من سنين وان هناك رباطا خفيا يجذبني اليه !

وطوال هذه الايام والليالي .. لم ينم جمال عبدالناصر .. كان يصافح كل واحد .. ويضحك مع كل واحد .. ويحيي كل واحد ..

ورايته واقفا في شرفة القصر والجموع تموج امامه من كل اتجاه والزحف ينطلق تجاهه في كل لحظة ..

والاصوات تناديه من بعيد ومن قريب والاكف تصفق في نغم يشق عنان السماء ...

وسمعته يقول لمن حوله : لقد عشت احلى ايام عمري ورايت منظرا

واحدا متشابهـا في القاهرة ودمشق .. منظر الالوف التي تتدفـق كالطوفـان وهي تحمل قلوبهـا وحبها وايمانها ومن ورائها معنى واحدا كان يحلق فوق الرؤوس .. معنى « الوحدة العربية » !..

هل احدثكـم

ويصف كاتب اخر صورة دمشق في هذه الايام فيقول :

ماذا اروي لكم ؟ وماذا اصف لكم من امر هذه الايام الخالـدة مـن تاريخنا المجيد ؟ هل احدثكم عن دمشق التي تحولت شوارعها وميادينها منذ نزل بهـا جمال عبدالناصر ، الى كتل بشريـة متراصة يزاحم بعضها بعضا، وهي في مجموعها تريد لو تندفع كلهـا لكي تصل في وقت واحد الى قصر الضيافـة حيث يقيم جمال ؟

هل احدثكم عن الحياة داخل قصر الضيافة ، فأقول لكم ان الطابق العلوي منه يقيم فيه جمال واصحابه عبدالحكيم والبغدادي والسادات ، لا تكـاد تغمض لهم عين او تسنح لهم فرصة ينالون فيهـا اي قسط مـن الراحـة ، والرئيس يضطر مـن لحظة الى اخرى ان يخرج ليرد على الناس هتافاتهـم وتحياتهـم ؟

وهل تعرفـون ان « جمال » يوزع وقته بالعدل بين مخاطبة الجماهير من الشرفة ، وبين النزول الى الطابق الاول ليستقبل الوفود ، وبين التفرغ للمشاورات بعقـد الاجتماعات الطويلـة مـع مواطنينا رجال السياسـة السـوريين ؟

ان كل ما في دمشق لا ينام ، لا فارق بين الليل فيها والنهار، فالنشاط مستمر ، لا يهدأ الكبير ولا الصغير ، والكل لهم اهداف واحدة : ان يقتربوا من جمال .. ان يصافحـوا جمال .. ان يقبلوا جمال .. ان يبايعوا جمال.

ودار الضيافة ، يعيش كل من فيها ومن يلتف حولها في الخـارج على اعصابه .. فالكل تختلط عواطفهم بعقولهم .. تغمرهم النشوة احيانا فيقهقهون ، ويغلبهم التأثر احيانـا فتفلت الدموع من عيونهم !

وفود تأتي ثم تذهب ، ووفود بعدها تأتي ثم تذهـب .. وحجرات قصر الضيافـة تمـوج بالمهنئين من ابناء العروبة الذين وفدوا من كل قطر عربي ، ينزلون بالدار اهلا وسهلا ، يرحب بهم اهل الدار ، وكل من فـي الدار اهلها ، يقدمـون لبعضهم البعض الحلوى السورية المشهورة ، من بلح الشام ، وكرابيج حلب ، والمسكرة ، والبللورية ، وعصير الفواكه ، و..و..

والدار عامرة بالرجال الشيوخ ، والرجال الشباب ، والنساء والبنات والاطفال .. كل له قصته يصر ان يرويها للرئيس جمال ، والرئيس واسع الصدر ، كله عطف وحنان، يريد لو يستمع للكل ، ويجيب الكل الى ما يريدون .

وهل احدثكم عن حنان الزعيم جمال وهو يستمع الى امهات الشهداء، والى ابنائهم ، يروون قصص استشهاد الازواج والاباء الابطال ؟

ان كل من يدخل قصر الضيافة ، يريد ان يصافح جمال ، ان يعانقه، ان يقف معه الساعات الطويلة يستمع اليه ويتلقى ارشاداته وتوجيهاته ولكن الحظ لا يواتي الجميع ، فمن تفوته فرصة رؤية جمال والتحدث اليه، يقنع بان يترك لجمال خطابا يضمنه ما يعتمل في نفسه من معاني الحب والتقدير ... ولقد تكدست خطابات الناس حتى اصبحت تحصى بالالوف ..



٨

القــوة وراء العــرش

مــن هــو الرجل المجهول ؟

البكباشي لا يوافـق

بعد ان استقرت الثورة في مصر اختار الضباط الاحرار اللواء محمد نجيب ليكون رئيسا للحكومة رغم انه لم يكن من الضباط الاحرار ولكنه كان من الضباط المعتدلين الموثوقين سنا ..

وبدأ محمد نجيب يصدر القرارات والبيانات باسم الثـورة حتى اذا انقضت على الثورة فترة يسيرة ، شرع المراسلون الصحفيون الاجانـب يلاحظون شيئا غريبـا .. فقد حاولت وكالة « الاسوشيتدبرس » ذات مرة ان تبعث برسالة برقية كان محمد نجيب نفسه قد وافق عليها فاذا بهـا تحجز ولا ترسـل ...

وحين اعترض مراسل الوكالة بان محمد نجيب نفسه وافق علـى الرسالـة قيل له :

ـ ولكن البكباشي لـم يوافق ..

واخذ المترددون على دوائر الحكومة وعلى مقر قيادة الثـورة من لا يعرفون اللغة العربية ... اخذ هؤلاء يلاحظون ان اشياء كثيرة كان لا بد من تحويلها الى البكباشي (الليوتنان كولونيل) .ولكن من هو البكباشي ؟ هل كـان قوة خفية وراء العرش ؟

هل كان رجل مصر القوي شخصااخر غير محمد نجيب ؟ لقد اجـاب

محمد نجيب نفسه على هذا السؤال في صراحة بالغة امام اثنين من مراسلي الصحف بعد اسابيع معدودة من حدوث الانقلاب .

لقد قال محمد نجيب :

– اذا اردتما ان تتحدثا في هذه المسألة مع صاحب القوة الحقيقية في حركتنا فاني اقترح عليكما ان تذهبا الى ثكنات العباسية وتجتمعا بالبكباشي .

وذهب سكرتير محمد نجيب الصحفي ، الكابتن رياض سامي ، مع الصحفيين الى العباسية ، احدى ضواحي القاهرة . وهناك ، في احدى الثكنات ، وجدا رجلا فارع الطول مستسلما للرقاد على سرير عسكري خشن .

وتقدم رياض سامي نحو هذا الرجل وحاول ان يوقظه قائلا :

– جمال ! جمال ! أفق ! ان عندك زوارا .

وافاق جمال عبدالناصر ، وفرك عينيه ، وجلس على سريره العسكري ، وبدأ اول حديث صحفي له مع رجال الصحافة الغربية . وبعد ست ساعات كان الرجل الفارع الطول لا يزال يتحدث . عن اي شيء كان يتحدث ؟ عن فلسفة الثورة المصرية .

ولم تحدث تلك المقابلة الاثر العظيم الذي تستحقه في اوساط الصحافة العالمية . ذلك ان محرري الصحف كانوا قد أغرقوا الدنيا بالمقالات الصحفية التي تبجل محمد نجيب حتى لقد اصبح من الصعب عليهم ان يصدقوا ان نجيبا هذا لم يكن هو صاحب الكلمة الاولى في مصر .

وكان لا بد من انقضاء أشهر عديدة اخرى حتى يشعر العالم بان عبدالناصر هو رجل مصر القوي . فقد كان عبدالناصر لا يحب الظهور . كان كلما تربع محمد نجيب في صدر مكان ما اتخذ عبدالناصر مكانا له في الصف الثاني او الثالث ، وكان لا يزال غير معروف جدا لدى الشعب المصري نفسه .

العمل وراء الستار :

وكان دور الرجل العامل من وراء الستار محببا جدا عند رجل « بني مر » الفارع الطول . وانا واثق كل الثقة من انه كان يؤثر ان يواصل عمله من وراء الستار . فهو لم يحب في يوم من الايام الوقوف في صدر المسرح ، تحت وهج الاضواء المسلطة .

ان كره عبدالناصر لمظاهر العظمة هو احدى الخصائص القوية التي تكون شخصيته . ان احدا من الناس لم يستطع ان يزعم انه سوف يصبح فاروقا جديدا ، او انه قد اثرى على حساب الامة . وزيارة الى منزل عبد الناصر تظهر لكل شخص كيف احتفظ الرجل بحياته البسيطة بعد سنوات عديدة من توليه مقاليد السلطة . فعبدالناصر وافراد اسرته لا يزالون يسكنون حتى اليوم في ذلك المنزل الذي كانوا يسكنون فيه يوم كان هو ضابطا بسيطا في الجيش .

ومنذ ان اصبح عبدالناصر رئيسا اضاف الى منزله طابقا جديدا وجناحا اضافيا . ولكنه لا يزال ، اذا نظرنا اليه كمقر لرئيس الدولة ، منزلا بسيطا جدا .

ان عبدالناصر رجل ضخم يزيد طوله على ستة اقدام ، ويزيد وزنه على مئتي باوند (رطل انكليزي). وهو « دينامو » بشري، يتمتع بطاقة لا حدود لها ، ولا يكاد يجد وقتا للنوم . ان متعته الاولى في الحياة هي عمله، هي ثورته ، فهو يوجه اليهما كامل قوته . وهو يعمل في معظم الاحيان في منزله .

لقد قال لي مرة :

ــ « ان مكتبي في قلب العاصمة ليس الا مكانا للاستقبالات . اما حين تكون لدي اعمال اساسية جدية فانني افضل ان اقوم بها هنا في البيت، حيث يسود الهدوء ، وحيث لا يصرفني عن العمل شيء » .

وفي تلك المناسبة بالذات كان قد عمل حتى الساعة الرابعة صباحا، ثم نام قليلا واستيقظ في الساعة السادسة . وعبدالناصر يواصل سهره الموصول هذا طوال اشهر متوالية حتى ينفد معين نشاطه . وعندئذ يطرح العمل ويأخذ قسطه من الراحة .

اولاده :

ولعبدالناصر خمسة اولاد ، ثلاثة اولاد وبنتان ، والبنات هن اولاده الاكبر سنا ، واما الصبيان فهم اصغر اولئك الاولاد . واحسب ان احب اولاده اليه هو اصغرهم .

ولقد سألت عبدالناصر ذات مرة لماذا لم ينتقل الى احد قصور الملك

فاروق السابقة ، بدلا من البقاء في منزله الاصلي . فقـال :

ـ لا نستطيع ان نفعل ذلك . اننا اذا انتقلنـا الى هناك تعين على كل منـا ان يحيا في جناحه الخاص ، وعندئذ يتشتت شمل الاسرة . امـاهنا، في منزلنـا هذا ، فاننا نعيش كلنـا معا .

ثم اضاف ضاحكـا :

ـ « وهناك سبب اخر ايضا ، ففي العام الماضي انتقلنا الـى قصر الطاهرة (احد القصور الملكية القديمة) حيث قضينا بضعة اسابيع ريثمـا يتم بنـاء الجناح الجديد في بيتنا . فشرع اولادي يلعبون في اروقـة القصر ، واخذوا يكسرون تلـك الزهريات النفيسة والتحف الفنية . وكان عليّ انا ان ادفـع قيمتها الى الدولة . ان حالتي المالية لا تساعدني علـى العيش في قصر !»

وعبدالناصر يلعب التنس فيبعض الاحيان ، ولكن وسيلته المفضلـة الى الراحة هي لعب الشطرنج ومشاهدة الافلام السينمائية . لقد علم اولاده الشطرنج ، وهو يحب ان يقضي السهرة وهو يلعب معهم .

وقال لي مـرة :

ـ « انا اتركهم يغلبونني ما استطعت الىذلك سبيلا. لاني اريد منهم ان يحبـوا اللعبـة » .

الرئيس في حياته الخاصـة :

والرئيس المصري يحب السينما . ففي ايام الثورة الاولى كان يشهد الحفلات السينمائية كلمـا وجد متسعا من الوقت . وكان يصطحب معه بعض مراسلي الصحف فيهذه المناسبات . ولكن ضغط العمل ما لبث ان اكرهه على الاقلال من الذهاب الى دور السينما ، الا في الاحوال النادرة، ففي سنـة ١٩٥٦ مثلا كانت اعماله لا تكـاد تبقي له ذرة من اوقاتالفراغ: تأميم شركـة قناة السويس ، حرب السويس ، الخ.. وكنتيجة لذلك لم يشهد غير فيلم واحد طوال السنة . وكان ذلك في شهـر اب (اغسطس) عندما استطاع ان يشخص الى الاسكندرية طلبا للاستجمام بضعة ايـام، مع عائلته ، في قريـة قريبة من الاسكندريـة .

وقال عبدالنـاصر :

« وقبل ان ينتهي الفيلم جاءني رسول واخبرني ان (دالس) قداعلن مشروعه الخاص بتدويل القناة . فكان عليّ ان اغادر دار العرض قبل انتهاء الفيلم » .

وقد استطاع عبدالناصر ان يعوض عن ذلك في العام التالي .
وتوضيحا لذلك قال لي :

« لقد اقمت جهازا سينمائيا هنا على ارض ملعب التنس المجاور لمنزلي . حيث اشهد كل ليلة جميع تلك الافلام التي فاتتني مشاهدتها في العام الماضي ، بما فيها ذلك الفيلم الذي لم اتم مشاهدته في الاسكندرية »

وروح الفكاهة عند عبدالناصر تؤلف جزءا من سحر شخصيته . انه ليس مقذعا ، ولكنه يملك نصيبه من روح الفكاهة التي يتميز بها شعب وادي النيل .

ولقد قلت غير مرة ان سحر شخصية عبدالناصر يفتن كل من يقابله. وأنا لا اذكر اني رأيت رجلا تحدث اليه ثم خرج من عنده وهو غير معجب به . وقد تجري معه حديثا فيقنعك دائما بوجهة نظره حتى اذا فارقته، وتحررت من سحر شخصيته ، بعد ساعة او ساعتين ، فقد تجد نفسك تختلف معه في الرأي ، اما اثناء سماعك للحديث فلا بد لك من الاقتناع بما يقول .

وفي ايام الثورة الاولى شن صحافي مصري شاب حملة صحفية ضد جمال عبدالناصر .. وطالب المحرر الشاب بوضع حد للحكم الديكتاتوري في الحال ، وبالعودة الى الحياة البرلمانية .واشتدت الحملة حتى اصبح من العسير السكوت عليها ، فاعتقلت السلطة الصحافي . وبعد فترةقصيرة قضاها في السجن اصدر عبدالناصر امره بالافراج عنه .

هذا الصحافي حدثني مرة حديث هذه المسألة فقال لي :

« وما كاد يفرج عني حتى دعاني عبدالناصر الى الاجتماع به .. لقد قضيت في حضرته اربع ساعات ، ومنذ ذلك الحين وانا من رأيه علىطول الخط . لقد اقنعني فيكل نقطة . انه اقوىمن عرفت من الناس حجة واقدرهم على الاقناع » .

ثقته بنفسه :

وعبدالناصر يتكلم الانكليزية بطلاقة ، ولكنه لا يتكلف التكلم بها بلهجة

اوكسفوردية او برطانة اميركية . ان عبدالناصر يتكلم الانكليزية بالنبـــرة المصرية ، فلا تنسى وانت تستمع اليهانك امام رجل مصري صميم .

والاجتماع بعبدالناصر واخذ الاحاديث منهحلم من احلامالصحافيين. انه لا يتهرب قط من اي سؤال ، ولا يحاول ان يقذف الصحافي باجابات موجوزة لا تغني ولا تسمن من جوع . انه لا يجيب عن الاسئلة فحسب، بـل يتوسع فيذلـك حتى النهايــة . ذلك انه متمكــن من موضوعه، فهو يريد ان يتحدث ويتحدث حتى تصبح كل نقطــة صافية كالبلور .. متواضع.. سريع الاعتراف باخطائــه .

٩

ثورة عبدالناصر على الاستعمار الغربي
لمـاذا نؤمن بكـل مـا يفعلـه
ونـوافق علـى مـا يقولـه

السياسة الاميركيـة :

لعبت السياسة الاميركية مع العرب اكثر من لعبة ، واكثر من مخادعة ومخاتلـة ومماطلـة ..

كـان همها السيطرة على السياسة العربية ، والحكومـات العربية .. عندمـا عجزت عن السيطرة على الشعب العربي .

فاذا ترددت دولة من الدول في الموافقـة على سياستها .. منعت عنهـا المساعدات او السلاح او القمح .. وحاصرتهـا سياسيا ، ودفعـت اسرائيل الى مهاجمة حدودها حتى تستسلم وتتراجع .

فعلت هذا مع سورية ، ومع الاردن ، ثم مع مصر ، حين حاربت مصر في عهد عبدالناصر حلف بغداد والاحلاف الاخرى .. ولمـا حاولت مصر شراء السلاح لتدافع عن نفسها . .وعدتها اميركا بان تبيعها حاجتها ... حتى اذا اتفقتا على كميات السـلاح ، وكانت قليلة لا تغني ولا تسمن ، ترددت اميركا ، ثم سحبت وعدها ، تمامـا كما فعلت مع السد العالـي.. وكمـا تفعل اليوم ، بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

لقد اعلن (جونسون) ان اميركا لن تسمح باحتلال احد لمنطقة الاخـر،

ولو انتصر العرب لنفذ وعده ، بالتهديد والوعيد ، واما وقد احتلت اسرائيل ارض العرب .. فقد سكت عن احتلالها هذا .. ونسي وعده ، ونسي انه يتكلم باسم اميركا كلها .. وراح يقول : ان الحكومة الاميركية لا تستطيع اجبار اسرائيل على سحب قواتها ..

ولكن ما لنا ولهذا .. ان لهذه القصة نهاية في غير هذا المكان ، ومن المنتظر ان تنسحب اسرائيل واميركا معا ليس من ارض العرب ، بل من اوروبا ايضا .. بعد ان ضاق العالم بالسياسة الاميركية وخداعها ذرعا .. وبعد ان سلط ربك عليها الفيتناميين الاحرار يذيقونها الويل والعذاب اشكالا والوانا بسبب هذه السياسة الاميركية المتقلبة .. الثعلبية .. العاملة لهضم كل حق عربي ، وللاساءة لكل ما هو عربي .. لما هاجمت اسرائيل حدود غزة ، غدرا كما هي العادة .. وقتلت عددا من الجنود المدنيين .. انذر عبدالناصر السفير الاميركي بايرود بانه اذا لم تلبي الحكومة الاميركية رغبة مصر في شراء السلاح للدفاع عن نفسها ، فانها سوف تشتريه من الروس .

وضحك الغرب .. ذلك ان احدا من السياسيين العرب لم يول وجهه شطر موسكو لان هذا يؤذيه ويؤثر على مستقبله بين قومه اكثر مما يؤثر على الغرب ، وقد غاب عن واشنطن ان عبدالناصر زعيم من طراز جديد .

قصة عربية

رويت هذه القصة لاروي قصة ثانية :

قصة عربية وقعت في عهد الامبراطورية الاموية وفي عهد معاوية بن ابي سفيان اول الخلفاء الامويين .

فقد زاره الاحنف بن قيس يوما ، في اثناء خلافته ، وكان الاحنف ممن ايدوا الامام علي ضد معاوية ، كما حارب مع علي في معركة صفين .

فلما شاهده معاوية اخذ يعاتبه على تأييده للامام علي ، فقال له الاحنف بصوت عال . وانا ارويها بروحها لا بكلماتها كما وردت في كتب التاريخ والادب .

ــ دعنا من هذا العتاب يا امير المؤمنين ، لان السيوف التي حاربناك بها

لا تزال في اغمادها ، فان اردتنا ان ننزعها من مكانها فعلنا ، وان اردت غير ذلك سكتنـــا .

عندئذ تمالــك معاويــة اعصابه ، وهش وبش وضحك في وجــه الاحنف ، واجــزل عطاءه كمـــا هي طريقته في كسب الناس اليه .

فلمـــا خرج الاحنف من القصر ، اسرعت شقيقة معاوية تسأله : مـــن هذا الرجل الذي كان يرفع صوته حتى علا صوت امير المؤمنين ؟

فقال لهـــا معاويـــة :

ـ هذا رجل اذا غضب .. غضب لغضبه مائة الف سيف لا يسألونه لمـــاذا غضبـــت !.

★★★

وكذلك نحن العرب مع عبدالناصر ، ما يفعله نؤيده عليه ولا نسأله لماذا فعلت هـــذا او ذاك .

وسبب هذا الايمـــان اننا على ثقة مـــن اخلاصه ونصحه وتضحيته وفـــداءه .

وكان ان اشترى عبدالناصر السلاح، وحرّر بلاده من كل صلة تربطه بدول الغرب،الا ان تكـــون الصلة لمصلحـــة بلاده ومصلحة العرب اجمعين.

١٠

اميركـا والثورات الثـلاث

لا يحبوننـا

الاميركيون ـ او المسئولون في اميركا ـ لا يحبون العرب ، ولا يريدون لهم الاستقلال ولا الحرية ولا الحياة الشريفة ، لسبب واحد ، هو وقوفهم في وجه المطامع الاميركية التوسعية ، ومحاربتهم للسياسة الاميركيـة الاستعمارية في كل شبر من ارض العرب ..

ونحن نبادلهم هذه العواطف ، وكلمـا زادوا حقدا علينا ازددنا حقدا عليهم ، وكلمـا حاولوا الاساءة الينـا ، اسأنا اليهم ، بان نقطع كل عـلاقـة لنـا بكـل تجارة اميركية ، وقد بدأت هذه المحاولة فعلا ، وستمتد وتمتد حتى تشمل العرب والمسلمين جميعا ..

لقد كانت اميركـا والاستعمار الاميركـي يواجهـان عبدالناصر لسنتين خلتـا ..

كانا يحاولان اسقاطه والتخلص منه حتى وقتله بهجوم تقوم به طائرات اسرائيلية على منزلـه في منشية البكري في القاهرة ـ .

حتى جونسون الرئيس الاميركي السابق ضاق بعبدالناصر ذرعا وقال بعـد النكسـة :

ـ يجب على هذا الرجل ان يذهب .. ولم يذهب عبدالناصر وذهب جونسون .. واختفى من الميدان السياسي ..

وظل عبدالناصر في الميدان العربي والدولي يصول ويجول ويجمـع العرب حوله ، ويوحد الصفوف ، ويدعو للوقوف في وجه المعتدين ، ومحاربة

العدو الاسرائيلي حتى النهايـة ...

وتحرك القـدر

ولكن القدر كان ارفق بعبدالناصر من ان يتركه وحده ...

وعلى غير انتظار امده برفيقين من المخلصين القذافي فـي ليبيـا ، والنميري في السودان .

وجن جنون السلطات الاميركية لظهور هذين الماردين .. ولكنهـا ما لبثت ان تمالكت اعصابها واخذت تحيك المؤامرات للرئيسين الجديدين لعلها تتمكـن منهمـا ومن ثورتهمـا قبل ان يقضيا على كل مصالحها في ليبيـا والسودان كمـا سوف يكـون ..

ولم تنجح المؤامرات الاميركية ، وفشلت في ليبيا ، كما فشلت فـي السودان وكان هم" اميركا ان تقضي على الثورة الليبية في مهـدها قبـل انسحاب قواتها من القاعدة(ويليس)في اواخر شهرحزيران ١٩٧٠ . ولكن الثورة الليبية كانت بالمرصاد لكل محاولة للنيل من الثورة واغراضها ..

فكان الفشل وكانت الصدمة العنيفة ...

مشكلة اميركا اليوم هي مشكلة غني الحرب الجديد الـذي يظن ان باستطاعته عمل كل شيء بماله وسلاحه وامكانياته التي لا حد لها ..

وسارت اميركـا في هذا السبيـل .. فقررت غزو دولة (فيتنام) التي تبعد عنها ثلاثة عشر الف ميل ، وكانت هذه الدولة من الهوان والضعف العسكري اذا قيست بالولايات المتحدة التي كانت تفوقها الف مرة .. قـوة وسلاحـا ومالا وعلمـا ..

ومع هذا فقد فشلت اميركا في حربها مع (فيتنام الشمالية) وثـوار فيتنام الجنوبية ، وخسرت من العتاد والمال لا يمكن حصره ، كما اسقطوا لها اكثر مـن ستة الاف طائرة باعترافها وهم لا يملكون طائرة واحدة ..

وكما اعتدت الولايات المتحدة على فيتنام ، وكما ايدت كل ظالم مستعمر في طول الارض وعرضها ، اعتدت على العرب ، وسلحت الاسرائيليين كلهم حتى مكنتهم من الاستيلاء على مساحات من ارض ثلاث دول عربية .. ولا تزال تؤيـد العدو ضد العرب ، وتطلب من العرب الذين وقفـوا يناضلون ويحاربـون ويعملون على استخلاص ارضهم من عدوهم ان يتوقفوا عـن

الحرب والقتال ، وان يرضوا بالصلح مع اسرائيل ، وان يتنازلوا عن بعض ارضهم لهـا ايضا تقديرا للعدوان وتشجيعا على السلب والنهب ، ونكايـة بكل امم العالم الذين وقفوا ضد العدوان ، وطلبوا من اسرائيل الانسحاب من الاراضي العربيـة ..

الكرامـة

لقد مرت على البشرية عهود كان الناس فيهـا يدافعون عن كرامتهم بما يملكـون من السلاح خف ام ثقل .. فـان عجزوا كان لهم موقف اخر اقله مقاطعة المعتدي والتعاون مع المخلصين لوضع حد لطغيانه وجرائمه .

ثم اشرق علينا هذا العهد الذي شهدنا فيه(١٢٠) دولة تجمعهـم جمعية امم دولية يقررون انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية فلا تفعل، وتؤيدهـا اميركـا في رفضها ، ثم تقف امم العالم لا تدافع عن كرامتهـا ولا تقاطع المعتدين الظالمين ،وهـو اضعف الايمان ..

ولكن لا علينا .. سوف نقوم نحن بهذه المهمة ، وسيشهد التاريخ ان آجلا او عاجلا بان شيئا لن يبقى على الارض اسمه دولة اسرائيل ..

بدانـا ندق بـاب التاريـخ

لقد بدأ شعبنـا يدق ابواب تاريخه الضخم .. ليأخذ مكانه في صدر الوجـود .. كمـا كـان في سابقات الايـام ..

ولا ادل على هـذا من ثورة ليبيـا الشقيقة ، ليبيـا التي كانـت تعيش في جـو مغلق ، وحياة راكدة ،تحكمها شخصيات تافهة ،استأثـرت بالمناصب والاموال والمصالح المختلفة حتى تحرك الشعب ، وحزم امـره ، فدفع بهؤلاء المنتفعين جانبا وامسك بمقاليده شاب نبيل مخلص خير انموذج للشباب العربي الامين المتواضع ، الذي يعرف صناعة المـوت كما يعـرف صناعة الحياة ، والذي يبيـع نفسا تموت غدا ما دعت الضرورة الـى ذلـك بنفس لا تمـوت ابـدا ..

معمر القذافي صاحب الوجه الوطني العربي الجديد ، رفيق جمال والنميري ، يهزني حين افكر به واتذكر السابقين من حكام ليبيا قبله ..

يا الهي .. اي فرق بينه وبين مخلوق اخر اسم الامير الرضى ولي عهد المملكـة الليبية البائدة ..

مخلوق لا يملأ العين ، ولا القلب ولا الاذن ، يجلس في المؤتمـرات كالاصنام ، ويتحرك فلا يحس بوجوده انسان ، لقد كان يمثل الموت ، كمـا يمثل القذافي الحيـاة ...

معمر القذافي اليوم يطوف في ارض العرب حاملا مشاريعه العربية الوحدويـة والوطنية التي توحد القلوب والافكار والاغراض داعيا العرب جميعـا لتحمل مسئولياتهم فامـا ان يعيشوا احرارا في بلادهم او عيدانا للمستعمريـن .

معجـزة

ما حدث في ليبيـا كان من المعجزات وما حـــدث في السودان مثله .. فقد كـان الســـودان ايضا مسرحا للدراويش والاقطاع الدينـي المتخلف تعبق فيه اجواء البخور واساطير الحواة والسحرة . ولم تكـن الديمقراطية الغربيـة التي كانت ممارسة هناك سوى القناع الدجال الذي تختفي وراءه حقيقة القوى البشعـة التي تحكم هذا القطر من مئات السنين ضمـن خطـة مـن الاصرار العجيب على ابقائه متخلفا عن ركب الاشقـاء العرب ، بل ومتخلفا عن اشقائه في افريقيـا بالذات .

ان ثورة الخامس والعشرين من أيار ، وخصوصا بعد تصفية الرجعية والقضاء على عرش الهادي ، قد تكرست ثورة شعبية ترفض الهويـــة الانقلابيـة الفوقيـة .

ولو راقبنا ما يجري اليوم من محادثات ومخططات وحدوية بين هذا القطر مـع كل من ليبيـا والعربية المتحدة ، لادركنا السرعة الهائلـة التي تسير بهـا مسيرتنا النضاليـة لا على طريق التحرير فقط وانما على طريق الوحدة ايضا .

ان سنوات ما بعد الكارثة ، تعتبـــر سنوات ضوئية ، سرعة ونورا بالنسبة للامة العربيـة .

اما الساحة الدوليـة ، فقد طرأ عليهـا هي الاخرى تغييرات ما كنا نتوقعهـا او نحلم بهـا . فاوروبا التي اعتدت علينـا بكل وسائلها الاعلامية فـي اعقاب ٦٧ ، والتي وصلت بهـا الاحقاد حد الاعتداء على الجاليـات العربية فيهـا ، اوروبا هذه هي نفسها التي تخوض جماهير شعبها اليوم معركـة الحريـة ضـد الامبرياليـة والصهيونية انتصارا لشعب فلسطين.

حتى الاوساط التقليدية هناك ، في الاندية السياسية والصحف المحافظة ، لم تعد اليوم قادرة على اخفاء حقيقة الازمة التي خلقها الاستعمار بخلق اسرائيل .

منذ عشرين سنة كان الحق العربي يبحث عن مكان صغير في صحافة اوروبا ليعبر عن نفسه ، وما كان ذلك بمستطاع . واليوم نجد العواصم الاوروبية كلها بلا استثناء تعج بالمنظمات الشعبية المساندة للعمل الفدائي ولحركة المقاومة للحق العربي .

اننا نتحدث عن اوروبا الغربية المعروفة بتواطوءها مع الصهيونية بحكم تكوينها الاستعماري . اما اوروبا الشرقية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي فاظن اننا لسنا بحاجة للاشارة عن الدور الذي لعبوه وما يزالون في دعم صمودنا وقتالنا .

ان القضية العربية ، اصبحت اليوم من الصين الى الولايات المتحدة، مرورا بالعالم الثالث في اسيا وافريقيا ، قضية صراع بين الحرية والعبودية بين الحق والظلم ، قضية لم يعد بمقدور الضمير العالمي ان لا يتخذ منها موقفا .

ان ما نراه في الساحة الدولية ، رغم انه يشكل بداية اولية ، لم يسبق ان رأينا له مثيلا منذ كانت القضية الفلسطينية .

في الخامس من حزيران ١٩٦٧ كبت الامة على ركبتيها وكادت ان تركع . ولكنها بعد اربعة ايام فقط ، في ٩ و١٠ حزيران قررت ان تنهض . وقد نهضت بالفعل .

فهل هذا يعني نهاية المعاناة ؟

على العكس تماما . انها البداية ، ولكنها البداية المؤملة . (١)

---

(١) محمد حسنين هيكل في الاهرام

١١

الاعتماد على اسرائيل اساس السياسة الاميركية

اجتماع

اجتمعت شخصية عربية بارزة مؤخرا الى جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركية ، وجرت بينهما مناقشة طريفة كان موضوع المناقشة : قضية الشرق الاوسط ، وتطوراتها الهامة والمتلاحقة .

وكانت نقطة البداية فيها : النظرة الاميركية لاسرائيل !

وحول هذه النقطة ـ بالذات ـ قالت الشخصية العربية ، كلاما كثيرا في توضيح الاخطار التي تتهدد المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ، كنتيجة لتعاظم النقمة الشعبية على السياسة الاميركية تجاه اسرائيل !

وكان مما قاله ـ في صراحة كاملة ـ : « انكم لا تهددون فقط مصالحكم .. ولكنكم تحرجون ايضا ، موقف النظم الصديقة لكم ،وتعجلون بانهيارها تماما !

وتلقف سيسكو عبارة « النظم الصديقة » ليسأل المفكر العربي : عن الدول المقصودة منها ..

واجاب : عدد الحكومات التي ما زالت تحتفظ بعلاقاتها الكاملة بالولايات المتحدة ! والحكومات التي ما زالت تؤمل في السياسة الاميركية خيرا !! ..

وفوجيء المفكر العربي ، عندما عقب سيسكو في برود شديد : « ان



الرؤساء الثلاثة يحيون الشعب الذي يهدر حبا وهو يستقبلهم

بقاء الحكومات التي ذكرتها او انهيارها .. لا يؤثر كثيرا في الوجود الاميركي في الشرق الاوسط ! »

ورد المفكر العربي : انكم تخطئون كثيرا ، اذا تصورتم ان علاقاتكم القوية بالحكومة الايرانية ، يمكن ان تكفي لاستمرار الوجود الاميركي في الشرق الاوسط !»

وبنفس البرود ، عقب سيسكو : ! ان للولايات المتحدة ، حليفا وصديقا .. اكثر اهمية من ايران ، واكثر بروزا عليها !»

وتساءل المفكر العربي : ماذا يقصد ؟

ورد سيسكو : اسرائيل .. بالطبع !

هذا الجانب من المناقشة ، يؤكد الحقيقة التي كشفت عنها احداث السنوات الثلاث الاخيرة ، وهي ان اسرائيل لم تعد مجرد كيان متعاون مع الاستعمار الامريكي .. ولكنها اصبحت اداته البارزة والرئيسية لخدمة كل

اهدافه ومخططاته في الشرق الاوسط !.

وحول هذه الحقيقة ، جرت في الفترة الاخيرة ، مناقشات طويلة بين السياسيين والمفكرين العرب .

وحول هذه الحقيقة ايضا ، جرت مناقشات بالغة الاهمية في بعض العواصم الاوروبية الهامة .

وبالرغم من ان مناقشات كلا الطرفين ، كانت مستقلة تماما .. فان نتائجها قد اوصلتهما ، الى نظرة متقاربة ، تجاه بعض الامور !

ولعل من ابرز ما تمخضت عنه مناقشات العواصم الاوروبية ـ حتى الان ! ـ التقرير الذي صدر ،اخيرا ،عن« الحركة العاملة من اجل استقلال اوروبا » حول « اوروبا والامن في البحر الابيض المتوسط » .

ان هذا التقرير ـ الذي وقعه خمسون شخصية اوروبية ، بينهم ٧ وزراء سابقين ، وعدد من الكتاب والصحفيين ورجال القانون البارزين ـ يمكن النظر اليه كوثيقة بالغة الاهمية ، تكشف عن النظرة الاوروبية الجديدة، تجاه الشرق الاوسط .. بعد وضوح موقع اسرائيل من الولايات المتحدة !

وكان من نتيجة هذه المناقشات ما ظهر ويثبت من ان التعاون الاميركي الاسرائيلي ، مع اسرائيل في البلاد العربية سوف يلحق ضررا مخطأ باوروبا التي لم تعد تطيق ان تكون مخلب القط في السياسة الاميركية ..

العناد الاميركي

والواقع اني لم اعثر على جماعة في العالم كله اغبى من المسؤولين الاميركيين .

يزجون بلادهم في حرب تبعد عنهم الاف الاميال ، وتكبدهم يوميا ثمانين مليون دولار ، عدا الخسارة العظيمة في الرجال والاموال ، رغم احتجاج العالم على هذه السياسة ، وهذه الحرب ، ورغم نقمة جماعة كبيرة في اميركا عليها ايضا ، ثم لا يرتدع هؤلاء المسئولون ولا يتعظون ويمضون في غيهم حتى صدور هذا الكتاب ..

واما قصة اسرائيل ، فاعجب واغرب ، دخل في روع المسئولين الاميركيين ان اسرائيل ركيزة سياسية عظيمة في الشرق الاوسط ، لتحارب الحركات التحررية فيه وتمنع الوحدة ، وتؤلب دولة على اخرى ، وتبدد

بدور الخلاف هنا وهناك بمساعدة الاستخبارات الاميركية ، ليظل سلطان السياسة الاميركية وسيفها مشرعا لا مرد لاحكامه ولا لقراراته ..

وكان ما وقع العكس تماما .. فقد اخذت الدول العربية بالاتحاد واحدة بعد الاخرى ، واما الشعوب فهي متحدة روحا وقلبا .. كما اشتد العداء لاميركا ، بحيث اصبح من المؤكد ان تفقد وجودها كله في ارض العرب ..

واما اسرائيل فليس هناك من يعتقد انها سوف تبقى وتدوم في ارض العرب ..

قد تبقى بعض الوقت ، ولكنها لن تبقى كل الوقت ...

والواقع ان ازمة الشرق الاوسط ، بالمكان الذي تجري فيه ، لا يجب ان تترك للزمن يحلها .

طالما هي قائمة فان الاشتباك بالنار فيها مستمر .

ومع الاشتباك بالنار فان الازمة تتمخض بتعقيدات جديدة ، وهذه التعقيدات تتمثل اليوم في رفض مصر ان تقبل بوقف اطلاق النار ، كما تتمثل في اصرار اسرائيل على القيام بغارات العمق داخل مصر .

وهذه التعقيدات تتراكم فوق بعضها .

اي ان حدة الازمة لا تنخفض ، ولكنها ترتفع .

ومعنى ارتفاع حدة الازمة ان اصداءها تصل لتلمس مباشرة ذلك المستوى الاخر منها ... وهو المستوى الدولي .

مع استمرار الاشتباك بالنار على المستوى المحلي فان طرفيه ـ اي مصر واسرائيل ـ يستهلكان ما لديهما من السلاح ، وكلاهما ـ مصر واسرائيل ـ ليس منتجا للسلاح الرئيسي في المعارك ـ وهو المتمثل في الطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة وغيرها من المعدات المعقدة ، ومعنى ذلك ان كليهما يستعوض ما يستهلكه من الطرف الدولي الذي يحصل منه على السلاح ، وذلك بدوره يدفع بالازمة اكثر الى الالحاح على المستوى الدولي فيها .

وهناك اعتبار يتصل بهذه النقطة وهو ان وجود السلاح السوفياتي في يد العرب على خط المواجهة ووجود السلاح الاميركي في يد اسرائيل على نفس الخط ، يجعل سمعة سلاح الطرفين الدوليين ذاتهما في الميزان ، وذلك اعتبار له اهميته القصوى بالنسبة للقوى الكبرى ، اذ ان جزءا من

هيبة أي قوة كبرى معلق بفاعلية سلاحها ، حتى ولو كان في يد غيرها .

ومن هنا ـ الى جانب الايمان بالحق العربي ـ ذلـك الجهد الممتاز الذي يبذله الخبراء السوفيات لتدريب العرب على السلاح السوفياتي .

كما انه من هنا ـ الى جانب دور اسرائيل كأداة لسياسة الارهـاب الاميركي ـ تلك التسهيلات غير المحدودة التي تحصل عليها اسرائيل مـن المعدات الاميركية ومن فرصة التدريب عليها .

ان منطقة الشرق الاوسط ، تتصل في الصميم ، بالاستراتيجية العليا لاي قوة كبرى على النطاق العالمي .

... تتصل بالبحر الابيض ومداخله من والى المحيط الاطلسي ، ومـن والى المحيط الهندي عن طريق البحر الاحمر .

... وتتصل بنقطة اللقاء بين آسيا وافريقيا واوروبا .

... وتتصل بموارد للثروة الطبيعية والمواد الخام لا مثيل لها فـي اي مكان اخر في العالم .

... وتتصل بصداقـة او عداوة شعوب نشأت كل الحضارات ـ بما فيها الحضارة الغربية المعاصرة ـ على ارضها .

... وتتصل ـ كذلك ـ بمؤخرة الاتحاد السوفياتي التي يمكن منهـا الالتفاف حول ظهره وكان ذلك تماما هو هدف حلف بغداد الـذي اسقطته الثورة العربية .

ومن هنا فان ايا من الطرفين الدوليين ، المشتبكة سياستهما بأزمـة الشرق الاوسط ـ الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية لا يستطيع ان يسلم للطرف الاخر بهذه المنطقة او يتراجع امامه فيها ..

ليبيا وتاثيرها

وكان من نتائج هذا العراك بين العرب واسرائيل ومن وراء اسرائيل ان عصفت بالشعب العربي روح قومية حامية فاندفع يثـور علـى اوضاعه الحاضرة ، وقيوده الثقيلة ، فهب السودان ثائرا وقامت ليبيا غاضبة خانقة على الماضي البغيض الذي كبل يديها ، وغل جهودها ، وشل نشاطها ..

كانت ليبيا قبل الثورة ، تحت السيطرة الاميركية ، وبالثورة ، فـان ليبيا خرجت من هذه السيطرة ، واضافت قوتها الـى التيار العربي المعادي للسيطرة الاميركيـة .

وكانت ليبيا قبل الثورة معزولة عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وبالثورة ، فان ليبيا اصبحت في الطليعة من الخط العربي في هذا الصراع .

وفوق ذلك ، فان ليبيا ثلاثة الاف كيلو متر على الشاطىء الجنوبي للبحر الابيض .

كما ان ليبيا ، ١٥٠ مليون طن في السنة من البترول الخام .

ثم ان ليبيا ، عمق واسع وشاسع وراء الجبهة الغربية لميدان القتال مع اسرائيل ، وباضافة العمق الجنوبي للسودان ، بعد الثورة ، فان ذلك من شأنه ان يحدث تأثيرا هائلا على ابعاد الصراع .

ان « ثورة ليبيا بمعناها » ـ بعد « ثورة ليبيا بذاتها » ـ اشارة واضحة الى الخطر الذي يهدد كل نظام السيطرة الاميركية في المنطقة .

احلام اميركا

وكانت الولايات المتحدة تعتقد بعد معارك سنة ١٩٦٧ ، ان عواصف التغيير سوف تهب في العالم العربي ضد الناحية التي تناوىء السيطرة الاميركية ، وهي الناحية التي تصدت وتتصدى للصراع مع اسرائيل ، ولكن « ثورة ليبيا بمعناها » ، تشير الى عكس هذا الاعتقاد ، وتؤكد ان رياح التغيير تهب على الناحية الاخرى .

ومعنى هذين العاملين ـ « ثورة ليبيا بذاتها » ، و « ثورة ليبيا بمعناها » ـ ان الوقت اصبح محسوبا بالنسبة للولايات المتحدة ، وانه اصبح حيويا لها ان تدعم اسرائيل اكثر ، وان تساعد على تكثيف ضرباتها وتوسيع نطاقها ، لتتمكن من تصفية الازمة لصالحها ـ ولصالح الولايات المتحدة ـ بأقرب ما يمكن .

ولعل « ثورة ليبيا بذاتها » ، و « ثورة ليبيا بمعناها » ، هي السبب الحقيقي فيما يبدو على السطح من تناقض في سياسة الولايات المتحدة :

من ناحية ، تزيد دعمها ، بكل الوسائل لاسرائيل .. حتى تتمكن اسرائيل من ان تصفي الموقف لصالحها بسرعة ، حتى ضد « ثورة ليبيا بذاتها » .

اوهام اسرائيل

● ومن ناحية اخرى ، تقوم بمناورة ، تبدو فيها وكأنها تؤجل تسليم طائرات الفانتوم لها ، لعل ذلك يساعد على تهدئة تأثير «ثورة ليبيا بمعناها» .

ان اسرائيل ، في مخططها الذي تريد ان تربط نفسها به مع الولايات المتحدة الاميركية ربطا لا فكاك منه ، راحت تسعى لاقناع بعض الدوائر في

الولايات المتحدة ، بأنها تستطيع ان تقوم بدور كبير في استنزاف الاتحاد السوفياتي نفسه ، ولقد عبر الصحفي الاميركي « جوزيف كرافت » ، وهو من اصدق اصدقاء اسرائيل في واشنطن ، عن ذلك بقوله :

« لنهدأ في كل محاولاتنا للوصول الى حل سلمي لازمة الشرق الاوسط ... لماذا نفعل ذلك ؟ ومصلحتنا ان نفعل عكسه ... لنعط اسرائيل كل ما تريد من السلاح ، لكي تتمكن من توجيه ضرباتها ، بغير حدود ، الى مصر ، وسوف تجد روسيا انها مضطرة لمواصلة مساعدة مصر ، وهذا يؤدي الى استنزافها في الشرق الاوسط ، بمثل ما يجري استنزاف اميركا بحرب فيتنام في الشرق الاقصى » .

ومثل ذلك المنطق لا يخفى على الاتحاد السوفياتي ... ان اسرائيل لا تكتفي ، خدمة لاميركا ، بمجرد استنزاف طاقة العرب ، ولكنها تعرض خدماتها ايضا لكي تكون بالوعة ، ولو صغيرة ، تبتلع ما يصل اليها من طاقة الاتحاد السوفياتي نفسه .

ثم يتصل بذلك ايضا ، ان اسرائيل تعرض على الولايات المتحدة خدماتها ، في التأثير على اليهود داخل اوروبا الشرقية نفسها .

وكانت اسرائيل وراء موقف قلة من الكتاب اليهود في الاتحاد السوفياتي ، حرضت بعضهم على معاداة النظام ، وحرضت واحدا او اثنين منهم على الهرب الى الغرب ، وفتح حملة تشهير واسعة ضد وطنهم الاصلي .

كذلك كانت اسرائيل وراء تحركات مشبوهة ومريبة ، قام بها بعض اليهود في تشيكوسلوفاكيا وبولندا .

ومثل هذه العمليات ايضا لا تخفى على الاتحاد السوفياتي ، ومعناها ان اسرائيل جزء من مؤامرات الاجهزة الاميركية الخفية ، التي تحاول مهاجمة الاتحاد السوفياتي في عقر داره ، او بالقرب منه .

* * *

ومرة اخرى ، ليس معنى ذلك حتى الان ، ان في مقدور الولايات المتحدة الاميركية ـ بسبب ثورة ليبيا بذاتها ، او بسبب ثورة ليبيا بمعناها ـ ان تقفز الى مواجهة مباشرة من الاتحاد السوفياتي .

كما أنه ليس معنى ذلك ، ان في مقدور الاتحاد السوفياتي ـ بسبب محاولات اسرائيل ضده في الشرق الاوسط ، او محاولاتها ضده في اوروبا الشرقية ـ ان يقفز الى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة .

وانما معناه ، ان الموقف بين القوتين الاعظم ، يصبح اكثر توترا .(1)

(1) محمد حسنين هيكل في الاهرام

١٢

قصة الثـــورة فـــي ليبيـــا
قائـــد الثـــورة
العقيد معمر القذافـــي
يكتـــب القصـــة

كنـــا نفكـــر

لا استطيع ان احدد تاريخا معينا لقيام الثورة . بـــل انه من المستحيل ان احدد تاريخا معينا كنا نعيش احداث العالم العربي وبلادنا بعيدة تمامـــا عنها ، وعلى الرمال الناعمة في مدينة سبها بولاية فزان (احـــدى محافظات الجنوب) كنا نعقد جلساتنا ونفكر .

في وقتها كنا لا نزال طلبة في مدرسة سبها الثانوية . وفـــي هـــذه الجلسات الهادئة كنا نتحدث عن الواقع المر .

وتوالت الاحداث ..

حدث الانفصال بين مصر وسوريا ، وقبلها كانت انباء الاعتداء الثلاثي على مصر تهزنا . وكانت ثورة الشباب العربي المتفتح تجيش فـــي صدورنا . ولكن كان الحكام يضحون بالاهداف السامية للعرب فـــي سبيل منافع ذاتية ومسائل شخصية .. كانت الشعوب العربية تطالب بالتحرر ، والحكام فـــي واد اخر . وكان الشباب الليبي لا يعرف له مصيرا ولا قرارا . كنا مجموعة من الشباب لا نملك شيئا . لا نملك السلاح ولا نملك المال .. وكنا نعقـــد

جلساتنا الدائمة على الشواطىء الهادئة ونحن نغلي . كانت تجمعنا فكـرة واحدة هي ضرورة التغيير . لا بد ان تسير ليبيا في الركب العربي المتحرر.

ولكن .. كيف يكون ذلك ؟ وما هو السبيل ؟.. لا بد ان نجند طاقات ليبيا للعمل العربي ، ومن اجل نصرة الحق العربي .. ولكـن كيف وامامنا الكابوس الجاثم على البلاد ، القابض على مقادير الامور فيها . كانت هنـاك الملكية بكل جبروتها واعوانها . وعلى الطرف الثانـي كـان هناك الاستعمار الرهيب ، ممثلا في القوتين الكبيرتين الاميركية دالبريطانية، ولهما قواعدهما العسكرية في الاراضي الليبية . وكانت هذه القواعد تقـوم بمثابة الحارس الامين للرجعية والفساد وتؤيد الطغيان .

تحـرك الشبـاب

وبدأت مجموعات الطلبة الشباب تفكـر وتخطط . ان التغيير الكامل الشامل لم يكن هناك من سبيل له الا القوة .. فالقوة هي السلاح الوحيـد الذي يستطيعون به اعادة كرامة الوطن .. واعادة ليبيا الى الركب العربـي التحرري .

بدأت مجموعات الطلبة الشبان يفكـرون . واعدوا خطـة التزموا بتنفيذها بكل دقة . قرروا ان يقسموا انفسهم الـى مجموعتين رئيسيتين . مجموعة تم اختيارها لتدخل الكليات الحربية ، ويصبح افرادها من ضباط الجيش ، ومجموعة ثانية تتجه الى العلوم المدنية ، ليصبح افرادها من رجال ينخرطون في وظائفها ومناصبها المختلفة .. بينما كانت الفكرة القوية تجمع بينهم . كانوا على صلة دائمة ومستمرة . وفي كل المناسبات، وفي الاجازات كانوا يجتمعون . وكانت اجتماعاتهم الاولى في سبها . كانـوا يتبادلـون الاخبار والمعلومات . وبدأت معالم الطريق الحقيقي تتضح امامهم ..

ويقول احدهم ــ وقد اصبح الان عضوا بارزا في مجلس قيادة الثورة الليبية ــ كنا نقرأ ، وندرس . وندقق . ونحلل ، ونجمع المعلومات . التزمنا بأخلاق معينة . لا احد منا يشرب الخمر ، لا نقامر . لا نشترك في المجالس الماجنة . نزاول عباداتنا وصلاتنا نؤديها في اوقاتها . كنا قريبين مـن الله ، نتخذ من ديننا سندا لنا . التزمنا بكل ذلك رغم صعوبته علـى الشباب . ولكن الله اراد لنا جميعا ان نكون من الصالحين . اقسمنا على الاخلاص لله والوطن والثورة ..



الرئيس عبدالناصر وزعيم الثورة الليبية القذافي

وخرجت مجموعات الشباب الليبي الحر الى الحياة العامة .. الذين تخرجوا في الكلية الحربية انخرطوا في صفوف الجيش . والذين تخرجوا في الجامعات والمعاهد التحقوا بوظائفهم المدنية والحكومية . وقوى الترابط الذي يجمع هؤلاء وهؤلاء .. وبدأوا اول خطوة على الطريق الفعلي للتنفيذ ... للثورة !

ايـن الوطنيون ؟

كنا نبحث عن الشبان الوطنيين في ليبيا - والكلام هنا على لسان احد قادة الثورة الليبية - كان يعجبنا ويشد انتباهنا اي موقف وطني من مواطن شريف . ولكننا لم نكن لنجرؤ على الاتصال به مباشرة او التحدث معه ،

وذلك زيـادة في الحيطة والكتمـان .. فقد قررنـا منذ اللحظة الاولى ان يكون عملنا سريا .

كان عددنا قليلا . بل قليلا جدا . فقررنا ان نضم اكبر مجموعة مـن الضباط والشباب المؤمن بوطنه الى صفوفنا . وبدأنا عملية التعبئة دون ان نخبر بها احدا . كانت لنا طريقتنا الجديدة والخاصة في تنفيذ التعبئة .

في صفوف الجيش ، كان الرئيس الشاب معمـــر القذافـي الضابط بالقوات المسلحة الليبية ينفذ خطة ضم الضباط الوطنيين . كان يتبع طريقة خاصة . كان يلتمس اي حجة للذهاب الى معسكرات الجيش ليلتقي هنـاك بالضباط الشبان . كانت حجته في زياراته المفاجئة لهذه المعسكرات انـــه ـ هو ومن معه ـ تأخروا في العودة . لذلك فهم مضطرون لينزلوا ضيوفا على ضباط المعسكر بصفة شخصية . ثم يبدأون الحديث بطريق غير مباشر وبعيد عن اي شيء . وفي سياق الحديث الليلي يتناولـون الحكم الفاسد . ايضا بحذر شديد . ثم المفاسد التي يقوم بها بعض الشخصيات . كانـــوا يلقون هذه المتفجرات بحذر بالغ ثم ينتظرون النتيجة .. وكانت النتيجـــة لا تتأخر كثيرا . كانت الاستجابة تأتي سريعة وفورية من زملائهم الضباط .

بـــدأ العمـــل

ولم يكن الرئيس معمر القذافي وزملاؤه يطلبون اكثر من ذلك . لقـد حققوا الهدف بسرعة . وعرفوا عددا جديدا من الضباط المخلصين، يدرجون اسماءهم في القوائم . ويتأكدون انه يمكن الاعتماد عليهم في ساعة الانطلاق الكبرى .

ثم يخرج الرئيس معمر القذافي وصحبه من المعسكر . دون ان يتركوا وراءهم اي اثر يدل على زيارتهم . فقد كانـــوا حريصين علـــى الا تدرج اسماؤهم في سجلات اي معسكر يذهبون اليه او يقضون الليل بطوله فـي داخله وبين جموع ضباطه . انهم نزلوا ضيوفـــا بصفتهم الشخصية علـى المعسكر وها هم ينصرفون دون ان يشعر بهم مسؤول كبيـــر ، وكان الهدف الرئيسي هو الا يعلم احد بتحركاتهم الاولى ، حتى لا يشك فيهم احد .

وكانت هذه الزيارات بمثابة التعبئة العامة الحقيقية لرجال القـوات المسلحة . وكانت في الدرجة الاولى بمثابة الاختبـــار الشخصي للضبـــاط المقرر اشراكهم في ليلة التغيير .. في الثورة !

وكان التفكير في الثورة ـ كما يؤكد عضو اخر من اعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية ـ يعتبر ضربا من الجنون ، بحكم القوة الارهابية التي تسيطر على البلاد .

ثم بدأت اخبارنا تتسرب .. وبدا رجال العهد البائد وحكامه يعلمون شيئا من تحركاتنا . ولكنهم لم يكونوا ليصدقوا شيئا منها . لم يصدق احد ان مجموعة من الشبان مثلنا يمكن ان تفعل شيئا في هذا الصرح العاتي . لم يصدقوا ان مثلنا يمكن ان يقوم بشيء . ولم يخطر ببالهم ابدا ان هذا الشيء قد يكون ثورة !

ثم فكروا في طريقة اخرى لتجريد الضباط من ولائهم للوطن . اقترح البعض ان يرسلوا الضباط الصغار في بعثات الى امريكا وبريطانيا . وهناك سيتشبع هؤلاء الضباط ـ في نظر الحكـــام ـ بالروح الغربية . ويصيبهم الانحلال الخلقي باحتكاكهم بهذه المجتمعات .. ويصبح كل همهم السعي وراء الملذات ، ويعودون وقد فقدوا كل ولاء حقيقي لقضية الوطن .

ولكن كنا قد تعاهدنا على ان يكون ولاؤنا للوطن قبل كـل شيء . وان يكون سبيلنا هو الايمان بالله ، والبعد عن كل مباهج الدنيا .

وذهب الضباط الشبان ـ او الصغار كمـا كانوا يسمونهم ـ الــى الولايات المتحدة وبريطانيا . وعادوا بنظرة جديدة . عادوا وهم اكثر اصرارا على نصرة الشعب الليبي المريض . لم تجرفهم الحضارة الغربية وترميهم في احضانها وتحولهم الى دعاة لها ، بل اكدت لهم هذه الحضارة معنى الحياة . وكما تعيش الشعوب في الخارج يجب ان يعيش شعبنا . لم يعودوا منبهرين بما راوه . وانما عادوا اكثر ايمانا بحق شعبهم فـي الحياة الشريفة الحـرة الكريمة .. في حياة السادة لا العبيد !

وتدهورت الاحوال اكثر واكثر داخل ليبيا ..

ولم يعد الامر يحتمل اكثر من ذلك ولم يعد هناك وقت اكثـر للانتظار

اذن لا بد من الاسراع .. واخذ العقيد معمر القذافي وصحبه يطوفون باغلب معسكرات الجيش في زيارات سريعة قصيرة . وفي كل مـرة بحجة المبيت لتأخر الوقت عليهم . وكان يتحدث مع الضباط . وكانت الاستجابة تتم بسرعة كالومض . وكان الحديث يمتد الى مواقف ليبيا مـن القضايـا العربية . وكان هناك موقف خاصا لليبيا في مؤتمر وزراء الخارجية العـرب .. موقف يندى له جبين كل الاحرار .

ثم ماذا بعد ذلك ؟

حرقت اسرائيل المسجد الاقصى ، فهب الشعب الليبي يعبر عن غضبه ولكن قوات الامن تصدت له بعنف وقسوة !

وقررنـا الثـورة !!

ولم يكن هناك وقت للاتصال الشخصي للاتفاق على موعد التنفيذ .

فلجأنا الى شفرة الثورة التي سبق ان اتفقنا عليها باللاسلكي .

وتم اعداد كل شيء . كانت شفرتنا اسئلة عــن الحال والاحوال .. فلان موجود ؟.. خرج امتى . الساعة كم ؟ طيب قولـــه يقابل فلان فــي النادي الساعة السابعة ويروحوا المستشفى لزيارة فلان . وحاكلمهم باكــر الساعة الخامسة لاطمئن عليهم . ماعندكش اخبار عــن القدس وحــرق المسجد في فلسطين ؟!

وكانت هذه هي كلمة السر .. القــدس وفلسطين . كان كــل شيء جاهزا . وكان هذا السؤال بمثابة الامر وتحديد ساعــة الصفر . كــان السؤال عاديا لا يثير أي شك ، وكان يتضمن تحديد ساعة الصفر . لا شفرة سرية او كلاما رمزيا .

وهكذا تم الاتصال بالمسؤولين عن الثورة في الولايات المختلفة رغم بعد الاف الكيلومترات . وكذلك تم الاعداد للثورة . وبدأ كل واحد منا يتحمل مسؤولياته .

وفي الساعة السابعة مساء حسب اوامر الشفرة العادية لا السرية بدأ الضباط الاحرار الوحدويين يتوافدون الى نوادي الضباط في كل منطقة . جلسوا في مجموعات يشربون « الشاي » والمثلجات ويتجاذبــون اطراف الحديث في شكل عادي جدا ودون ان يثيروا انتباه احد . ولكنهم كانـــوا يرسمون التخطيط الكامل لكيفية الاستيلاء على المراكز الهامة في كل منطقة دون احداث مضاعفات . وضعـــوا امامهم كــل الاحتمالات .. وأســوأ الاحتمالات !

وكان لا يبدو على الضباط الاهتمام او الاكتراث بما يقولون . كانـــوا يتحدثون عن اخطر عمل سيقدمون عليه ولكن ببساطة وبابتسامات لا توحــي لاحد بأنهم يخططون لمستقبل امة بأكملها . كانوا يتحدثون وشكلهم يوحي بأن

حديثهم لا يبعد عن مسائل عائلية سعيدة . لم يكن في شكلهم حماس الحرب او منظر التعبئة . كانوا في منتهى الثبات . لا اضطراب . لا قلق . لا خوف!

في الساعة ١٢ ليلا

وفي الساعة الثانية عشرة مساء عند منتصف الليل تماما . طلب بعض الضباط الاستعانة بزملاء لهم خارج التنظيم على مسؤوليتهم . وكان من رأيهم الاستعانة بهم لخبرتهم في انواع معينة من الاسلحة .

وكانت هناك لا مركزية في التنفيذ .

وقد وضعت الخطة المسبقة على ان يتولى كل مسؤول عن منطقة التصرف كاملا دون الرجوع الى مركز القيادة في أي مسألة .

وتمت الموافقة على تنفيذ طلب الضباط الذين طلبوا الاستعانة بزملائهم على مسؤوليتهم . وخرج كل ضابط لاحضار من وقع عليه الاختيار ليساعده .. واحضره الى النادي . وشرح له المهمة التي اختير من اجلها لمعاونة زملائه .

وكم كانت وجوههم جميعا فرحة مستبشرة لاختيارهم لهذه المهمة واشراكهم في عمل كبير خالد !

وكانوا جميعا ـ حسب اقوالهم ـ معدين انفسهم تماما من قبل ، وكانت رغبتهم اكيدة في الانضمام الى أي تنظيم يحرر البلاد . ولكنهم ظلوا بعيدين عن التنظيم لان الخطة كانت لا تسمح قبل ذلك بزيادة عدد المنظمين عن العدد المقرر وهو ٧٠ ضابطا . حتى يمكن حصر كل شيء . وحتى لا يكون العدد الكبير مثارا لشبهة رجال الحكم الذين تساندهم قوى مخابرات منظمة وهائلة .

الساعة الثانية صباحا تم تحديد موعد الثورة .

موعد الثورة

اسرع كل ضابط الى موقعه في هدوء .. جمع جنوده ثم اصدر الاوامر بارتداء ملابس الميدان واستلام الذخيرة .

واعطيت للجنود والضباط المشتركين في العملية كلمة السر التي تقررت لكي تكون رمز الثورة . القدس . وفلسطين . وعندما اعطيت كلمة

السر في الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل لم يسمح لاحد بمغادرة معسكره حتى لا تتسرب كلمة السر للاخرين .

بعد ان ارتدى الجميع ـ ضباطا وصف ضباط وجنود ـ ملابس الميدان واستلموا حاجتهم من الذخيرة . تحدث كل ضابط الى رجاله الذين يثق فيهم . رجاله الذين يعيش معهم ولا يفارقهم .. رفاق السلاح الذين طالما تحدثوا معا عن مفاسد الملكية ورجال الحكم .

وطلب الضباط من الجنود الذين لا يريدون الاشتراك في الثورة الخروج من التجمع . وكانت النتيجة صفرا . لم يخرج جندي واحد . بل انهم طالبوا بالاسراع في اصدار الاوامر بالتحرك .

وصدرت الاوامر .. وتحركت الثورة

وتحركت الجموع الثورية لجيش ليبيا .. تحرك الضباط والجنود من الشباب الحر الثائر لكرامته . تحركوا لاعادة ليبيا الى الصف العربي بعد ان جعلها الحكام تتخلف مسافات طويلة . تحركوا في الثانية صباحا من اول سبتمبر الى اهدافهم ، وبدأوا تجريد العهد البائد من سلاحه . وبدأت اولى بشائر النجاح مع فجر الفاتح من سبتمبر ، كما يقول العقيد القذافي قائد الثورة الشاب .

وكيف تحدد موعد الزحف

ومنذ الساعة الخامسة تماما بدأت اجراس التليفون تدق في مركز القيادة الرئيسي للثورة . « الاذاعة في بنغازي » تعلن نجاح العمليات . واستمرت الاجراس تدق حتى السابعة صباحا لتعلن سقوط اخر موقع وهو موقع « فرناده » معقل قوات الامن المتحركة ، واخطر واقوى مواقع الرجعية .

في هذه الاثناء ..

كانت هناك قصة اخرى تحدث في بيت المقدم آدم حواز وزير الحربية في حكومة الثورة ، او المقدم يادم (بكسر الدال) كما ينطقها ابناء ليبيا .

كان يادم جالسا في منزله في قلق .. طفله الصغير يصرخ من الالم .

زوجته ترجوه ان يحمله الى الطبيب . ولكنه يجلس على اعصابه . يصرخ في زوجته « لا استطيع ان اتحرك .. انتظري لباكر . عندي عمل هام . » ولكن اجابته لا ترضي زوجته . فتقول له : اي عمل هام كانت نوبتجيتك امس . فكيف لديك اليوم عمل هام ؟

ويرد عليها واعصابه في غاية الحساسية لما يعلمه من سير الامور في المعسكرات : عندي شغل هام اليوم . اجلي الطبيب لباكر .

وفي الساعة الثامنة صباحا . طرق باب المنزل المقدم معمر القذافي وطلب من « يادم » ارتداء ملابسه العسكرية بسرعة . وخرج الاثنان الى مكان ما .

قال له القذافي : هل حضر سمير وسالم .. وهذه كلمة سر اخرى من عملية قادمة .

ورد يادم : نعم .

وذهب الاثنان الى النادي . وهناك تمت عملية الفروع ولكن بشكل اخر . فهنا مركز القيادة والمهمة اصعب . فالخطة تقضي بالاستيلاء على معسكر البركة اكبر معسكر للجيش في ليبيا ، واعتقال كبار الضباط الرجعيين في المعسكر . وقد كلف بهذه المهمة مصطفى الخروبي ، وهو من اقوى واحب ضباط البوليس الحربي الى جنوده . وله شخصية قوية ، مرحة ، حازمة ، وكان عليه بعد الاستيلاء على المعسكر القيام بسلسلة من التحفظات والاعتقالات لكبار الساسة والسياسيين القدامى لتأمين الثورة . ومهمة اخرى ايضا هي الاستيلاء على الاذاعة في بنغازي وقد كلف بها المقدم آدم حواز .

في نفس الوقت كان على المقدم احمد موسى (وزير الداخلية الان) الاستيلاء على معسكر البيضا ، وعلى مقر الحكومة وكان به اكثر من الفي جندي من جنود قوة الامن المتحركة ، ومجموعة كبرى من رجال العهد البائد ، ويتبعه جميع معسكرات درنة وفرنادة وبردية وبرقة وجميع المناطق المجاورة .

ونفذت كل الخطوات بنجاح . وتم الاستيلاء على الاذاعة في تمام الساعة الثانية مساء .

وفي الساعة السادسة تماما من صباح الفاتح من سبتمبر ، خرج صوت العقيد معمر القذافي يذيع بنفسه بيان الثورة الاول وتحولت الاذاعة

الى مركز تلقي خطوات العمليات . كان المقدم آدم حواز يجلس في الاذاعة منذ الاستيلاء عليها في الثانية صباحا . والعقيد معمر القذافي في حركة دائبة يلقي بالتعليمات ويتلقى الانباء ، ويصدر الاوامر ..

وانتصرت الثورة ..

وتحررت ليبيا ..

وتستمر الاحداث . تحمل كل يوم املا جديدا للشعب العربي في ليبيا . ان الثورة مستمرة . لقد بدأت . وستستمر لتحقق للامة الليبية والشعب العربي امانيه الكبيرة في الحرية والاشتراكية والوحدة !

١٣

حافظوا عليهـــم
انهم ثلاثة لا يجود الزمـــان بمثل اخلاصهم وتضحياتهم ..

نصيحـــة

لسنوات خلت وعندما قام الانفصاليون بثورتهم ضد الوحدة العربيـــة ــ التي تمثلت بين مصر وسورية ــ اول ما تمثلت .. ارسل الوطني المعروف السيد نبيه العظمة ، نداءه المشهور ضد الانفصال والانفصاليين ..

وكان عنوان ندائه :

نصيحة واحدة للعرب .. لكل العرب اغتنموا فرصة حياة عبد الناصر فليس غيره يستطيع توحيدكم ..

وصاحب هذا النداء كان في السابعةو السبعين من عمره في ذلـــك الوقت وصرف ٤٦ سنة يعمل مع عدد من ملوك العرب ورؤسائهم قبـــل ان يعتزل ويقيم في شقة متواضعة في دمشق ..

وحين اجتمع اليه احد الصحفيين يسأله عن رسالته واثرهـــا ، كانت المظاهرات العارمة التي تهتف للوحدة تصل الى آذانهما من بعيد . .وتحرك نبيه العظمة في مقعده ..

وقال : نعم .. عبد الناصر .. لقد احببته من قلبي ومـــا رأيته حتى الان .

لقد تجسد فيه امل امة ظلت منكودة كئيبة . تـــرى خيانات الملـــوك والحكام نصف قرن من الزمان . الى ان وهبها الله ذلك البطل الذي خـــرج

من ارضها ، وعاش آلامها ، وقادها في تواضع وايمان ، وداس في الطريق الى العزة عمالقة الاستعمار ، وانتصر فما تكبر ، وحقق معجزات عشت معها بكل جارحة وخلجة مني .

لقد عملت من اجل قضية العرب مع عبدالعزيز آل سعود الذي كانت تنهار شجاعته امام الانكليز ، وعملت مع امام اليمن يحيى . كان غادرا خائنا .. وعملت مع سعود ... وفيصل الاول.. وغيره من الحكام السابقين عملت مع هؤلاء ومع غيرهم من الساسة القدامى .. ورضيت من الرحلة الشاقة بأن اعيش هكذا كما تراني في شقتي المتواضعة مع مذكراتي ، ومع صورة الرجل الذي احيا في الامل بعد ان مات هذا الامل اكثر من مرة بين كراسي العروش ومقاعد الحكم .. وبعد ان يئست وانا اتنقل من عرش الى عرش ، ومن حاكم الى اخر . تمسكوا بهذا القائد العظيم . لا تفرطوا في انتصاراته ، فقد سابق الزمن ، وقفز بأمتنا العربية عشرات السنين ، واذا لم ينتهز العرب حياة هذا الرجل ليحققوا آمالهم ، ويخلصوا ارض العرب للعرب ، فمن يدري ؟. ربما لا يجود الزمن بمثله مئات السنين .

وقال نبيه العظمة : « لا بد من الوحدة . وحدة الدولة ، ووحدة الزعامة ، ووحدة الجيش ، ووحدة الهدف ، وعبد الناصر هو الامل ، ان كل بيت بنسائه وشبابه واطفاله يدعو له بطول العمر ، واقسم لك ان الكثيرين من ابناء سوريا يودون لو يأخذ الله من اعمارهم ويضيفها رصيدا في حياة عبد الناصر ليصل بهذا الجيل الى ما عجز عنه الاوائل ، ولينحي من طريقه مكائد الاستعمار والاطماع وحب السيطرة والتحكم » .

وحدوي مستميت

قلت للرجل الذي حرم على نفسه الخروج من منزله او ارتداء اي بدلة ما دامت هناك خيانة انفصال :

ماذا حدث لك بعد الصيحة التي اطلقتها في بيانك فهزت اركان الانفصال ؟

قال : هل تتصور ان الاف البرقيات والخطابات لم يصلني منها غير خطاب واحد افلت من رقابة الانفصال ، وصوت التليفون لم ينقطع عن منزلي . نساء يبكين ، وشباب يهدر ، لقد هرول الناس الى منزلي الصغير. رجالا ، ونساء ، وشبابا . ان الشعب ليس وحدويا فقط ، ولكنه وحدوي

مستميت .. كنت اعلم ذلك ، ومن اجل تشجيع هذا الشعب المؤمن كتبت كتابي الى حكام الانفصال ..

قلت : وكيف تفسر خيانة هؤلاء الذين ساروا في ركب الانفصال ؟.

قال العظمة : هؤلاء هم آفة الامة العربية ، علينا ان نحذرهم . هؤلاء هم الذين خانوا الامانة . لقد كنت والله مشفقا من اول لحظة على الوحدة وعلى البطل عبدالناصر منهم . من يصدق ان فلانا يكون في يوم ما وطنيا . كل هؤلاء ركضوا الى الوحدة ليحققوا عن طريقها ما عجزوا عن تحقيقه من مصالح ذاتية .

في ليبيا

وكما حدث في مصر ، حدث في ليبيا ..

من كان ينتظر ان يظهر معمر القذافي ورفاقه في الوقت المناسب والساعة المناسبة على مسرح السياسة العربية ليتعاونوا مع جمال بعد ان حمل الراية وحده طوال هذه الاعوام العديدة ..

وبذلك تحررت دولة بترولية جديدة في العالم الثالث ..

لقد تخطى القذافي واخوانه ، اخطر عقبات العصر . فمن شبكة الاستخبارات الداخلية . الى شبكة الاستخبارات الاطلسية . الى المخابرات الاميركية . والبريطانية . والالمانية الغربية . الى قاعدة وليس العسكرية ، التي كانت تعتبر اضخم قاعدة طيران حربي اميركي خارج الولايات المتحدة . الى القاعدة العسكرية البريطانية المتعددة الاسلحة : كل هذه القوى الخفية والعلنية ، كانت مكرسة لحماية النظام الملكي المتخلف . وحماية سيطرة الاحتكارات النفطية الغربية على البترول الليبي . وحماية سيطرة الحلف الاطلسي على الموقع الاستراتيجي الخطير الذي تحتله ليبيا ، في وسط الوطن العربي الكبير ، وعلى شاطىء المتوسط الشرقي الشديد القرب من اوروبا الغربية ...

فكيف تخطى القذافي واخوانه ، كل هذه العقبات التي يندر تخطيها حتى بالحلم ؟ .

طبعا سيقال : بالكفاح جرى التخطي . لكن للكفاح اقنية فكرية . منها ما ثبت نجاحه في بلاد العرب . ومنها ما ثبت فشله . فليبيا تحررت عن طريق افكار القانون الثالث للثورية .

وهذا الطريق شق الحجب عنه جمال عبد الناصر بالممارسة عبر

سنوات قيادته للثورة القومية العربية . وما زال ماضيا في سبيل استكمال المقومات النهائية له بواسطة التجربة الحية على طبيعة المجتمع العربي . وقد بدأت ليبيا تساهم في التجربة مساهمة يكبر حجمها يوما بعد يوم . والثابت الراهن هو ان بلاد العرب ، كانت بعد استقلال الدول العربية ، حقل تجارب خصب لجميع القوانين الثورية الثلاثة . فهناك اقطـــار عربية طبق فيهـا القانون الاول للثورية . وهو القانون الذي شقت طريقه الثـورة الفرنسية ، فانتقل بكثير من بلدان العالم من النظام الاقطاعي المتخلف ، الـــى النظـام الرأسمالي المتطور .

فشل في اماكــن اخرى

وهناك اقطار اخرى جرت فيها محاولات تطبيق القانون الثاني للثورية، وهو القانون الذي شقت طريقه الثورة الروسية فانتقل بكثير مـــن بلـدان الدنيا ، من انظمة حكم استعماري الـى انظمـة حكـم اشتراكـي ماركسي لينيني ...

وقد فشلت عملية الانتقال بأي بلد عربي الى مرحلة تنمية حقيقية ، عن طريق اي من القانونين الاول والثاني . ونجحت عملية الانتقال بمصر عـــن طريق رفض التقيد بأي من القانونين وعن طريق الاصرار علـــى عمل الممكن موضوعيا لكل ما هو ضرورة ملحة . فكان هذا العمل بحد ذاته هـــو الذي كشف امكانية ولادة القانون الثالث للثورية . فولـــد القانون مرتكزا علـى اساس ان الطور الحضاري الذي بلغه الانسان هو طور التقدم نحو الافضل من منطلق اعطاء كل قومية من القوميات التي تشكل امـــة مكتملة التكوين ، مجال تأسيس دولة مستقلة تسكب فيها جهودها الحضارية علـــى الطبيعة آخذة بعين الاعتبار تراثها القومي ، عاملة على اضافة فصول على هذا التراث تمكنها من بلوغ مرتبة عصرية ، حيث يصبح باستطاعتها المساهمة في تقديم نصيبها الحضاري لتطوير المجتمع الانساني كله ...

القانـــون ٣

لقد امكن للقانون الثالث للثورية ، ان يؤمم قناة السويس فـي مصر . ولم يتمكن للقانـــون الاول ان ينقذ بنك انترا في لبنان .

وامكن للقانون الثالث ان يجعل البترول الليبـي عنصر ضغط علـى الاستعمـــار العالمـي .

على ان فصل الخطاب كان في قدرة اي من القوانين الثلاثة على تخطي النكسة وحشد الجيش العربي المتطور المؤهل لمبـــارزة الجيش الاسرائيلي الحديث ، ووضع نقطة حسم في صالح العرب على طريق تحرير فلسطين . ففشل القانونان الاول والثاني . ونجح القانون الثالث في مصر على الرغم من ان مصر ليست بلدا نفطيا . ولا هي بلد غني ...

اكثر من ذلك نجح القانون الثالث فـــي تفجير الثورة في ليبيا مـــن ناحية ، وفي السودان من ناحية اخرى . وهـو مرشح الان لمبارزة اسرائيل مبارزة هامة جدا لا بد ان تنطبع آثارها على مستقبل الوطن العربي خاصة . وعلى مستقبل الشرق الاوسط عامة . وعلى مستقبل العالم فـــي المـــدى البعيد ...

من كل هذه النتائج ، التي بانت منطلقات فكريـــة للقانـــون الثالث للثورية ـ قانون الثورة العربية ـ استمد القذافي القرائن التي وصلت بـه الى حد اصدار حكم بفشل اليسار وفشل اليمين فيقيادة التقدم في هذه المنطقة من العالم ...

واذا اردنا المزيد في الموضوع . فجدير بنـا ان نقـول بـان الـذي تسبب في عدم قيام الجبهة الشرقية ضد اسرائيل هو التناحر الفكري بيـن اليمين واليسار . اي بين القانونين الثوريين الاول والثاني . فـــي حين ان القانون الثالث كان السبب المباشر لقيام جبهة السويس القوية فـــي وجـه الدولة الاسرائيلية المعتدية .

الابطـال الثلاثـة

في التاريخ ايام يعادل وزنها عشرات السنين . ايـــام تقف كالبـروج الشامخة على الطريق الطويل ، يمتد ظلها على جبين الزمن ، وتظـل ذكراها دائما متجددة عامرة بالانفعال والامل .

ويوم ٢٥ ايـار .. يوم ثورة السودان الشقيق واحد من ابـرز هـذه الايام . ليس فقط لانه اليوم الذي قفز فيه السودان قفزة الحياة ، من تيـه التخلف الى ارض التقدم .. من مستنقع التبعية وحكم الاقلية الـى روضة الاستقلال وحكم الشعب بالشعب .. من التخبط بين براثن الغول الامبريالي الى الانطلاق كالسهم المشوق في طريق الاشتراكية ..

وانما يستحق يوم ٢٥ ايار هذا المكان الرفيع في تاريخ الشعوب لانـه

اليوم الذي اشرق بنور الامل للثورة العربية بأسرها ، وجاء بعد عامين من النكسة الموجعة دليلا باهرا على ان الثورة العربية ليست فقط قادرة على الصمود ، بل وقادرة ايضا على التحرك بقوة .. قادرة ايضا رغم كل ما اصابها من جراح وطعنات في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، على توجيه لطمات جديدة ، اقوى واعنف ، فوق رأس العدو .

لقد كانت ثورة السودان الشقيق بالنسبة للعدو حدثا مفاجئا لم يحسب حسابه ، قضى بضربة واحدة على كل مشاريعه ومخططاته ..

الاحلام الفاشلة

كان العدو الاميركي اولا ــ والاسرائيلي ثانيا ــ يحسب ان الضربة التي نزلت بالثورة العربية في الخامس من حزيران كفيلة باجهاضها. وكان مطمئنا كل الاطمئنان الى حساباته . وضرب . ضرب بكل ما يملك من قوة وبكل ما يعتمل في جوفه من حقد وجزع على مستقبل مصالحه . ونجحت الضربة . نجحت بصورة لعلها فاقت كل تصوراته .. او هكذا خيل له على الاقل .

وحتى بعد انتفاضة ٩ حزيران المفاجئة التي رفضت الهزيمة .. ظل العدو يعلل نفسه بالامل ، واقنعته حساباته الالكترونية انها ليست سوى صحوة الموت .. ولن يلبث بعدها الجسد المثخن بالجراح ان يلفظ انفاسه الاخيرة ..

ان الثورة العربية ، الملقاة على الارض ، لم تكن تلهث بحشرجة الموت ، وانما كانت تستجمع قواها الكامنة ، قواها التي لم يقدرها العدو ولا يستطيع ان يقدرها . قواها الضاربة جذورها في التاريخ لالاف السنين ، قواها الحضارية الاصيلة الجديرة بشعب خلق للعالم اسباب مدنيته وقاده الى طريق الرقي والنور ..

وبينما العدو غارق في امانيه ، يفرك يديه منتظرا لحظة الاستسلام، وبينما سادة البنتاجون في اميركا والمؤسسة الصهيونية في تل ابيب عاكفون على وضع مشاريع جديدة للمستقبل ، مشاريع تفترض اول ما تفترض ان كل شيء هادىء في السودان ، وفي ليبيا وفي نفس اللحظة التي كان فيها الرئيس الاميركي نيكسون يدرس مع مساعده الصهيوني كيسنغر مشروعا جديدا لبسط السيطرة الاميركية المباشرة على اراضي السودان ..

في هذه اللحظة بالذات التي وصلت فيها اماني العدو الى ذروتها اندلعت الثورة السودانية لتنسف كل القصور التي بناها الاعداء على الرمال ، وتحول كل مشاريعه وخططه الى انقاض .

وبدلا من ان تنطفىء السنة لهب الثورة في القاهرة اضيف اليها مـدد جديد مشتعل الحماس والفتوة من الخرطوم ، ولم يمض سوى شهور قليلـة حتى امتدت الثورة الى ليبيا ..

وهكذا اخذت ثورة السودان مكانها الشامخ في التاريخ العربي ، بل في تاريخ حركة التحرر الوطني العالمية بأسرها .

لقـد كـان الرد العربي الحاسم المباشر علـى عـدوان ٥ حزيران .. التعبير القوي عن اصالة الثورة العربية ومناعة جذورها ضد الاقتلاع .

وجعفر نميري ، هذا الشاب الاسمر الطيب الملامح ، الصادق التعبير، الذي تتمثل فيه كل صفات ابن النيل البار .. هو قائد هـذه الثورة ومنظم صفوفها ..

انه الزعيم الذي تلتف حول قيادته كافة القوى الوطنية والثورية فـي السودان ، لكي تحمي مكاسب الثورة ، وتحطم المؤامرات ضدها ، وتدفع بها قدما نحو المزيد من الانتصارات .

واذا كانت الشعوب العربية ترى في عبد الناصر رمز ثورتها، فانها ترى في جعفر نميري ، ومعمر القذافي ، ورفاقهما الابطال رمزا لاستمرار هـذه الثورة وتجددها .

١٤

ملــوك لــم يحافظوا علــى شعوبهم فنبذهــم شعبهــم وتخلــى عنهــم

السياسة الفاسدة

اسوأ ما يمكن ان يفكر به مؤرخ وهو يكتب تاريـــخ الثورات العربيـــة موقف بعض الملوك والامراء والرؤساء الذيــن يحاربون الثورة ، ويحــاربون الجديد ، ويحاربون كل من يساعد على تحسين حالـــة الشعب ، ورفاهيته وسعادته ..

لقد رأينا ملوكا خدموا شعوبهم وعملوا على اسعادهم ، فحفظ لهــم شعوبهم هذا الجميل ، وحفظوهم ، وما زالوا يحكمون ويملكون ..

ورأينا ملوكا اعتمدوا على الاجنبي واستبـــدوا بشعوبهم وظلموهــم ، فذهبوا واصبحوا في الغابرين ..

وليس من حقنا الان ان نعلق بالتفصيل على الحكم السابق في ليبيـــا الثورة ، يكفي ان نقول انه كان في واد والشعب الليبي في واد ..

للتأكيد على ما قدمنـــا ننقل نص توصيات كـــان ملك ليبيـــا السابق ادريس السنوسي قد وجهها بخط يده الى رؤساء الحكومات الليبية فـــي عهده ..

كما تكشف هذه الوصايا كيف كانت الحكومـــة الليبية تعمل لمصلحة بريطانيا قبل مصالح شعبها ، والشعوب العربية ..

هذه الوصايا والوثائق كتبت بين سنة ١٩٦٤ وما بعدها ..



عبدالناصر والقذافي اثناء المناورات العسكريـة

وكانت ليبيا قد شهدت في هذه الفترة حملة قادهـا النواب الوطنيون وجماهير الشعب لالغاء معاهدة التحالف مع بريطانيا . وقد نجحت مجموعة النواب الوطنيين الليبيين في اتخاذ قرار داخل مجلس النواب يلزم الحكومة بالتفاوض مع بريطانيا لازالة القواعد العسكرية البريطانية . وكانت الحكومة الليبية آنذاك برئاسة السيد محمود المنتصر .

الوثيقة الاولى

وبالرغم من هذه الظروف التي احاطت بليبيا ، فقد كتب الملك السابق ادريس في يومياته التي دونها في ١٢ نيسان ١٩٦٤ وتحت عنوان « توصية الى وفد المفاوضات الليبي » كتب يقول بالحرف الواحد وبلغة ركيكة :

● الى محمود المنتصر :

هذه المواد الثلاث يجب ان يؤخذ بها وهي :

١ ـ الحلف الدفاعي مع بريطانيا لا يمس بتعديل ولا غيره .

٢ ـ المناورات السنوية تبقى لهم لانها ضرورية للحلف الدفاعي .

٣ ـ قاعدة « العدم » يحتفظ بها لانها هي « القذى من عين عبد الناصر » !

ملحوظة : لماذا عبد الناصر يعمل قاعدة سوفياتية بحرية في مصر ؟ ولماذا تبقى القاعدة الفرنسية في الجزائر ؟ ولماذا يحل له ولمن يرضى عنه ، ويحرم علينا ما يحله لنفسه ولغيره ؟ فنحن لسنا في وارد عبد الناصر ولا مصر ولا غيرهم ، نحن دولة مستقلة ذات سيادة ، ولا لاحد علينا سلطة ، وليس وجود القواعد مخلا باستقلالنا ، ما داموا لا يتدخلون في شؤوننا ، وها هي قواعد اميركا في بريطانيا والمانيا باقية ومرغوب فيها من الانكليز والالمان لانهم حلفاء وقواتهم متآزرة في الدفاع عن بلدانهم بدون تدخل في شؤونهم واستقلالهم . واذا نوابنا يحملون علينا باوامر عبد الناصر ، فنحلهم حالا بدون ادنى خوف منهم ولا ممن يفويهم ضد بلادهم .

الوثيقة الثانية

● وبتاريخ ١٧ نيسان ١٩٦٤ ، يقول :

توصية لرئيس الحكومة محمود المنتصر :

يجب حالا تعلن لكل الطلبة بان التظاهرات ممنوعة بتاتا عليهم ،سواء للتأييد او الاحتجاج وغير ذلك مطلقا ، وكل طالب يعمل ذلك يقطع من الدراسة بتاتا ، لانهم يخططون لتظاهرات في ٢٠ من هذا الشهر تأييدا للمفاوضات ، فيجب ان الطلبة جميعا ممنوع عليهم السياسة بتاتا ، وكل واحد يعمل شيئا ممنوعا عليه ، يقطع من الدراسة بتاتا ، فيجب تعطي اوامر من الان مشددة ، ويجب عندما تجدوا من المعارضة في النواب تخطرونا حتى

نحل المجلس حالا .

وهؤلاء الافراد يحرمون من الانتخاب فيما بعد ولا يقبل ترشيحهم مطلقا .

الوثيقة الثالثة

● وفي ٢٥ نيسان ١٩٦٤ دون الملك السابق السنوسي ما يلي : لمحمود المنتصر

١ ـ بناء على تصريح عبد الناصر الذي قال فيه « انه يحارب كل قاعدة للانكليز في البلاد العربية ، فيجب اخذ الحيطة لهذا الحساب، بتمكين وتجديد المعاهدة الدفاعية مع الانكليز ضد الاعتداء على ليبيا من اي جهة كانت ، وكل ما يمكنهم الدفاع به ، نوافقهم عليه ، وان كانت سرية فأحسن ـ يقصد المعاهدة ـ .

٢ ـ يجب التباطؤ ما امكن في عدم انجاز المفاوضات مع الانكليز والاميركان ، يكون احسن .

٣ ـ كلام السفير الانكليزي لنا ، وردنا عليه في قولهم لعبد الناصر ان لا يهاجم مسألة القواعد الاميركية في ليبيا .

٤ ـ اذا احرجكم النواب لا دواء لهم غير الحل فورا ، لانهم مجورين لذلك .

الوثيقة الرابعة

● وفي ١١ حزيران ١٩٦٤ ، دون الملك السابق ما يلي : لمحمود المنتصر :

١ ـ عدم ابطال المعاهدة بل تجديدها .

٢ ـ عدم رفع القواعد الانكليزية وعمل اسباب لها سواء من طلب الاهالي والعمال الخ ..

٣ ـ تأجيل البت في القواعد الاميركية في الوقت الحاضر .

نصوص بعض مواد المعاهدة

● هذا ، وننشر بدون تعليق بعض نصوص المعاهدة الدفاعية الليبية ـ

البريطانيـــة التي اشار اليهـــا الملك السابق ادريس في يومياته وقـــال انها لا تمس سيادة ليبيا . وقد اطلق على هذه الاتفاقية اسم « معاهدة الصداقة والتحالف بين حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلنـــدا الشمالية وحكومة المملكة الليبية المتحدة » ، وتم التوقيع عليها ببنغازي في ٢٩ تمـــوز سنة ١٩٥٣ .

● **المـــادة الثلاثـــون :**

● لا يعتبر الوجود المؤقت لاحد اعضاء القوات البريطانية بليبيا اقامـــة او موطنا ، ولا يخضعه في حد ذاته لاية ضرائب ، او رسوم او تكاليف بليبيا سواء على دخله او على ممتلكاته المنقولة التي يعود وجودها بليبيا الى وجوده المؤقت بها ، كما لا يخضع مخلفاته لضريبة الوفاة في حالة وفاته .

● تضع حكومة ليبيا بين الحين والحين تحت تصرف حكومـــــة المملكة المتحدة مساحات من الارض تتفق عليهـــا الحكومتـــان لاستعمالها لفترات قصيرة للتدريب والتمرين ، ولا تكون هذه المساحات مـــن الارض المجاورة لمراكز آهلة بالسكان او مناطق مزروعة .

● وتتخذ حكومة ليبيا كذلك الخطـــوات لتضع تحت تصرف حكومـــة المملكة المتحدة مساحات اخرى من الارض ذات اتساع معقول ، يتفق علـــى انها مناسبة للامتداد المعقول للمنشآت غير الكاملة المذكورة في الملحق رقـــم « ١ » ولتعويضها عند اللزوم عن الاراضي والمباني التي تسلم بموجب الفقرة « ١ » من هذه المادة .

● وبصورة عامة يجوز اضافة مواد جديدة الـــى كشف الاراضي المتفق عليها او شطبها منها بالاتفاق بين الحكومتين .

● **المـــادة الرابعـــة :**

● يجوز لحكومة المملكة المتحدة ان تمارس مراقبة تامة علـــى الطائرات والسفن والمركبات التي في الاراضي المتفق عليهـــا وعلـــى الداخلـــة اليهـــا والخارجة منها ، الا اذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك .

● المادة ٢٩ :

● يجوز لحكومة المملكة المتحدة ولمتعهديها سواء اكانوا ليبيين او غير ليبيين وللمنظمات العسكرية المصرح لها ان تستورد الى ليبيا ـ معفاة من الرسوم الجمركية ـ المواد والبضائع اللازمة لغرض العمل بموجب هذه الاتفاقية او لاستعمال او استهلاك اعضاء القوات البريطانية المقصورين عليها.

● يجوز لاعضاء القوات البريطانية ان يستوردوا الى ليبيا امتعتهم الشخصية وادواتهم المنزلية وسياراتهم الخاصة لاستعمالهم الشخصي معفاة من الرسوم الجمركية .

● لا تطبق القوانين واللوائح التي تسير عليها سلطات الجمارك في ليبيا بما في ذلك حق التفتيش والحجز على أي شيء يستورد بموجب هذه المادة او على أي مستندات رسمية تحضرها حكومة المملكة المتحدة الى ليبيا .

● المادة ٣٥ :

● تدفع حكومة المملكة المتحدة تعويضها عادلا عن الاضرار التي تنتج عن قيام اعضاء القوات البريطانية الذين تستخدمهم حكومة المملكة المتحدة مباشرة بواجباتهم الرسمية اذا لم تكن تلك الاضرار ناتجة عن عمليات عسكرية في زمن الحرب ، ولا تنظر المحاكم في مثل هذه المطالبات بتعويض.

● تكون هذه الاتفاقية خاضعة للابرام ، ويتم تبادل وثائق الابرام في ليبيا في اقرب وقت ممكن ، وتوضع موضع التنفيذ بتاريخ تبادل وثائق الابرام ، وتظل سارية المفعول لمدة عشرين سنة ، الا اذا عدلت او بدلت باتفاق بين الحكومتين ، ويعاد النظر فيها على كل حال في نهاية عشر سنوات ، ويجوز لاي من الحكومتين قبل انتهاء مدة تسع عشرة سنة ان تشعر بالطرق الدبلوماسية الحكومة الاخرى بانهائها في نهاية العشرين سنة المذكورة ، فاذا لم تنه الاتفاقية بهذه الطريقة تظل سارية المفعول بعد انتهاء مدة العشرين سنة مع خضوعها لاي تعديل او لاي ابدال حتى نهاية سنة واحدة بعد ان تشعر احدى الحكومتين بالطرق الدبلوماسية الحكومة الاخرى بانهائها .

١٥

كيف يتعاون العـرب
ويقيمون دولة كبـرى عظيمة

الدولـة الكبـرى

وقف جمال عبد الناصر يوم الاحتفال بعيد الثورة عام ١٩٦٦ يقول :

« ان الولايات المتحدة قد استغلت حاجة مصر الى القمح ، لتفرض عليها شروطا سياسية ، ان قبلتها تمت الصفقة ، وان رفضتها فلا يهم الولايات المتحدة ان تجوع مصر ، ويطلب شعبها الرغيف فلا يجدونه » ..

وكان جواب عبدالناصر الرفض طبعا ، وراح يبحث عن القمح في اماكن اخرى ...

ولما اجتمع بعض شباب السودان الذين سمعوا الخطاب في مقهى صغير بعد ذلك جرى الحديث حول مسألة القمح هذه ، وصاح احدهم :

« لماذا تستورد مصر القمح من اميركا ؟ الا يمكن انتاجه في السودان وهي اقرب ارخص » ... ؟

وقال اخر :

واذا خصصنا مساحات من اراضي السودان الشاسعة لسد حاجة مصر من القمح اليس هذا لخيرنا المشترك ..

نعم .. نعم .. ولكن لماذا لا يحدث هذا ..

عندما تركز الموضوع عند هذه الصورة برزت الحقيقة الكبرى .. الحقيقة السياسية وليس فقط رغبات الناس الطيبين . **من وراء ذلك سياسة معينة تحول دون النفع المتبادل والخير المشترك والتعاون بين الدولتين ..**

وقضيــة القطــن

وتحدث المجتمعون بعد هذا عن موضوع اكثر اهمية ليس هـــو القمح هذه المرة بل القطن فما هي قضية القطن .

بكل بساطة ينتج السودان ومصر اكثر من ٨٥ فـــي المائة من مادة او سلعة هامة هي : القطن طويل التيلة ، وهو محتكر للقطرين تمامـــا اذا نسقا جهودهما في هذا الميدان ، ويستطيعان ان يفرضا ما يشاءان مـــن شروط لانهما يملكان سلعة نادرة .

بسبب ونتيجة لهذه الحقيقة المادية دعونا قبل استقلال السودان وبعده الى تنسيق السياسة القطنية بين القطرين لتحقيق مصلحتهما المشتركة التي بالطبع كانت ستعود بخير كبير على السودان .

في تلك المرحلة لم يكن في الافق ولم تتهيأ ظروف لاكثر من هـــذا رغم ان الامكانيات كانت وما زالت موجودة لتطور المصالح المشتركة بيـــن البلدين كحد ادنى وعلينا بتنسيق بيع وشراء القطن المصري والسوداني ليعـــود على البلدين بخير اكثر ، وحتى لا نقـــع فريسة لمضاربات السوق التـــي تبتز جهودنا بغير عناء .

وكانت مصلحـــة السودان واضحـــة في هذا الموقف . وكـــانت ايضا مصلحة الاستعمار بالنسبة لقطـــن السودان واضحة ايضا بـــل كان مـــن مصلحته ، ان يخلق منافسة غير طبيعية بين قطن مصر والسودان ويلعب على الحبلين . اما الدوائر الرجعية والعميلة في السودان فقـــد كانت تعتقد ان ايجاد منافسة غير طبيعية مع مصر هي فرصتها الذهبية ..

وفي ميادين اخرى كـــان موقف التقدميين السودانيين ــ بعـــد الاستقلال ــ هو توثيق العلاقات الاقتصادية بيـــن القطرين . لان مفهـــوم الاستقلال لم يكن معناه انقطاعا عن الشعب الذي ساعد فـــي ايجاد هـــذا الوضع .

بل العكس كان صحيحا .

فالوطنيون الجادون والتقدميون كانـــوا يفهمون ان استقلال السودان سياسيا معناه ايضا تطور وتوثيق وتدعيم العلاقـــات المصرية ــ السودانية ولكن الرجعية السودانية وحدها كانت تفسر وتمارس استقـــلال السودان باعتباره انفصالا عن مصر التقدمية وارتماء في احضان الاستعمار الحديث .

ما زلت اذكر في تلك الايام كم تحدثت في البرلمان عن تدعيم الصلات الاقتصادية والثقافية وتنسيق سياسات البلدين .(1)

ولكنني كنت كمن يؤذن في الربع الخالي او في ارض خراب .

فالرجعية السودانية المرتبطة بالاستعمار كانت تقول لنا ، انكم عملاء والله يعلم أن هذا الكلام ، لم يكن صحيحا .

وربما لا يعرف الرأي العام في مصر – حتى الان – ما قام به التقدميون السودانيون لتدعيم الصلات الطبيعية بين القطرين . قد يكون من حقنا ان نلوم ولكنه من واجبنا ايضا ان نشرح ونفسر .

التكامل الاقتصادي

في الربع الاول من العام الماضي امكن التوصل الى اتفاقية التكامل الاقتصادي بين الدول الاعضاء في الجامعة العربية بقي بعد ذلك ان يتم اقرار هذه الاتفاقية في الهيئات التشريعية في كل بلد عربي على حده .

فماذا حدث في السودان ؟

عرضت بنود تلك الاتفاقية في البرلمان السوداني والجمعية التشريعية ومرت الاتفاقية بكل مراحل اقرارها حسب النظام البرلماني الذي كان صورة مقتبسة او مشوهة للنظام البرلماني الانكليزي .

مر المشروع بمرحلة القراءة الاولى ، وهي ابلاغ المجلس بمحتوياته واهدافه الرئيسية ، فاذا لم يكن هناك اعتراض من ناحية المبدأ ، انتقل المشروع المقدم الى مرحلة القراءة الثانية ، وهي اهم المراحل اذ يقبل او يرفض المشروع او يعدل في تلك المرحلة .

اما القراءة الثالثة فليست اكثر من مرحلة صياغة ومناقشة شكلية .

بالفعل مرت اتفاقية التكامل الاقتصادي بين الدول العربية بمرحلتي القراءة الاولى والثانية ، فاقرت في المرحلتين ، واصبحت بذلك قانونا ملزما خاصة وانه لا يتعلق بالسودان وحده ، بل بالتزامه ومسؤوليته بالنسبة للبلدان العربية الاخرى .

عجبنا كيف تم اقرار هذه الاتفاقية التي لم تكن لمصلحة الدوائر الاستعمارية ولكن لم يطل عجبنا فبعد ايام قلائل تنبهت الدوائر الاستعمارية

---

(1) حسن الطاهر رزوق

للامر فاوعزت لعملائها في حزب الامة ان يتنكروا للقرار الذي اجازوه حسب اجراءات البرلمان البريطاني ..

فشن هؤلاء حملة ضد اتفاقية التكامل الاقتصادي بين البلدان العربية ولكـن ما العمل وقد تمت اجراءات الموافقة برلمانيا .

لم يكن هناك مخرج سوى التنكر لاساليب (الديمقراطية الليبيرالية) التي تنادي بها الرجعية السودانية شفويا ومن طرف اللسان ، حينما يكـون ذلك من مصلحتها . ولكن ذلك الموقف كان ازمة لا حـل لهـا الا بفضيحة جديدة ..

وظل الموقف بغير حل لاخر لحظة ..

ثم جاء اليوم الخامس والعشرين من ايار وفي فجره جـاء عهد جديـد لا يرتبط بما سبقه ..

حينما جاءت ثورة ايار وافقت كأمـر طبيعي علـى اتفاقية التكامل الاقتصادي بين الدول العربية ولكنها في الايام الاولى رأت ان تشرح هـذا الموقف للرأي العام السوداني ..

امكانيـات السـودان

واذا كان الهدف من التكامل الاقتصادي هـو استغلال موارد البلدان الثلاثة على اكمل وجه كما جاء في تصريح وزير الاقتصاد السوداني ، فمـا هي الامكانيات التي يمكن ان يضعها السودان في خدمة هذه العملية الكبيرة والتي تشتمل عديدا من اوجه التعاون في مختلف الميادين .

وقبل ان نجيب على هذا السؤال لا بـد ان نلاحظ ان موارد السودان الكثيرة ما زالت بكرا ، وبعضها لم يدرس ويكتشف ولـم يجـر مسحهـا وحصرها حتى هذه اللحظة ..

والسودان بلد يعاني من الفقر رغم ان سكانـه يعيشون فـوق ارض الخيرات .

وقد يضيق المجال الان ، اذا حاولنا ان نحصر كل تلك الامكانيات غيـر المستغلة ، ولكننا فقط نكتفي بتقديم بعض الامثلـة . ونحصر حديثنا فـي الامكانيات الزراعية ، والثروة الحيوانية والمعدنية .

فمن الامكانيات الزراعية يمكن القول في ايجاز ان السودان يملك ١٢٠

مليون فدان من الارض الصالحة للزراعة اليوم ، غير ما يمكن استصلاحه في المستقبل .

الامكانيـــات الزراعيـــة

ولكن كم من هذه المساحات الشاسعة تتم زراعته فعلا .

ان ذلك لا يزيد كثيرا عـــن عشر مساحة الارض الصالحة بالفعـــل للزراعة .

ولعل هذا الرقم يكفي ليتحدث عن نفسه .

وتشكل الزراعة اليوم وستظل لزمن بعيد اساس النشاط الاقتصادي بالنسبة للشعب . ويعتمد عليها مباشرة ما يزيد عن اربعة اخماس السكان.

الثـروة الحيوانيـــة

اما بالنسبة للثروة الحيوانية فان هناك ٨٠ مليون فدان من الاراضي ، صالحة للمرعى وحتى الان يملك السودان اكثر من ٩ ملايين رأس من الماشية و ٨ ملايين من الضأن و ٧ ملايين من الماعز و ٢ مليون رأس من الابل .

ولكن أي مدى يستفاد من هذه الثروة في الداخل والخارج .

يكفي ان نقول ان العاصمة ومحافظة العاصمة تعاني من ازمة لحوم في بعض شهور السنة .

اما ما يصدر فلا يزيد في العام عن واحد فـــي المائـــة ، بينما تصدر بلدان مثل الارجنتين ونيوزيلانده ما يزيد سنويا عن ٧٪ مـــن مجموع الثروة الحيوانية وهذا رقم معقول .

اما عن الثروة المعدنية في السودان فنكتفي بالقول ، انها ما زالت بغير دراسة علمية كافية : هل يوجد في السودان بترول .

نعم .. ولا .. في نفس الوقت .

في مراحل جاءت اخبار متضاربة حول هذا الشأن .

ولكن بغير مسح وتنقيب جيولوجي لا احد يستطيع ان يحكم .

اخيرا فان هذه بعض الافكار التي تتوارد على الخاطر في ايام الذكرى الاولى لثورة ايار وبعض الافاق لمستقبل العلاقات بين الدول الثلاث والتـــي

هيأت لها وجعلتها ممكنة ثورات حزيران وايار وايلول .

تصريحات احمد سليمان

ولقد اكد هذه الافكار والاراء كلها الوزير الاستاذ احمد سليمان وزير الاقتصاد السوداني فقال :

ان معركة الساعة ، هي المعركة التي نخوضها كل يـوم مـع العـدو الصهيوني الاستعماري ، ولا شك ان الاتفاقـات الاقتصاديـة العربيـة والمشروعات والخطط الخاصة بالتكامل والتعاون الاقتصادي العربي تعطـي دفعة قوية لهذه المعركة ، ان الدول العربية غنية يا اخـي ، غنية بامكانياتها المادية وطاقتها البشرية وكل ما تحتاج اليه ، تخطيط ، وتنظيم لهذه الطاقـة وتلك الامكانيات ، بشرط ان يكون القائمون على هـذا التخطيط والتنظيم ، مخلصين وصادقين في تحقيق هذا الهدف ..

قلت : لا شك ان مؤتمر وزراء الاقتصاد العرب حقق شيئا في هـذا الصدد ..

قال : نعم ، نوقشت قضايا على جانب كبير من الاهمية ، ولقـد اتفق على انشاء صندوق التنمية العربي ، تساهم فيه جميع الدول العربية للقيام بالاستثمار في مشاريع صناعية اقتصادية في البلاد العربية ، انـه مشروع عظيم ، ولكن كأي شيء عظيم ومفيد لا بـد ان تواجهه بعض المشاكل وقـد واجهتنا بعض المشاكل ، وخاصة في مناقشة ميزانية الصندوق ودور كـل بلد عربي في المساهمة .

لقد كانت هناك فكرة تقول بأن تساهم كـل بلـد عربي بنفس القدر ، وبالطبع تتجاهل هذه الفكرة حقائق كثيرة ، منها : ان هناك بلادا عربية تقوم بمسؤولية التحالف الاستعماري الصهيوني ، هذه المواجهة الحامية تكلفهـا الكثير من الاموال والامكانيات ، فكيف يمكن ان تطالب دولة تخطط كل شيء من اجل معركة الشعوب العربية كلها ، بأن تدفع نفس القدر الـذي تدفعه دولة بعيدة عن مثل هذه الالتزامات ، وايضا كما تعرف هناك بلاد عربية غنية عندها من الموارد البترولية وغيرها ما يمكنها ـ لو شاءت ـ مـن ان تلعب دورا كبيرا في التطوير الاقتصادي لكل الدول العربية ..

ـ هل وصلتم الى اتفاق ؟

قال : نعم وصلنا الى اتفاق بعد مناقشات طويلة ، ولقـد لعب وزيـر

الاقتصاد المصري دورا كبيرا في التمهيد للوصول الى هذا الاتفاق فلقد تقرر ان تكون ميزانية صندوق التنمية ١٠٠ مليون جنيه ، ستدفع الكويت ٣٠ في المائة من هذا المبلغ والباقي يوزع على الدول العربية .

ـ وهل وقعت الاتفاقية بالفعل ؟

قال : نعم هناك وفود وقعت وصدقت مثل الاردن والجمهورية العربية المتحدة والجزائر والسودان وشوريا والعراق وابو ظبي ووفود اخرى وقعت وارجأت التصديق لحين الرجوع الى حكوماتها .

لقد وصلنا الى نتيجة على اي حال ، ولكنا نسعى الى نتائج احسن ان لدينا طاقات كثيرة كما قلت يجب ان تستثمر مشروعاتها الاقتصادية باموال العرب ..

ـ كيف ؟

قال : هذه الارصدة الكبيرة لبعض الدول العربية في بنوك اوروبا واميركا خصوصا وان نفس هذه البنوك هي التي تقرض اسرائيل وتعاونها ويسيطر على غالبيتها عناصر صهيونية .. هذه الارصدة يمكن ان توجه في مشروعات كبيرة لدعم وتقوية الاقتصاد والصناعة العربية ..

القطب الجاذب

قلت : ما دام الحديث من القلب فدعني اسألك عن ما يثيره البعض من ان اتفاقيات التكامل الاقتصادي بين مصر والسودان وليبيا تمض في غير طريق التكامل الاقتصادي العربي ككل .

قال : بالعكس يا اخي : ان التكامل الاقتصادي بين مصر وليبيا والسودان ، يرسم الطريق ويمهده لتكامل اقتصادي عربي ، ان اي اتفاقية ثنائية او ثلاثية او اكثر واي مشروعات للتكامل بين اثنين او مجموعة من الدول العربية تقرب الطريق كثيرا للوصول الى الهدف الذي نسعى اليه ، انها الخطوات المحددة والفعالة والتي تنطلق من ارض الواقع لتعطي صورة مجسمة للشعوب العربية عن اهمية التكامل الاقتصادي العربي .

ان ثورة ٢٣ تموز والنجاح الهائل الذي حققته في مجالات التصنيع والانتاج قد جعل هذه الثورة قطبا جاذبا لاماني الشعوب العربية ودعني اقول لك ان كل مصنع افتتح في مصر وكل مؤسسة انتاجية انشئت لم تكن في صالح الشعب العربي كله ، انني كمواطن سوداني اقدر بعمق وانفعال

هذا النجاح العظيم الذي حققه ويحققه الشعب المصري في مجال التصنيع والانتاج ، ولن اكون مبالغا اذا قلت ان لدي الاحساس بأن مصر دولة صناعية هامة ستفرض نفسها خلال السنوات القليلة القادمة .

قلت : امتدادا لحدث القلوب : فهل هناك حساسيات او مشاكل في تنفيذ اتفاقيات التكامل الاقتصادي بين مصر والسودان وليبيا .

قال الوزير السوداني في حماس الفلاح الطيب وعمق الاقتصادي !

ـ أي حساسيات ، اننا في السودان نعمل للتكامل الاقتصادي كمرحلة للوصول الى الهدف الذي يتمناه كل سوداني وهي الوحدة الاقتصادية الشاملة ، انك لو حضرت اي اجتماع بين المسؤولين في مصر والسودان في جميع القطاعات فسيغمرك الاحساس بانهم من بلد واحد ..

ان الكل يعرف ويدرك حقيقة ان التكامل الاقتصادي ضرورة للشعب المصري والسوداني والليبي ؟ ان مصر لديها هذا التقدم الصناعي والخبرة الفنية الواسعة ، وليبيا لديها امكانيات البترول الغنية والسودان ملىء بالثروات الطبيعية التي لم تستغل حتى الان ان لدينا اكثر من ١٥٠ مليون فدان صالحة للزراعة ، لدينا حزام اليوبراتيوم ، ولدينا وادي النحاس ، كلها لا بد ان تستثمر ولا يمكن استثمارها الا بتعاون واسع وبلا قيود بين شعوبنا .

قلت : هل هناك خطوات فعالة قد اتخذت بالفعل في هذا المجال ؟

قال : نعم ، لقد تكونت بالفعل شركة سودانية مصرية لحفر الابار ، وهو مشروع هام بالنسبة لقطاع كبير من الشعب السوداني وهناك الشركة المصرية السودانية المشتركة للاستيراد وهناك مشروعات اخرى كثيرة على الطريق ..

ان الذي يجب ان يعرفه ويدركه تماما كل مصري ان الشعب السوداني يحس احساسا عميقا واصيلا بالروابط التاريخية والنضالية المشتركة التي تجمعه مع شقيقه المصري ، اننا نحب مصر يا اخي ، نحبها بأصالة واخلاص..

١٦

الوضع في السودان قبل الثورة

الانحراف

ماذا كان يحدث في السودان قبل الثورة ثورة ايار ؟

لقد كان الوطنيون والاشتراكيون بعد استقلال السودان في كانون الثاني ١٩٥٦ يأملون ويعملون ، على ان يكون الاستقلال السياسي بداية للكفاح في سبيل التحرر الاقتصادي والاجتماعي ، واشاعة الديموقراطية الحقيقية في حياة المجتمع وثقافته .

ولكن الدوائر التي توالت على الحكم اهملت كل هذه القضايا ، او تعمدت تعطيلها ، ففقد الاستقلال مضمونه ، كما اتفق على ذلك كل المراقبين .

وقد تجلى ذلك في عدة امور بلغت ذروتها قبل ثورة ايار .

● ففي الميدان الاقتصادي والمالي كبلت البلاد بقروض مشبوهة بشروط مجحفة بلغت مرحلة التدخل في شؤون البلاد والمساس بسيادتها .

فالبنك الدولي يقترح تفكيك مشروع الجزيرة الى ملكيات صغيرة بعد ان كان يدار وينتج باشتراك الدولة والمزارعين .

كما اقترح ايضا ان تحول منشئات وهيئات عامة مثل : السكك الحديدية الى القطاع الخاص ، او تدار على الاقل بمثل هذه الاسس .

ومن مظاهر الفساد الاقتصادي ايضا ، التلاعب برخص الاستيراد ،



جمال عبدالناصر يتحدث الى وزير الحربية المصري اثناء المناورات

وتوزيعها ، ومنحها على اسس حزبية مقابل أن يدفع المنتفعون بها جزءا من ارباحهم لخزينة حزب الوزير ، ويمولون نشاطه الانتخابي .

وفي نفس الوقت زاد النواب والوزراء مرتباتهم بقرار من البرلمان في نفس الوقت الذي كانت الصحف تنشر فيها بيانات وانباء عن عدم دفع مرتبات بعض صغار الموظفين والعمال حتى منتصف الشهر ، في بعض اقاليم السودان خارج عاصمته !

وكان جزء من القروض الاجنبية لا يستخدم في مشاريع التنمية ، بل

يستخدم لموازنة ودفع مرتبات موظفي وعمال الدولة في كل شهر .

واظن ان هذه الامثلة تكفي لتوضيح انحدار الوضع الاقتصادي .

● نقفز من هذا ، الى احترام سلطة القضاء ، التـي يقـول دستور السودان باستقلالها واحترام ذكر الاستقلال ، وانها السلطة الوحيدة التـي يكون قرارها نهائيا للفصل في المسائل الدستورية .

ان اول محاولة جرت لممارسة هذه الحقوق الاساسية كشفت عن عدم التزام الدوائر الحاكمة باحترام هذه الحقوق .

في عام ١٩٦٦ طردت الاغلبية الحكومية ثمانية من النواب اليساريين، والغت نيابتهم بصورة تعسفية ، فأقاموا قضية دستورية ايدتها المحكمـة العليا ، تمشيا مع نصوص الدستور الـذي اقسم الوزراء والنواب علـى المصحف على احترامه .

ولكن الحكومة رفضت قرار المحكمة العليا .

وهو امر ليس له اي سند دستوري .

بل ان قيادة الاحزاب الحاكمة قد اصدرت بيانا تجرح فيه القضاء .

وقد ادى ذلك الى استقالة رئيس القضاء في ذلك الحين السيد بابكر عوض الله احتجاجا على هذا الموقف .

المشاكـل تتزايـد

● ثم ظلت المشاكل الاخرى تتفاقم ويزداد الحكم امعانا في الفساد .

وظلت مشكلة الجنوب المزمنة بغير حل .

واتسع التناقض بين الحاكمين ، وجماهير الشعب .

واصبحت القوى الحاكمة موضع احتقار وعدم ثقة ونفور .

ولكن ماذا كان رد الفعل الشعبي !

جماهير غفيرة سحبت ثقتها مـن الوضع والنظام حتـى بين الذين اشتركوا في الادلاء بأصواتهم لمصلحته في عام ١٩٦٨ .

واصبح الدفاع عن نظام الحكم امرا شاقا تماما .

ولم يقف الامر عند مجرد الرفض مرة اخرى قامت الهيئـات الشعبية

والنقابات وتنظيمات المثقفين ، بواجبها الوطني في النضال ضد الدوائر الحاكمة ، التي اخذت تنحدر اكثر فاكثر في مستنقع الرجعية .

فالجماهير المنظمة والتي خرجت ظافرة قبل خمسة اعوام ، واسقطت نظاما رجعيا كانت تسخر قوى الجيش والبوليس لفرض ارادته وحمايته ..

مثل هذه الهيئات الديمقراطية من الصعب ان تحني رأسها او تلغي وجودها في مثل هذه الظروف .

بل يحدث العكس فستزداد هذه الهيئات اصرارا على تصحيح الاوضاع .

● ثانيا — في هذه المرحلة شهد السودان اكبر مظاهرات ومسيرات احتجاج واضخم الاضرابات العمالية كما لوحظ ايضا في هذه المرحلة تزايد نشاط نقابات الموظفين ونضالها بصورة متحركة .

وكان واضحا ان روح ومبادىء ومكتسبات ثورة ايلول « ١٩٦٤ » لم تذهب هدرا ، رغم تسلل الرجعية الى مقاعد الحكم في عام ١٩٦٥ فكان كل اعتداء على الحريات العامة يقابل برفض ومقاومة .

الطريق المقفول

ولكن الرجعية السودانية ظلت تسير في طريقها المقفول ، لقصر نظرها وضعف اساسها المادي والايديولوجي ، وظلت تتخبط في ازماتها ، وتتسع الهوة بينها وبين الشعب الذي تحكمه ، ويعرى موقفها اكثر . فعجزت مثلا عن علاج « مشكلة جنوب السودان » ، كما عجزت ايضا واهملت « مشكلة العطش المزمنة في غرب السودان » وغيره من الاماكن

انقسام الحزبين الحاكمين

ثم نجيء الى الاسبوع الذي سبق ٢٥ مايو — فماذا نجد ؟

نجد ان الازمات قد امسكت بتلابيب النظام،وشلت حركته !

فالحزبان الحاكمان المؤتلفان قد دب بينهما خلاف حاد حول رئاسة الجمهورية .

فزعيم الحزب الوطني الاتحاد « المرحوم اسماعيل الازهري » قد رشح

نفسه لذلك المنصب القيادي وكذلك فعل شريكه في الحكم زعيم حـــزب الامة « الهادي المهدي » .

فانقسم جهاز الدولة حول هذاالمحور واصبح مجلس الوزراء مشلولا منقسما ، يعجز عن اتخاذ اي قرار حاسم في اي امر من الامور

وفي نفس تلك الايام ، تقدم احد نواب الحزب الوطني ، باقتراح في البرلمان يطالب فيه باعادة العلاقات الدبلومـــاسية مع حكومة بون بالمانيـــا الغربية ، رغم انها كانت وما تزال تمد المتمردين في جنوب السودان بالسلاح وموقفهـــا مـــن اسرائيـــل معروف .

لعل هذه اللمحات السريعة تستطيع ان تعطينا صورة متكاملة عن العهد الرجعي ، الذي كـــان يتربع على كراسي الحكم ، ويجلس فوق مناطق السلطة والنفـــوذ ..

لعلنا ندرك من خلال ذلك الى اين كان يسوق البلاد .

ولا نريد هنا فقط ان نعدد مساوىء العهد الماضي بل العبرة من وراء ذلك هي ان نضع ايدينا دومـــا على الاوضاع التي رفضها الشعب السوداني ونعمل للقضاء عليهـــا .

القرارات الاشتراكيـــة

ولهذا ، فان المنجزات الاشتراكية ، التي انجزتها الثورة السودانية ،هي فضلا عن ضرورتها لتخليص الشعب السوداني السوداني من قوى الاستغلال الداخلي ، او لدفع جماهيره العاملـــة في طريق التقدم والتطور بالانتـــاج والثقافة .. فانها في الوقت نفسه ، خطوة لازمة ، لقيام التكامل الثـــوري بينها وبين ثورة ٢٣ تموز على اساس من وحدة الاتجاه في الفكروالتطبيق ..

وبعد ان اعلنت الثورة السودانية تشريعاتها الاشتراكية العظيمة . فـــي عيدها الاول .. فقد بات من الزم الامور ان تتعرف الجماهير على دليل عملها الثوري ، وهو ما اشار اليه الرئيس اللواء جعفر النميري ، عندمـــا اعلن ان مشروع الميثاق الوطني للثورة السودانية الاشتراكية سيعلن في مدى قريب ليكون موضع مناقشة الجماهير تمهيدا لاعلانه ميثاقا ودليلا للعمل .

اي ان الوضوح الفكري في طريقه الى جماهير الثورة السودانية الان.. حتى تتعرف قوى الشعب العاملة في القطر الشقيق ،على حقوقها وواجباتها

والواقع ، ان تجمع قادة الثورات الثلاث في الخرطوم ،في عيد ثـورة السودان الاول ، لم يكن تجمع مجاملة ، ولا مجرد تعبيـر عن فرحة الشعوب الثلاثة ، بانتصار ثورة السودان ، خلال عامها الاول ، على القوى المعاديـة، والمعوقات الموروثة ، او بمـا انجزته هذه الثورة خلال اثنى عشر شهرا .رغم معاركها ضد القوى الرجعية والعميلة .

اجتماع المناضليـن

انه ، فوق هذا ، وقبله ، تجمع نضالي ، يسفر عن مزيد من الخطوات الثوريـة نحو الوحدة المدروسة ، التي تقوم في جانب منها على وحدةالهدف ووحدة المصير ، وفي الجانب الاخر ، على وحدة الفكر ، ووحدة التطبيق .. وفي الجانب الاهم والاشمل .. على وحدة النضال ضد العـدو المشترك .. الصهيونيـة الاستعمار ..

ولقد كـان من الطبيعي بعد مضي عام على الثورة السياسية التـي اسقطت نظام الحكم الرجعي المرتبط بالمصالح الاستعمارية وانتقال السلطة السياسية الى ايدي ممثلي الطبقات العاملـة في السودان ان تبدأ السلطـة الجديدة في اعادة تشكيل البنيـان الاقتصادي والاجتماعي ، بما يتمشى مع طبيعـة السلطـة الجديـــدة المرتبطـة بالشعب والمعاديـة للاستغـلال والاستعمـار .

وتكمن الاهمية الرئيسية لاجراءات التأميم التي اتخذت في السودان اخيرا ، بانها تضع الاساس الحقيقي للاستقلال ؟ فمن الناحية النظرية كـان السودان بلدا مستقلا منذ سنة١٩٥٤ يتمتع بكل شكليات الاستقلال ، مـن حكومة محلية ، وعضويـة في الامم المتحدة ، وعلم ونشيد خاص به ، ولكـن من الناحية الواقعية ظل اقتصاد السودان اقتصادا تابعا ، تتحكم فيـــه الاحتكارات العالمية ، كسوق لمنتجاتها الصناعية من ناحية ،وكمصدر من‌مصادر المواد الخام من ناحية اخرى ، فمـن المعروف انه ومنذ نهاية الحرب‌العالمية الثانية وتصاعـد حركة التحرر الوطني، مستندة الى وجود معسكر اشتراكي قوي، يقدم لهـا العون ، قام الاستعمار الجديد بحركة التفاف قصد بهـا الاحتفاظ بمصالحه الاساسية في البلاد المستعمرة ، مع تغيير بعض‌تكتيكاته واشكاله القديمة ، وكان وما زال اخطر اشكال الاستعمار الجديد هو التسليم بالاستقلال الشكلي مع العمل المستمر على تفريغ هذا الاستقلال من مضمونه الحقيقي ، وذلك بالابقاء على الاوضاع الاقتصادية المتخلفة في البلدان المستقلة حديثا ، ووضع العراقيل امام اي جهود حقيقية تسعى الى بناء اقتصاد وطني مستقـل .

ووضحت ملامح اشكال الاستعمار الجديد في ثلاث محاور اساسية .

اولا : ربط اقتصاديات تلـك البلدان التي غالبا ما تكون معتمدة علـى الزراعة وبعض الصناعات الاستهلاكية ، ربطـا قويا بالســوق والشركـــات الرأسماليــة الاجنبيــة .

ثانيا : الحيلولة دون وصول تلك البلدان الى التصنيع ،والتصنيع الثقيل بوجه خاص ، وذلك عن طريق النهب المستمر لتراكم راس المال في تلـك البلدان ، من خلال البنوك والشركات التجارية ، التي غالبا ما تكون في ايديهم او مرتبطـة بهم وبمصالحهم ، مع الحرص على توجيه القروض والمعـونات التي تقدمها الدول الاستعمارية الى مجالات غير منتجـة ، كالخدمـات او مشروعات استهلاكية .

ثالثا : ربط الرأسمالية المحلية بالشركات الاستعمارية الكبرى واعطائها دور الشريك الاصفر وذلك حتى لا تنمو لديهـا تطلعاتها القومية في الاستقلال بالســوق المحلـي .

ومن هنا فان اجراء حكومة السودان الاخير يعتبر ضربة اساسية لكـل هذا المخطط الذي نفذ في السودان منذ سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٦٩ .

فتأميم البنوك ،والشركات التجارية ، وتنظيم الرقابـة علـى شركات التأميــن ، يحقق اولا ــ سيطرة الحكومة السودانية على كل مصادر التمويل المتاحـة في السودان ، ويحقق ثانيا ــ وقف استنزاف رؤوس الامـــوال السودانية الى الخارج ، ويحقق ثالثا ــ الارضية المطلوبة لرســم الخطـط الاقتصاديـة في اتجـاه مشروعات استثماريــة وانتاجية ، تعمل هي بعد ذلـك على دعم مصادر التمويــل ذاتهــا .

وباختصار فــان هذا الاجراء يضع السودان على ابواب مرحلـة هامة وخطيرة هي مرحلـة البناء الاقتصادي المستقل .

ومن ناحيــة اخرى فــان هذا الاجراء ، يضع الاساس القوى لعمليات التكامل والتعاون الاقتصادي بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان ،فمن المعروف ان مــن اهم المشاكل التي كانت وما زالت تواجه مشروعات التعاون الاقتصادي بين الدول العربية ، هو اختلاف البنيان الاقتصادي بين عدد من هذه البلدان ، ولقد كانت القوى الاستعمارية تضرب بشدة على هــذا الوتر لافشال اي تعاون ، او تكامل اقتصادي بيــن الدول العربية ، وخـاصـة بعض هذه الدول وبيــن الجمهورية العربية المتحدة .

وتأميم الشركات والبنوك السودانية ،يخلق ارضية متجانسة في المجال

الاقتصادي ، لتعاون وتكامل مستمر بين البلدين ، في المشروعات الاستثمارية والصناعية لصالح الشعبين المصري والسوداني ..

فهذا التجانس الذي ينطلق من ارضية مشتركة ، تستهدف بناء اقتصاد قومي قوى يعمل في صالح ، ومن اجل قوى الشعب العاملة بعيدا عن الاستغلال والاستعمار يشكل في الواقع الارضية العلمية ، ليس لتكامل اقتصادي محدود بل ولوحدة اقتصادية وسياسية كاملة .

كما انه في نفس الوقت يتخطى كثيرا من العقبات التقليدية التي تواجه مثل هذه المهمة الصعبة ، وخاصة فيما يتعلق بالخبرات الفنية وبتراكم رأس المال .

١٧

المؤامـــرة على الســودان
انــذار المتمردين ثم سحقهــم :

ما كا نللثورة السودانية ان تمتاز عن غيرها من الثورات العربية وغير العربية التي تحررت في جميع انحاء العالـم ..

لقد اهتمت بها وكالة المخابرات الاميركية كما اهتمت بغيرهـا مـن الثورات .. فسلحت المهدي الاقطاعي الاول في السودان ، ودعته لجمـع انصاره والعمل ضد الثورة والشرفاء الثائرين ..

واستطاع الهادى المهدى ان يجمع ثلاثين الفا من انصاره اوعز الـى بعضهم باثارة الفتنة في العاصمة ..

وقد وصفت الاهرام القاهرية ما حدث فقالت :

انه في الساعة الخامسة صباحا ، تجمعت مجموعة من الانصار (اعوان الهادي المهدي) المسلحين بالمدافع الرشاشة والبنادق والقنابل اليدويـة والحراب والسيوف في حي « ودنوباوي » بام درمان ، واتجهوا الى حـي العباسية حيث انضمت اليهم مجموعة اخرى من الانصار . وقد حاولوا عبور جسر ام درمـان الىالخرطوم ، واصطدمت بهم قوة من البوليس ونقـط الحراسـة .

وعلى الفور وصلت قوة من الجيش بقيادة بابكر النور عضو مجلس قيادة الثورة فارتد المتمردون واعتصموا بمسجد السيد عبدالرحمن المهدي، وفي بعض المنازل المجاورة . وجرت عمليـة حصار حولهم الى ان استسلموا في اقل من ساعـة وتمت تصفية حركة التمرد في ودنوباوي .

تصفية المقاومة ومصادرة الاسلحة

وفي نفس الوقت تجمعت مجموعة مسلحة اخرى من الانصار في الرميلة بالخرطوم ، وتصدت لها القوات المسلحة وقوات البوليس وحاصرتها في منطقة الحلة الجديدة ، وقد صفيت مقاومتها وصودرت الاسلحة التي كانت معها ، وتبين انها كلها غربية .

وقد تم القبض على عدد من الذين اشتركوا في محاولات ام درمان بينهم اللواء احمد عبدالله حامد الذي هرب من جزيرة ابا .

وينتظر ان تبدأ قريبا محاكمات عاجلة . وقد كان تشكيل المحاكم التي ستتولى النظر في قضية الفتنة ، من بين المسائل التي بحثها مجلس قيادة الثورة في اجتماعاته المتصلة في اعقاب المحاولة التي جرت اثناء زيارة اللواء جعفر النميري رئيس مجلس الثورة لمناطق النيل الابيض .

ووضع مجلس الثورة خطة من مرحلتين للقضاء على الفتنة هما :

- توجيه انذار الى مثيري الفتنة الطائفية .
- استخدام القوة اذا لم يجد الانذار في تصفية الوضع القائم في جزيرة ابا على النيل الابيض .

وقد وجه المجلس بالفعل انذاره من الخرطوم ، وتولت ترجمته عمليات الطائرات التي حلقت على ارتفاعات منخفضة فوق الجزيرة تحذر من عواقب الاستمرار في المحاولة .

٣٠ الف مسلح وراء التمرد

وفي نفس الوقت تم تعزيز القوات المسلحة التي تحاصر جزيرة ابا مقر التمرد حيث جمع الهادي المهدي حوله ما يقدر بثلاثين الف شخص مسلحين، ووجهت القوات المسلحة الى المتمردين داخل الجزيرة نداء بتسليم السلاح . وتحددت الساعة التاسعة صباح يوم الاثنين ، اخر موعد لتسليم السلاح، وقد بدات اعداد كبيرة منهم في تسليم اسلحتهم مما دعا القيادة الى مد اجل الموعد حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا .

وذكرت « الاهرام » انه في نفس الوقت الذي جرت فيه هذه الاحداث عقد اجتماع مشترك بين لجنة مشكلة من مجلس الثورة ومجلس الوزراء

والهيئات الشعبيـة لتنسيق العمل في مواجهـة الفتنة . واشترك فـي الاجتماع من جانب الهيئات الشعبية ، المجلس العام للنقابات الذي يضم اتحاد نقابات العمال واتحاد الموظفين واتحاد المعلمين وممثلين عن الاتحاد النسائي واتحاد الشباب ونقابات المحامين والمهندسين والاطباء ، ونوقشت في هـذا الاجتمـاع قضايا حمايـة الثورة وتسليح العاملين .

وبدات منظمات العاملين (نقابات العمال واتحادات الموظفين والمعلمين) تنظيم فرق لحمايـة المؤسسات والمنشآت العامة .

وشهدت العاصمة المثلثة اجتماعات اخرى عديدة لجميع المنظمـات الشعبية لبحث الموقف واتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهـة القـوى المضادة للثـورة .

الاستعمار والرجعية وراء الفتنة

واذيع تصريح حول المؤامرة ادلى به السيد فاروق ابو عيسى وزيـر الدولة للشؤون الخارجيـة ذكر فيه انه من الواضح ان هناك مخططاللاستعمار والرجعية المحليـة وراء الفتنة التي وصلت الى حد حمل السلاح ضد الشعب بهدف تصفيـة الثورة واضعاف المقاومة العربية للاستعمار والصهيونية .

ثم قال : اننـا لا نستطيع ان نفصل بيـن ما اعد له الهادي المهدي مـن مخطط دموي ضد شعب السودان وثورته القومية ، وبين مـا تقوم به اميركا واسرائيل ضـد الامة العربية والثورة الفلسطينية . فهم يقفون جميعا موقفا واحدا هـو العداء الاسود لمسيرة شعوبنا العربيـة نحـوالتقدم والاشتراكية.

واضاف قائـلا : ان الثورة العربية في كافة الاقطار العربية تقف ضدهم بوعي وحزم لشل مخططاتهم هنا او هناك . ان مقومـات النصر هي في وحدة شعب السودان وجيشه من خلال ثورته ومساندة حركة التحرر الوطنـي العربية والعالميـة ، ونحن على ثقة من انتصار الثورة .

وصرح الرائد فاروق عثمان حمد الله وزير الداخلية ، بان الموقف في جزيرة ابا لم يصبح موقف خلاف سياسي ، انما اصبح مسألة استقرارالبلاد في الوقت الذي نواجه فيه عمليات الاستعمار في جنوب السودان وعمليات العدو الصهيوني في القناة وقال ان اللواء النميري حـاول تحـاشي كـل الاستفزازات على طول الطريق بفرض المحافظـة على وحدة البلاد .

تخطيط المؤامـرة في الخارج

وقالت « الاهرام » انه تكشفت من المعلومــات التي تجمعت لدى قيادة الثورة ، القصة الكاملــة لحركة التمرد . وتبين من هذه المعلومــات انالاعداد للتمرد المسلح قــد بدأ منذ عدة اسابيع في الخارج حيث عقدت العنــاصر السودانية الرجعية اجتماعا برئاسة الشريف حسين الهندي الذي هرب بعد ثورة ايــار بالطائرة الخاصة للهادي المهدي .

وفي هذا الاجتماع ، وضع مخطط لبدايــة عمل مضاد للثورة يعتمد على استخدام جزيرة « ابا » لبدايــة عمل مسلح ، خاصة بعد ان تمكنـت طائفة الانصار من الحصول على اسلحة متنوعة منمصادرغربية هربت اليهــا خلال الشهور العشرة الماضية ،منها كمية كبيرة من مدافع المورتر والمدافــع المضادة للطائرات والرشاشات والبنادق الحديثة ، والمدافع المضادة للدبابات وتم تهريب هذه الاسلحــة بواسطــة خبراء غربيين تسللوا الى جزيرة ابــا تحت اشراف اللواء المسرح احمد عبدالله حامد .

ويعتمد هذا المخطط كذلك ، على اللجوء الى اسلوب التخريب فيالجبهة الداخليــة ، باحداث اضطرابات وتدمير المؤسسات العامة .

بدء محاولات احداث الفتنة

وروت « الاهرام »الاحداثالتي مهد بهــا الرجعيون لمحاولاتهم لاحداث الفتن وفرض التمرد المسلح ، فذكرت انه قــد لوحظ انه في الاسبوعالماضي طالــب بعض العمال في مصنع النسيج بالخرطوم بحريبالاضراب عن العمل، وهي عناصر عماليــة معروفة باتجاهات سياسيــة معادية للنظــام الثوري . وعقدت الجمعية العمومية للنقابات ورفضت قرار الاضراب باغلبية كبيرة ، ورغم ذلك تمكنت هذه العناصر من القيام بحركة اضرابية .

ولما اجيبت مطالبهم اصروا على الاستمرار في الاضراب لسبب غيــر معقول ، ولكنهم لم ينجحوا ، وكانهذا الاضراب انذارا ببداية التحرك المضاد في المجال الداخلي ، خاصة وان هناك لجنــة رسمية مشكلــة من الحكومــة ومجلس الثورة واتحاد نقابات العمال لمناقشة مشاكل العاملين وحلها .

ثم اشارت الصحيفة الى بداية التحرك الرجعي مع بداية زيارة الرئيس النميري للنيل الابيض ، فذكرت انهقبل بدايــة هذه الرحلــة باسبــوع ،

بدات القوى المضادة تحركاتـا واخذت تحشد انصارها المسلحين في بعض القرى القريبة من جزيرة ابا حيث يقيم الهادي المهدي منذ الثورة . ودخـل هؤلاء الانصار بعض القرى وعاثوا فيهـا فسادا ، واعتدوا علـى المزارعين المسالمين ونهبوا المحلات التجارية ليمنعوا المزارعين من استقبال مسيرة الرئيس النميـري .

جولة النميري بالنيل الابيض

وفي يوم ٢٤ اذار بدأ الرئيس النميري رحلته الى النيل الابيض ، وفي بدايـة مسيرته ووسط استقبالات جماهيرية حارة وجهود ناجحة لجمـع التبرعات لحملة محاربة العطش ، اعلـن الرئيس النميري ان عـددا مـن الاجراءات الثوريـة الخاصـة بالاصلاح الزراعي ، مثل الغاء مجالس المشاريع الزراعية القديمة التي تتحكم فيها عناصر اقطاعية وتشكيل مجالس جديدة يتشارك فيهـا المزارعـون الفقراء والعاملون . واعلن تكويـن « مؤسسـة النيل الابيض » يشارك في مجلس ادارتهـا المزارعون والعاملون . وقد بلغ عدد المشاريع التي تم نزعهـا من العناصر الرجعية ٢٦ مشروعا تبلغ مساحتها حوالـي عشريـن الف فـدان .

واستعرضت الاهرام نشاط القوى المضادة خلال رحلة الرئيس النميري الذي بلـغ ذروته عندما تجمع عدد من اتباع الانصار المسلحين بالحـراب والسيوف في قرية الكوة ، وحاولوا الاعتداء على الرئيس السوداني والوفـد المرافق له ، ولكن محاولتهم فشلت امام العدد الهائل من الجماهير التي كانت في الاستقبال وفاق عددهـا عدد الانصار .

ثم بدأ استقبال جماهيري اذهل الانصار ، فتوقفوا عن ترديد هتافاتهم . وكانت المفاجأة لهم اكبر ، عندما نزل وسطهم بجرأة وشجاعة الرائدان ابـو القاسم محمد ابراهيم ومأمون عوض الله ابو زيد . وخاطبهم ابو القاسم قائلا: انتم اناس بسطاء ، وكنـا نود ان يحضر الى هنا للقائنـا الذين دفعوكم الى هـذا العمـل .

وانتهى المشهد في الكوه بابعاد الانصار وارغامهم على العودة الى قراهم التي يبعـد بعضهـا ٣٠ كيلومترا ، مشيا على الاقدام بعـد ان صودرت عربات النقل التي قامت بنقلهم . وقد اعتقل في الكوه واحد من الانصار كان يخفي سكينـا في عمامته للاعتداء على رئيس مجلس الثورة .

المهدي اعد حركة التمرد في الجزيرة

وقالت « الاهرام » انه في هذه الاثناء كان الهادي المهدي يحضرلمعركة دامية من داخل جزيرة ابا مستغلا سذاجة انصاره وبساطتهم لتنفيذ المخطط الذي وضعه الشريف الهندي في الخارج بتعاون مع الدوائر الاستعمارية ، وبصورة خاصة الدوائر الاميركية .

ولكن قيادة ثورة ايار ، رأت ان تبذل كل جهودها للحيلولة دون معركة تسيل فيها دماء المواطنين السودانيين ، فارسل الرئيس النميري الىجزيرة ابا وفدا عسكريا بقيادة احمد ابو الذهب وهو من القادة العسكريين البارزين والمشهود لهم بالشجاعة ، وسبق ان اشترك في عدد من الانقلابات العسكرية ضد حكم عبود وحكم عليه بالسجن وظل به حتى ثورة الخامس والعشرين من أيار ، لمقابلة الهادي المهدي ليكف عن اللعب بالنار . وفي الجزيرة ، استقبل الوفد العسكري استقبالا سيئا واعتدي عليه بالضرب ولكن الضباط تحملوا كل الاستفزازات حتى اجتمعوا بالهادي الذي رفض التفاهم معهم وقال لهم ان شروطه هي ان يتسلم السلطة ويصبح هو رئيسا للجمهورية .

وعاد الضباط الى الخرطوم وقد رأوا باعينهم التحصينات العسكرية والاسلحة الغربية المحشودة ، وبعض الخبراء الاجانب .

واعتبرت قيادة الثورة ان طلبات الهادي المهدي مرفوضة لانها طلبات مقدمة من متمرد خارج على القانون . واذ استشعرت قيادة الثورة خطورة المخطط الاستعماري الرجعي ، قررت بعد اجتماع مشترك للمجلسين ، دعوة الشعب لدحر الحركة المضادة للثورة والعمل جنبا الى جنب مع القوات المسلحة ، ولبت المنظمات الجماهيرية الدعوة وبدأت العمل المنظم للوقوف ضد القوى المضادة للثورة وفي نفس الوقت بدأت القوات المسلحة تحيط بالجزيرة لاسكات اي عمل طائش .

ولقد تأكد الان بما لا يدع مجالا للشك ، ان هناك مخططا استعماريا كاملا لتحرك مضاد للثورة ، وهو مخطط مرسوم علىاساس تصعيد حركة التمرد فيجنوب السودان ، ثم تحريك الجنوب المختلفة صعودا الى الشمال على ان يكون تحرك جزيرة ابا العسكري،هو اخر التحركات . ولكن خيوط المؤامرة كشفت مبكرا وفقدت القوى المضادة فرصة المباداة .

١٨

كيف حطمت الثورة السودانيـة مؤامـرة المهـدي والاستعمار ؟

ثورة علي ثورة

ليس من شك بان السبب الرئيسي للتحـرك الاستعمـاري المثـل بالمخابرات الاميركية ، في السـودان وليبيا فـــي الوقت نفسه ، هـو تطلع هذين القطريـن العربيين الى خارج حدودهما !.. وهذا يعني ان حكام السودان وليبيـا لا يؤمنون بالواقع الفاسـد الذي يعيشون فيه ولا يعترفون بالحدود المصطنعـة التي خطها الاستعمار ، ولكنهم يؤمنون ايمانا حقيقيا، بانهم ينتمون لامة عربيـة مترامية الاطراف ، عليهم واجب النضال للسيـر بهـا نحو الحريـة ونحو الوحدة ونحـو العدالة الاجتماعية ..

وانطلاقـا من هذه المبادىء التقدمية بدأ التنسيق الجدي بين الجمهورية العربيـة المتحدة والجمهورية العربية الليبيـة وجمهورية السودان .. ومع بدء التنسيق السياسي والعسكري والاقتصادي والفكري .. مـع هــذا التنسيق بدأ عملاء الاستعمار في السودان وليبيا مؤامراتهم لضرب هاتيـن الثورتيـن التقدميتين وابعادهمـا عن ثورة ٢٣ تموز .. الثورة الام .

وكان اللواء جعفر نميري رئيس مجلس الثورة قـد كشف قبـلا عـن المؤامرة التي اكتملت خيوطها خلال زرياتـه الاخيرة لمنطقة النيـل الابيض ، واكـد قائـد الثورة اصرار الثورة السودانية على التصدي للمؤامرة بحزم وقوة ، يؤيده في ذلـك الشعب والجيش معا ..

وقد ظهر هذا التأييد فيمـا اعقب اذاعة البيـان مـن مظاهرات شعبية ضخمـة توجهت ليـلا الى القصر الجمهوري بالخرطوم تطالب بسحق التمرد المسلـح الذي يقوده الهادي المهدي في جزيرة « ابا » وباعتقال الهادي واعوانه ومحاكمتهم ومصادرة كل ممتلكاتهم .

وقد اجمع المراقبون في الخرطوم على ان التحرك الرجعي في منطقة النيل الابيض لم يكن مفاجأة لاحد .. فمن المعروف ان حزب الامة قداعلن عند قيام ثورة السودان في٢٥ ايار واعلان اهدافها الاشتراكية معارضته لهذه الثورة لانها ضد اهدافه ومبادئه المرتبطة بالاستعمار وعلى رأسه اميركا.

ويؤكد تسلسل الاحداث الاخيرة خلال رحلة اللواء نميري لمنطقة النيل الابيض ان المؤامرة الاستعمارية قد رسمت بدقة بحيث تجعل ثورة ايارتواجه امرين لا ثالث لهما .

١ ـ ان يستجيب اللواء نميري لاستفزاز انصار حزب الامة فيصر على استكمال رحلته وضرب من يعترض طريقه ... وبذلك يجد الهادي المهدي فرصته للتحرك بالاسلحة التي وضعها الاستعمار في يديه لضرب قادة الثورة موهما بقية الشعب انه يحمي جماعته ولقد فوت عليه اللواء نميري هذه الفرصة بحكمته عندما صاح في القوى المرافقة له : « ان ثورة ايار لا يمكن ان تضرب هؤلاء المواطنين البسطاء المضللين لانها قامت من اجلهم ..ولكنها ستضرب الرؤوس .

٢ ـ ان يستجيب اللواء نميري لاستفزاز اكثر عنفا وذلك عندما فتح انصار الهادي المهدي نيران مدافعهم على قوة صغيرة لا تزيد عن ٣٦ شخصا كانت في حمايته عندما غادر مطار « ربك » عائدا الى الخرطوم من منطقة النيل الابيض .. وعندما رفض الهادي المهدي التفاوض مع الوفد العسكري الذي اوفده نميري الى جزيرة ابا .. ومن الواضح ان هذه التصرفات تكشف محاولة الاستعمار والرجعية جر البلاد الى حرب اهلية طاحنة .

احداث رحلة نميري

هذا وقد جرت احداث رحلة نميري في النيل الابيض على الوجه التالي:

● غادر اللواء نميري الخرطوم يوم ٢٤ اذار بالباخرة على رأس وفد كبير يضم عضوي مجلس الثورة الرائدين ابو القاسم محمد ابراهيم ومأمون عوض ابو زيد واربعة من الوزراء وكان مقررا ان تستمر الرحلة خمسة ايام.

● عند وصول الباخرة الى احدى القرى تجمهر عدد من انصار الهادي المهدي يحملون الحراب والسيوف ويهتفون هتافات معادية للثورة ، وقد امر اللواء نميري بعدم التعرض لهم ثم واصل الوفد رحلته .

● عندما وصلت الباخرة الى مرسي « الكوة » حاول اكثر من ٤٠٠٠ من عملاء الهادي منع الباخرة من الرسو ، وكانوا يحملون الحراب والسيوف، ومرة اخرى امر اللواء نميري بعدم التعرض لهم ، وخرج اليهم وخطب فيهم،

● وواصل الوفد مسيرته الى مدينة كوستي وهناك تجمهر عدد كبير من العناصر الرجعية وهم يهتفون هتافات عدائية .. واستطاعوا عــزل جماهير المدينــة التي كانت تعد استقبالا كبيرا .

● ومع ذلك ضبط اللواء نميري اعصاب مرافقيه ورفض استعمــال العنف ، ورأى ان يرسل وفدا من كبار العسكريين الى الهادي .. في جزيرة (ابا) ولكن الوفد عاد بعــد ان تعرض اعضاؤه للضرب والتنكيل ، واعلن الوفد ان الهادي المهدي عرض شروطــا كثيرة منهــا تصفية الثورة والغاء جميــع قراراتها، وقدم الوفد للنميري تقريرا عن الجزيرة التي تحولت الى« ترسانة» وقاعدة اجنبيــة بهــا جميع انواع الاسلحة الحديثة ومدربون اجانب وقرر اللواء نميري العودة الى الخرطوم لتدارس الموقف .

● قطع اللواء نميري رحلته وعاد بالطائرة الى الخرطوم صباح يــوم الجمعة قادمــا مــن « ربك ».

وكان لا بــد من وضع حدلهذا التآمر المكشوف بعد ان صبرت ثــورة السودان كثيرا ..

وتحركت الثورة بكامل قوتهــا وضربت المتامرين في جزيرة «ابا» التي كانت تعتبر معقــلا حصينا ورهيبا ايام الاستعمار الانكليزي القديم ..

● وكان زعماء الاقطاع يتحصنون عندما تدعو الحاجة في هذه الجزيرة الواقعــة في منتصف النيل الازرق .

ولكن جزيرة « ابا » لــم تحميهم، فلقــد اغارت الطائرات السودانيةعلى هذه الجزيرة الموبوءة ، وسحقت المؤامرة في معقلها ، وانذرت البقيةالباقية منهم ، بالاستسلام فورا والا دمرت الجزيرة !!.

وبينما كانت الثورة السودانية تسحق المتامرين كان السيد انورالسادات نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة يرافقه السيد عبدالسلام جلود رئيس الحكومــة الليبيــة ووزير الداخلية يصلان الى الخرطوم ويجتمعان فــورا باللواء جعفــر النميــري . .

هذا وقد أكــد السيد فاروق ابو عيسىوزير الدولة للشؤون الخارجية

في تصريح له حول المؤامرة « بانه من الواضح ان هناك مخططا للاستعمار ، والرجعيـــة المحليـــة كانت بدون شك وراء الفتنة التي وصلت الى حد حمل السلاح ضد الشعب بهدف تصفيةالثورة واضعاف المقاومة العربية للاستعمار والصهيونية ... »

وفي منتصف الليل اي بعد ١٢ ساعة من انذار المتامرين ، قطع راديو امدرمـــان برامجه في منتصف الليل ، ليعلن للشعب العربي استسلام متامري جزيرة «ابا» .. واضاف الراديـــو ان القوات المسلحة عثرت على كميـــات ضخمة من الاسلحة الاتوماتيكية والمضادة للدبابات والطائرات .. ونبهـت الحكومة في بيان لهـــا الى ضرورة اليقظـــة ضد موجـــة محتملة من اعمـــال التخريـــب والتشويش .

دور اميركـــا

وهكذا انكشفت مؤامرة امركية جديدة .. فبعد المؤامرات الاميركية اليوميـــة على ج.ع.م .. وبعد المؤامرات السريـــة على ليبيا .. وبعـــد المؤامرات الاميركية الدموية على لبنان .. جاء دور السودان .. وليس مـــن شك بان هناك تشابه واضح بين اسلوب نيكسون في معالجة صفقةالطائرات الجديدة لاسرائيل ، ونشاط المؤامرة الاميركية بصورة غير عادية في لبنـــان والسودان ، فضـــلا عن نشاطها في اماكن اخرى من اسيا وافريقيا .

انه الاسلوب غير المباشر ، الذي يحاول ان يظهر غير مـــا يبطن والذي يحاول اطلاق ستار من الدخان ليخفي حقيقة نواياه . ولكن تجارب الشعوب وتاريخها الطويل في التصدي للمؤامرات والانقلابات الاميركية جعلها تـــرى بوضوح ما يختبيء خلف ستار الدخان . ولسوف يثبت ان عصرنا الحالـــي قد شهـــد فشل اميركا في مواجهـــة حروب التحرير ، وفشلها في اخفـــاء اساليبهـــا غير المباشرة ، ومؤامراتها الخفية التي تستعين فيها باجهزةمختلفة ســـاء كانت اجهزة مخابرات او اجهزة مخابرات او اجهزة يطلق عليها اسماء مضللة ، كالتعـــاون الدولي ، اوغيره مـــن المسميات .ان شعوب العالم تدرك الان ان الامبرياليـــة الاميركيـــة لا تتورع عن استغلال اي نوع من الصلـــة، ثقافية كانت او دبلومـــاسية او اقتصادية لتستغلهـــا في تحقيـــق اغراضها التامرية . ولسوف يترتب على ذلك بكل تأكيـــد عزلة الامبريالية الاميركية، وزيادة مقاومـــة الشعوب لهـــا ، التي سوف تحتشد في اسيا وافريقيـــا وامريكـــا اللاتينية لمقاومة المؤامرات الاميركية المفضوحـــة

١٩

الاتصال الاقتصادي بين الثورات الثلاث

آمــال عريضـــة

قد يبدو الحديث عن الوحدة الاقتصادية والتكامل الاقتصادي بين الدول العربية امنيات حالمة بعد مصير مؤتمر الرباط ، الا ان اجتماعــات طرابلس والبيان المشترك الذي صدر في اعقابها تؤكـد ان القوى الثورية الوحدوية العربيـــة قد تصرفت في مؤتمر الرباط من موقع القوة لا من موقع الضعف .. من مركز الايمــان بالوحدة العربية .. لا مــن موقع اليأس منها .

وفي هذه الظروف فان التذكير بالحقائق الاوليـــة للحياة العربية يصبح ملحا اكثر من اي وقت مضى ، حتى نتأكـــــد حقــا ان اصرارنــا علـى الاعلان عن اوضاعنا بصراحة وبكل نواقصها لن يهدم البيت فوق رؤوسنا بل هـــو الخطوة الاولى لبناء سليم .

ان اثنى عشر مليونــا من الكيلومترات تطل على المحيط الاطلسي والبحر الابيض والبحر الاحمر وبحر العرب والخليج العربي وتتحكم في اهم طرق التجارة العالميـــة هي رقعة الارض التي يشغلها الشعب العربي وهي مسافة تزيـــد عن مساحـــة كل من كندا او الولايات المتحدة او جمهورية الصيـــن الشعبيـــة .

وفوق هذه الارض يعيش مائة وتسعة ملايين نسمة « حتى عام ١٩٦٧ » تتحدث الغالبية الساحقـــة منهم اللغـــة العربية وتربطهم بمر القرون الام وامال واحدة . وتضم هذه الارض مساحات شاسعة قابلة للزراعة وتتميـــز بمناخ متنوع يتيح تنوعا واسعا في الحاصلات وثروات معدنية وطبيعية هائلة تشمل اكثر من نصف احتياطي العالم من البترول وثلث الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي مع توفـــر افضل ظروف للاستغلال والتصنيع .. ومع ذلك.. ما زال الوطن العربي يئن تحت وطأة التخلف الاقتصادي ، وما زال متوسط

نصيب الفرد من الدخل القومي فيه لا يزيد عن ١٨٩ دولارا في السنة وهو اقل من عشر نصيب الفرد من الدخل القومي في الولايات المتحدة الاميركية مثلا .

المستقبل حتى ١٩٨٠

وعلى اساس الخطط الحالية ، فحتى عام ١٩٨٠ لن تتغير الصورة كثيرا ،فعلى اساس تقرير المؤتمر الثاني للمهندسين العرب نجد ان استهلاك الحديد والصلب في البلاد العربية يقدر له ان يصل الى ستة ملايين طن بينما لن يتجاوز الانتاج في هذه السنة وبافتراض احسن التوقعات الاربعة ملايين ونصف المليون طن . وسيظل انتاج الاسمنت اقل من الاستهلاك المتوقع بخمسة الاف طن ، وحتى المنسوجات القطنية سيظل انتاجها عاجزا عن تغطية الاستهلاك المتوقع فيها بحوالي ٤٧ الف طن .. وهكذا في جميع المجالات ..

كل هذه الحقائق تصرخ بها كل تقارير الجامعة العربية وتقارير كل المؤتمرات الاقتصادية والهندسية العربية التي اهتمت بالواقع الاقتصادي للبلاد العربية ومع ذلك فان هذا الواقع لا يواجه في احسن الحالات الا بجهود متفرقة تضيف اليها الاعتداءات والمؤامرات الاستعمارية والصهيونية اعباءا فوق اعباء .

ان هذا الواقع لا يعود بالقطع الى نقيصة في الشعب العربي الذي سبق له ان بنى حضارات متألقة في تاريخ البشرية فاقت كل ما عداها من حضارات . بل هو التركة المثقلة لعهود السيطرة الاستعمارية الطويلة والتي يعمل الاستعمار القديم والجديد على تثبيتها بكافة الطرق .

ومنذ اكثر من عشرين عاما يدور الحديث حول امكانية تخطي هذا الواقع عن طريق التعاون والتكامل الاقتصادي . ولقد بدأت اتفاقيات التعاون الاقتصادي العربي عام ١٩٥٣ الذي يعقد دورته الخامسة عشرة في شباط .

التكامل الاقتصادي

ومنذ عام ١٩٥٧ بدأ الاتجاه نحو البحث عن اشكال للوحدة الاقتصادية العربية ، فابرمت اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة وتم انشاء

مجس لها ، وصدر في عام ١٩٦٤ قرار بانشاء سوق عربية مشتركة حيث رئي الاتفاق على تخفيضات جمركية على مدى خمس سنوات بالنسبة للمنتجات الزراعية وعشر سنوات للمنتوجات الصناعية بحيث لا يأتي عام ١٩٧٤ الا وتكون الجمارك قد الغيت بين الدول العربية .

وقد يكون لكل هذه المحاولات فضل الاشارة الى اتجاه ما قد يخدم هذا الفرض او ذاك . الا ان المتتبعين للسوق العربية المشتركة سيفاجأون انه بعد ست سنوات ظل معدل التبادل التجاري بين دول السوق كما هو بل وانخفض في بعض الاحيان .

لم يكن الامر امر سياسات معرقلة قصيرة النظر فحسب . ولا امر دوائر معينة ترى في واقع التجزئة الاقتصادية تحقيقا لمصالحها فحسب ، رغم ما لهذين العاملين من اثر خطير بل هو في الواقع مسئولية الهياكل الاقتصادية التي ورثتها الدول العربية من عهود السيطرة الاستعمارية . ان هذه الهياكل تتميز بالصفة التنافسية لعديد من السلع التي تنتجها ، واخطر من ذلك انها تمت في ظل تكامل متعمد مع اقتصاديات الدول الاستعمارية المسيطرة . بالاضافة الى تلك الدعاوى الاستعمارية التي نشرها الاستعمار عن طمع ما يسمى بالدول العربية الفقيرة في ثروات الدول الغنية ان الهياكل الاقتصادية لمعظم الدول العربية ما زالت تقوم على استخراج المواد الخام وتصديرها ، فماذا يفيد قيام سوق عربية مشتركة بين اقتصاديات متخلفة تقدم معظمها مواد اولية ليس هناك مجال لتصنيعها في اي من هذه الدول ؟

ان خام الترول مثلا يمثل ٩٠ بالمئة من صادرات بعض الدول العربية بينما طاقات التكرير العربية كلها لا تتجاوز ٢ بالمئة من طاقة التكرير العالمية وتكاد البلاد العربية تخلو من الصناعات البتروكيماوية .

ثم ماذا سيفيد سوق عربي مشترك لخام القطن بينما الجمهورية العربية المتحدة وهي اكبر دولة صناعية عربية لا تصنع اكثر من ثلث انتاجها من القطن الخام .

صحيح ان هناك مجالات اخرى قد يثبت فيها هذا الاتجاه فائدته ولكنها ستظل مجالات جزئية بالنسبة للاقتصاد العربي ككل .

ومن هنا فان الحديث عن تكامل اقتصادي ووحدة اقتصادية لا يمكن ان يكون تكاملا او وحدة بين الهياكل الاقتصادية الموروثة بل يجب اساسا ان يبنى على اساس خطط المستقبل وهياكله الاقتصادية ، على اساس

سياسة مشتركة تستهدف تكاملا اقتصاديا في خطط التصنيع والتنمية

ومثل هذا الاتجاه يفترض بالضرورة وحدة في النظر الى هذا المستقبل، وكيف سيتم بناؤه . اي وحدة فكرية ازاء المستقبل العربي . ونظرةواحدة الى مستقبل الاقتصاد العربي .

النموذج الكامل

من هنا تتضح الاهمية التي يعلقها الكثيرون على تجربة للتكامل الاقتصادي بين ج.ع.م. وليبيا والسودان ، ان هذا النموذج يمثل نموذجا عربيا كاملا في هذا النموذج نجد بعض السلع الاساسية المتنافسة ، ونجد عنصر البترول بكل ما يمثله في الاقتصاديات العربية. نجد الدول المكتظة بالسكان والدول القليلة السكان ، الدول التي تسمى بالغنية والدول التي تسمى بالفقيرة .. اي كل العقبات التي تقيمها الهياكل الاقتصادية القديمة والدعاوى الاستعمارية في وجه الوحدة الاقتصادية العربية . بينما تتمثل فيه من جانب اخر انضر ما حققته الشعوب العربية على خط نضالها من وحدة في الفكر والارادة والنظر الى المستقبل الا ان الاجمال السابق لا يغني عن نظرة سريعة الى اقتصاديات البلدان الثلاثة .

تبلغ مساحة السودان حوال ٩٦٧٥٠٠ ميل مربع « حوالي ٦٠٠مليون فدان » من هذه المساحة نجد ١٢٠ مليونا صالحة للزراعة و٨٠مليونا صالحة للرعى ، والسودان لا يستغل حتى الان سوى سبعة ملايين فدان من الاراضي الصالحة للزراعة ، ويزرع السودان اساسا القطن طويل التيلة الذي يشكل ٦٠ بالمئة من الصادرات السودانية ويمثل ثلث الانتاج العالمي من هذا النوع من القطن . ثم يلي ذلك القمح والفول السوداني والسمسم ويضم السودان غابات شاسعة تغطى ٣٦٠ الف ميل مربع ما زا اهم منتجاتها الصمغ العربي الذي يمثل ٨٠ بالمئة من الانتاج العالمي من الصمغ .

وتقدر الثروة الحيوانية بسبعة ملايين رأس من الابقار وسبعة ملايين رأس من الاغنام وستة ملايين من الماعز ومليوني رأس من الجمال ..بينما تنحصر الصناعة في المواد الغذائية والحلوى ومعاصر الزيتون والتبغ والاحذية والنسيج والاثاث والورق والعطور ولوازم البناء والاسمنت .. الخ . وحتى عام ١٩٦٤ ظلت الزراعة والغابات والصيد تمثل اكثر من ٥٥ بالمائة من مجموع الناتج القومي ، بينما لم تمثل الكهرباء والغاز ، اي مصادر القوى

الرئيسية اساس اي تصنيع حديث سوى ٢،٣ مليون جنيه سوداني اي ٥ بالالف من مجموع الناتج القومي ولم تحتل الصناعات التحويلية سوى ٥بالمائة منه . ولم تتغير الصورة كثيرا فان معدل النمو الإنتاجي في السودان طيلة سنوات ٦٠ – ٦٧ لم يزد عن ٣،٧ بالمئة .. ومن مجموع السكان البالغ عددهم « حسب تعداد ١٩٦٧ » ١٤،٤ مليون .

وتمثل الجمهورية العربية الليبية طفرة بترولية هائلة دفعت بها في عام ١٩٦٩ لتحتل حافة المركز الاول في انتاج البترول العربي فيما لا يزيد عن عشر سنوات منذ اكتشاف البترول بكميات تجارية في عام١٩٥٩ والبترول يمثل عصب الاقتصاد الليبي وحوله تدور كل النشاطات الاقتصادية تقريبا ، الا ان طفرة البترول مع ما فعلته من تطور ديناميكي هائل في حياة ليبيا كانت لها اثارها السلبية على النشاطات الاقتصادية الاخرى . فليبيا التي لا يتعدى تعداد سكانها ١،٧٤٣،٠٠٠ « تعداد ١٩٦٧ » نسمة اندفعت الايدي العاملة فيها الى حقول البترول بينما توقف النمو الزراعي . وبعد ان كانت تصدر بعض الحاصلات الزراعية واللحوم اصبحت منذ عام ١٩٦٣ تستورد القمح واللحوم .

ولا تمثل الزراعة في عام ١٩٦٦ سوى حوالي ٥ بالمائة من اجمالي الناتج القومي كما لا تمثل الكهرباء والغاز سوى ٢ بالالف منه ، ونفس الامر بالنسبة للصناعات التحويلية فيما عدا بعض المشروعات القائمة على الغاز الطبيعي مثل مصنع للكبريت ومصنع تحويل الغاز الطبيعي .. الى سائل ومصنع للاسمنت .

واذا كان السودان يمثل ثروة طبيعية ضخمة ، وكانت ليبيا تمثل طفرة بترولية هائلة ، وكان لكل منهما مشاكلها فان ج.ع.م تمثل بلاجدال القاعدة الصناعية الضخمة بين البلدان العربية ولها ايضا مشاكلها من حيث النمو السكاني وقلة رأس المال المتوفر للتنمية الاقتصادية المتوخاة .

نحو مركز موحد للتخطيط

ان التكامل الاقتصادي الذي نتوخاه بين الدول العربية الثلاث لا يعني تكامل الهياكل الاقتصادية الحالية .. بل هو يرنو الى تخطي هذه الهياكل دونما تجاهل للاستفادة من امكانياتها والعمل على تحريرها – نحو تنمية هياكل جديدة لاقتصاديات نامية تتحول فيها سلبيات الهياكل الحالية الى

مجرد جزئيات لا تعوق حركة التكامل والوحدة بشكل بارز . اما كيفية تحقيق ذلك فلا بد ان يتحرك مركز موحد للتخطيط والتنمية في البلدان الثلاثة ، وان يرسم السياسة الاقتصادية لها في اطار مراعاة المصلحة الاقتصادية الخاصة لكل منها دون تعارض مع المصلحة الاقتصادية العربية ككل ، وعلى ضوء الدراسة التفصيلية للامكانيات والاوضاع الاقتصادية لها .

تكنولوجيا التصنيع الحديث

والدعوة لهذا التكامل والوحدة الاقتصادية لا تمليها مجرد الاعتبارات الوطنية بوصفه الطريق الوحيد للقضاء على التبعية الاستعمارية الاقتصادية التي تخللتها الهياكل الاقتصادية التي نشأت في ظل الاستعمار وفي تكامل مع اقتصادياته فحسب ، ولا تمليها مجرد الاعتبارات القومية التي تحتم على هذا الجيل ان يضع اسس الوحدة العربية السياسية الشاملة ويقضي على عوامل التجزئة والفرقة التي سادت لوقت طويل فحسب ،بل هو حتمية تفرضها ظروف التنمية في عالم اليوم .

ان الشوط الذي قطعته الاقتصاديات العالمية من المستحيل ان تبدأه دولة ما من بدايته ، وفي الوقت ذاته لم يعد متيسرا على اية دولة بمفردها ان تدخله عند اخر خطوة فيه .

ان الثورة المعاصرة في العلم والتكنولوجيا جاءت معها بتحديات لا فكاك منها لاي محاولة للتصنيع الحديث اولها التكلفة الثابتة الباهظة للمصنع الحديث وثانيها ضرورة توفر المهارات الفنية العالية ، وهذه الضرورات الهندسية حتمت اقتصاديا الاتجاه الملزم الى المشروع الكبير بما يتطلبه من سوق واسعة ..

وهذه العناصر .. من رؤس اموال ضخمة تخصص كتكلفة ثابتة لمنشات لا تدر عائدا سريعا .. وتوافر مهارات فنية عالية تستطيع ان تتمثل اخر كلمة في التطور التكنولوجي .. ثم امكانية كسب سوق لهذا الانتاج الواسع في ظروف منافسة عاتية تفتقدها بالقطع الاغلبية العظمى من الدول النامية وكل الدول العربية .. ومن هنا يبرز دور التخصص في الانتاج كعامل مكمل للتكامل . فليس من المعقول ان تلحق كل دولة بمفردها بالولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي من حيث مستوى الانتاج وتكامله فهذا فوق طاقة اية دولة نامية ، ومع ذلك فان اللحاق بهذه الدول من حيث

مستوى الرفاهيـة والدخل القومي بالنسبة للفرد ليس واجبا فحسب بـل وممكنا ايضا فيمـا لو تم تخطيط البرامج الاقتصادية للدول العـربيـة على اساس التخصص في ذلـك الفرع من الانتاج الـذي يتـلاءم مع ثرواتها وامكانياتهـا ولو تم التركيز على اعداد المهارات الفنية لـه وتوجيه الموارد الماليـة نحوه ورسم السياسات الاقتصادية على اساس ان يكون هو ركيزتها للتعامل مع باقي شقيقاتهـا العربيـات ..

ان هذا لا يعني تخصص بلاد في الصناعة واخرى في الزراعة ، او تخصص بلاد في الصناعات الخفيفة واخرى في الصناعات الثقيلة ، بل هو يعني توجيه المجالات المختلفة للنشاط الاقتصادي والمستويات المختلفة مـن التصنيع واعداد المهارات الفنية الى التخصص في خدمـة اتجـاه انتـاجي معين ممـا ييسر الاستفادة من احدث الوسائل التكنولوجية ويخدم التكامل مـع البلدان العربيـة الاخـرى .

ان نجاح نموذج ليبي ـ سوداني ـ عربي ـ للتكامـل الاقتصادي سيكون محور جذب لا يقاوم لبقية الشعوب العربية ، كما سيكون انجازا هامـا في مسار نضالنـا المصيري ضد التحدي الصهيوني .

٢٠

ام الثـورات العربيـة
كيف نجحت وعمرت ، وبنت وقلبت
تاريـخ الشرق الاوسـط

من ذلـك العمـلاق ؟

انظر ، وسل : من ذلك العملاق من ابناء شعبي .
متألق الفودين رغم شبابه باجل شيب .
متألق العينين بالاقدام ، لا يعنو لخطب .
متدفق الجنبين بالايمان ، لا يمشي لريب .
متشبثا بقضية الاحرار في سلـم وحرب .
متفنيا بكرامة الآنسان في شرق وغرب
يخطو فتلحظه عناية ربه من كل صوب .
ينهي ويأمر في الزمان فليس يرفض ان يلبى .
ويشير للنيل العنيد فينحني دون المصب .
ويترجم الامال والرؤيا الى عمل ودأب
ويجله الثوار اجلال المخطط والمربي .
هذا (جمال) فديته بجوارحي وشغاف قلبي .
ومشى اليه النصر مؤتلق الخطى ، ورعاه ربي .

* * *

للثورة العربية ، الوطنية ، التي انطلقت من هنا .. من القاهرة .. في ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ ، انتصارات تاريخية رائعة ، وكثيرة .

من هذه الانتصارات مثلا ، انهـا :

● طردت الانكليز ، مرتين ، من ارضنا ..

- واسقطت الاقطاع ..
- واممت شركة قناة السويس ..
- ومصرت البنوك جميعـا ..
- واقامت السد العالي .. برغم التحديات والمؤامرات ، والعوائق
- وانشأت جيشا وطنيا يعتبر الان اقوى قوة ضاربة في الشرق الاوسط
- ومضت ـ فيما يشبه السباق مع الزمن ـ تنشىء المصانع التـي

من شأنها ان تنتقل بنا ، ونتنقل معها ، من عصر الركـود .. والجمود ، والتخلف .. الى عصر الحركة ، والتقدم والنماء..

- وانها حققت الاشتراكية من اجل العدل للجميع .. والكفاية للجميع
- وانها ـ وهذا هو الاهم من كل ذلك الذي تقدم ـ خلقت الانسـان العربي ..لا في مصر وحدها .. وانما في الوطن العربي كله .. خلقا جديدا . اعادت اليه ثقته بنفسه .. وايقظت فيه طاقاته ...وولدت في صدره اليقين بانه قادر على ان يكون سيد نفسه، وصانع مصيره ..

وفي ضوء الشرارة التي انطلقت من هنا .. والتي اضاءت امام الانسان العربي ليبصر طريقه ، مضى هذا الانسان يصنع مستقبله .. ويسقط عـن نفسه الاغلال ، ويحطم القيود ، ويعيد ـ من جديد ـ كتابة تاريخه !

وبعـد سنوات من النضال الثوري الذي حمل « عبدالناصر » لواءه وغرس بذرته ، كانت هناك حصيلة .. وكانت هذه الحصيلة اكبر ، واعظم، ممـا كـان يتصور اشد الناس تفاؤلا واعظمهم املا . فبعـد سنـوات من ذلـك النضال الثوري الذي بدأه ، وقاده ،« عبـدالناصر » ـ ماذا كانت الحصيلـة ... ؟

كانت الحصيلة اربع جمهوريات عربيـة حرة :

- جمهورية مصر ..
- وجمهورية العـراق ..
- وجمهورية الجزائر ..
- جمهورية اليمن الجنوبيـة .

وبعد سنوات اخرى ثورة السودان وليبيـا ...

ولقد كان قيام كل واحدة من هذه الجمهوريات حدثا مـن احـداث

التاريخ القائمة بذاتها .. لقد قامت جميعها على اطلال رجعيات عميقة الجذور .. وممتدة بهذه الجذور نفسها الى بعيد جدا في اغوار الزمن .. كان كل شيء في هذه الارض التي قامت فيها تلك الجمهوريات العربية الحرة ، جائزا ان يحدث .. الا ان ينزاح الليل ، ويشرق الفجر ليجد مقاعد الطغاة من الحكام تتهاوى من تحتهم .. دون ان يستطيع هؤلاء الحكام ان يحموا مقاعدهم من ان تهوى .. بل دون ان يستطيعوا حتى ان يحموا انفسهم من ان تتدحرج في نفس الطريق الذي تدحرجت فيه مقاعدهم .. طريق الضياع الى غير ما رجعة !!

سقوط الحكام الطغاة

وفي كل مرة سقط فيها حاكم من هؤلاء الحكام الذين كانوا لا بد لهم – بمقتضى حتمية التاريخ ، واندفاع المد الثوري – من ان يسقطوا .. كانت هناك اصابع كثيرة تشير الى « عبدالناصر » باعتباره الرجل الذي صنع الفجر في بلده .. ثم راح يدفع الفجر الذي صنعه في اتجاه كل بلد عربي اخر محتاجا الى النور .. محتاجا الى الامل .. محتاجا الى الحياة الانسانية التي كان مستحيلا ان تتحقق له بغير النور .. وبغير الامل !!

وابدا .. لم يحاول « عبدالناصر » ، مرة ، ان ينكر دوره .. ولم يحاول ، مرة ، ان يتنصل من ان الامل العربي الذي ابصر طريقه ، لاول مرة ، في ضوء الفجر الذي صنعه – كان دائما يلوذ به ، ويتجمع عنده ، ويتلفت اليه وهو يشق طريقه وسط ذلك الظلام الطاغي ، الرهيب ، الذي كان قادرا – في كل وقت – على ان يجمد خطاه ، ويضله عن طريقه .. اويجعله – على الاقل – يدور حول نفسه حتى يصيبه الدوار فيسقط مكانه ، قبل ان يبلغ هدفه !!

● ففي مصر كان « عبدالناصر » هو الذي صنع اول جمهورية قامت فيها بعد مائة وخمسين سنة من حكم ملكي رجعي قام اصلا ، واساسا ، على حراب المحتلين .. ثم عاش محتميا بهذه الحراب التي قام عليها ، حتى جاء « عبدالناصر » فأسقطه بعد مائة وخمسين سنة من قيامه !!

● وفي العراق كان « عبدالناصر » صريحا مع نفسه .. ومع مبادئه .. ومع اول ثورة اسقطت حكم الطغاة فيها .. لقد ايد – من اول لحظة – هذه الثورة ، وكان اول من صرح بأنه يؤيدها ، ويقف وراءها ، ويعتبر اي عدوان عليها عدوانا على مصر .. فعل «عبدالناصر» هذا كله قبل ان



في بساطة وابوة تحدث الرئيس جمال عبدالناصر الى ابنائه طلبة الكليـة الحربية ، عندما التقى بهم مع **العقيـد معمر** الغذافي .. وقد جلس الى جانب الرئيس اللواء محمود زكي عبـد اللطيف

يتبين تماما ، وجه اولئك الذين صنعوا هذه الثورة .. فان اشخاص هؤلاء الثوار لم تكن تهمه ، بقدر ما كان يهمه ان يرى القـلاع تسقط ، والحصون تتهاوى .. اما من الذي اسقط هذه القلاع .. واهوى بتلك الحصون .. فانه سوف يعرفهم ويعرفونه ، ولن يبخل عليهم بالتأييد والمساعدة ..

● وفي الجزائر كان « عبدالناصر » هناك .. وكانت طبيعة وجـود « عبدالناصر » في هذه الثورة ، تختلف عن طبيعة وجوده في اي من هذه الثورات التي صنعت الجمهوريات العربية التي كانت ـ بدورها ـ حصيلة ذلـك النضال الثوري الذي دفع « عبدالناصر » من هنا .. من القاهرة .. لواءه ، واطلق شرارتـه .

كانت طبيعة وجود « عبدالناصر » في ثورة الجزائر ، تختلف تمامـا عن طبيعة وجودهفي الثورات العربية الاخرى .. كان وجود « عبدالناصر» فـي هذه الثورات معنويا .. كان ضوءا ، واملا ، ومشعلا يمشيالمناضلون الثوريون خلفه .. ويبصرون في ضوئه الطريق الى اهدافهم .. اما فيثورة الجزائر .. فقد كان وجود « عبدالناصر » شيئا اخر غير هذا ... شيئا

اكبر مـن ان يكون مجرد ضوء .. واعظم من ان يكون مجرد امل .. واشد فاعليـة من ان يكون مجرد مشعل ...

كانت ثورة الجزائر تحارب جيشا استعماريا .. مجنونا ، وطاغيا .. جيشا افقدته ضربات الثوار عقله .. واطارت صوابه .. وصورة لم يستطع معهـا ان يحتفظ في مقاومته لهؤلاء الثوار باي شيء انساني ..او شريف.

ومن هنا ، كان لا بـد ان تختلف طبيعة وجود « عبدالناصر » فيهذه المعركـة عن طبيعـة وجوده في اي معركـة من معاركنا الثورية الاخرى .. كان « عبدالناصر » هنا سلاحا .. وكان اموالا .. وكان قتالا صريحـا بواسطـة رجال كانوا يتلقون تدريبهم ،هنا ، في هذا الجـزء مـن ارض العرب .. ثم يغادرونه الى ذلك الجزء الاخر من هذه الارض ليقاتلوا ،هناك، اولئك الحاقدين الذين كانوا يحاربون الجزائريين معركة خاسرة، هدفهم منها ان يحتفظـوا لانفسهم بارض الاحرار التي كانوا قد سلبوها !

حين بكى عبدالناصر

واني لاذكر يوم زار عبدالناصر الجزائر فاهتزت الدنيا ، وغرق الشعب بدموع الفرح والاعجاب والتقدير ..

استقبلته القلوب قبل الاجساد ، استقبلته بما لم يستقبل به زعيـم قبلـه ..

ووصف شاهد عيان ذلك الجو الرهيب فقال :

« لقد عشت وسط زحام لما اشاهد مثله في حياتي ..

« مئات الالوف وسط شارع واحد في الجزائر ، تجمعوا ليستقبلـوا عبدالناصر ويمدوا له ايديهم سلاما ، وينادون باسمـه مدّويـا .

« ـ بحر من البشر .. امواج تتدافع على امواج ، وهدير عاصفة كأن قوى الطبيعـة اللابة كلهـا تجمخت فيهـا .

« ووسط البحر الطاغي ، وقف عبدالناصر ومعه زعماء الجزائر .. ومن حولهم نطاق من جنود جيش التحرير في وقفة اخيرة مستبسلة .

وقال هواري بومديـن :

ـ في هذا الشارع كان خمسة الاف من جنود جيش التحرير يتولون مسؤولية النظام ، لكن محبة الناس اقوى من جيش التحرير ومن النظام .

ووسط العاصفة الرائعة ، برزت من الخضم الهائل شابة ترتدي السواد ومعها طفل صغير راحت تخلصه من الزحام وتحاول ان تجتاز به النطاق الاخير من حول عبدالناصر .

وقبل ان يشعر احد ، كانت الشابة قد اقتحمت طريقها الى النطاق الضيق الذي وقف جمال فيه ، وتقدمت اليه ، ورفعت رأسها بكبرياء حزين ، وقالت لعبدالناصر :

ـ قبّل هذا الطفل يا سيدي ..

واستطردت تقول :

ـ لقد مات ابوه من اجلك ، قتلوه تحت رايتك ، طارده المستعمرون ، وهو يحمل علم للجمهورية العربية المتحدة ، وظلوا وراءه حتى افرغوا فيه رصاصهم .

واستطردت الشابة لابسة السواد :

ـ كان اخي يا سيدي .. وهذا ابنه ، وانا اريدك ان تقبّله ، واعلم ان ذلك سوف يرضي روح الشهيد ..

وخانتها الكبرياء ، وارتجف صوتها بالدموع وسط العاصفة الرائعة من حولها وهي تكرّر :

ـ قبّله يا سيدي .. لقد مات ابوه من اجلك .. وقتلوه تحت رايتك .

ورفع جمال عبدالناصر اليه ابن الشهيد يقبله .

واحاط الطفل صديق ابيه بذراعيه الصغيرتين .. وكانت الدموع تملأ عيني الشابة .

لاول مرة في حياتي رأيت الدموع في عينيّ عبدالناصر ..

***

مثل هذه القصة من حياته سوف اقص الكثير من امثالها عليك .

أريدك ان تعرف الرئيس كأب واخ وصديق لكل عربي من اقصى الدنيا الى ادناها .

وأريدك ان تعرف أيها العربي انك مسئول مثله عن مستقبلك وقومك .

عليك ان تعمل كما يعمل .

وتجاهد كما يجاهد .

وتدعو الى العزّة والكرامة والاستعداد والتهيوء كما يدعو ويفعل .

تذكر راياتك التي ارتفعت فوق المساجد المتواضعة ، والحصون المنيعة والقلاع القوية ، والعواصم الكبيرة ، والاقطار النائية ، والسفن الجارية في البحار ، في عهد الرشيد والمأمــون .

اذكر هذه الرايات التي مشى تحتها خالدبن الوليد ومحمد بن القاسم ، وقتيبة ابن مسلم ، وطارق بن زيــاد .

وكيف فيأت آباءك في اليرموك والقادسية ، ومصر وغرناطة ، ودمشق وحطين واطراف الصين وغاليا (فرنسا) .

لقد جمع اجدادك وآباؤك بين المشرق والمغرب ، فهلا جمعت بينك وبين جــارك ؟ .

وهلا عملت لترفع عن ظهرك عار الفشل الاخير ؟.

أغريبا اصبحت ايها العربي في بلادك ؟.

وعجيبا امسيت بين اهلك وقومك ؟.

لقد قضينا على اكبر دولتين في العالم القديم ، الروم والفرس يوم كنا صفــا واحدا وقلبا واحــدا .

يا رايات يعرب ! متى ترتفعي فوق رؤوس ابنائك العرب ، ليسيروا تحت ظلك ، فيثيرهم زهوك واهتزازك ، الى حيث يقضون حق العرب من العــدو الغــادر .

ثورة الجزائــر

،صرخت فرنسا ...وصرخ معها مؤيدوهـــا ، وحلفاؤهــا .. صرخ الجميع من تدخل « عبدالناصر » في حرب الجزائر .. وردوا صمود الثوار ، وعنادهم ، واستبسالهم الى ذلك التأييد المادي الذي كانــوا يلقونه مـــن « عبدالناصر » .. ومن البلد الذي يقوده « عبدالناصر » . .ولم ينف « عبد الناصر » من ناحيته ، شيئا واحدا مما نسبه اليه الجلادون في فرنسا ... والجلادون الاخرون الذين كانوا يشاركون فرنسا صراخها . بل لقد ذهب « عبدالناصر » في الاعلان عن تأييده لثورة الاحرار في الجزائر الى الحدالذي لم يكن احد من هؤلاء الجــلادين يتصوره . فصدرت ميزانيـــة الدولة بمصر وفيها ، لاول مرة ، اعتماد رسمي لتمويل ثورة الجزائر .. ولم يكن صدور ميزانية الدولة .. وفيهــا هذا الاعتماد الرسمي ، شيئا من قبيل التحــدي .. بقدر ما كــان شيئا من قبيل الاعلان الشرعي عن حقيقة موقفنا من ثورة الجزائر ، وحقيقة نظرتنا اليها .. وهذه الحقيقة هي ان ثورة الجزائر جزء من ثورتنــا ،وانهــا امتداد لها .. وان القتال من اجل تحرير الارض هناك ،

انما هــو قتال من اجل تحرير الارض في كل بلد عربي .. وتحرير الانسان العربي في اي بلد عربي ..هو تحريرلهذا الانسان في كل بلد عربي .. فان الحريــة هنــا كل لايتجزأ .. والانتصارات هنا كل لا يتجــزأ .. كما ان الهزيمة ايضا هي كل لا يتجزأ ..

بهذا المنطق ، الواعي ، البسيط .. منطق الرجل العادي .. لا الرجل السياسي .. ولا الرجل العسكري .. كان « عبدالناصر » ..وكانت ثورته .. يثبتان وجودهما في كل انتفاضة عربية .. وفي كل ثورة عربية .هدفها تحرير الانسان العربي ، والارض العربية .. ومن هنا ، جاء اتهام المستعمرين لهذه الانتفاضات ، وتلك الثورات بانهــا « ناصرية » .. وبانها موالية« لعبد الناصر » .

وهنا ايضا لم ينف عبدالناصر شيئا مما نسبه اليه اعداء حرية الانسان العربي .. فقط ، لقد اختلف معهم .. قال :« انهم يتهمون كل وثرة عربية.. تقوم في اي ارض عربية بانها موالية لعبدالناصر .. والحقيقة هي ان « عبد الناصر » هو الموالي لكل ثورة عربية تقوم في اي بلد عربي ».

ولكن .. لماذا يكون « عبدالناصر » مواليــا ، ومؤيدا ، ومناصرا بالمال وبالسلاح .. وبالرجال ايضا لكل ثورة عربية ؟

انني اسمح لنفسي بان اكرر هنا السطور القليلة التي تقدمت .. فأقول: « ان عبدالناصر يفعل هذا بمنطق الرجل العادي البسيط .. وليس بمنطق الرجل السياسي .. ولا الرجل العسكري .. انه يفعله بمنطق الرجل العادي من اجل تحرير الانسان العربي في اي بلد عربي .. هو قتال من اجل تحرير هذا الانسان فيكل وطن عربي . وان القتال من اجل تحرير الارض في اي بلد عربي .. هو قتال من اجل تحرير الارض في كل بلد عربي .. فالحرية هنا ـ وكما قدمت ـ كل لا يتجزأ ـ كما ان الهـــزيمة ايضــا هي كل لا يتجــزأ » .

ومن اجل هذا الهدف العربي الشامل ، جاءت موالاة « عبدالناصر »لكل ثورة عربية . .تقوم في اي بلد عربي .. وبها تطلع الى تحقيقه ..واستعداد للقتــال مــن اجله . لقد وصف عبدالناصر الثورة لوطنية التي قامت فيهذا الجزء من الوطن العربي ، ولم يصفهــا بانهــا نهايــة هذا النضال . انهتحديد بالــغ الدقــة لمكــان ثورة ٢٣ تموز من النضال العربي الثوري .. وهو في نفس الوقت تحديد قائم على اساس واقعي .. وليس علــى اساس عاطفي بايــة صورة من الصور .. فالذين يمشون في الطليعة .. في كل طليعة ..

هم دائمـا الناس الذين تختارهم ظروفهم الخاصة لهذه المهمة .. حامـل العلم مثلا ، هو دائما اكثر زملائه الذين يمشون وراء العلم ، طولا ..والذين يمشون في الطليعـة .. في الصفوف الاولى .. هم دائما اناس اختارتهم ظروفهم ليتقدمـوا الذيـن يجيئـون من وراتهم .

طليعـة الثـوار

كذلك .. فان الطليعة .. أيـة طليعـة .. تتعرض دائما لما لا يتعرض له غيرهـا .. انهـا تحتمل من المشاق مالا يحتمله غيرها .. وتتحمل مـن التضحيات مالا يتحمله غيرها .. وتحف بهـا المخاطر اكثر بكثير مما تحف بغيرها .. لكنهـا تتحمل كل هــذا باصرار .. وبسعادة .. ما دامت قـد اختارت لنفسهـا ان تكون .. « الطليعـة » .. وما دامت قـد حسبت ـ مقدما ـ حساب المشاق التي سوف تتعرض لها باعتبارها طليعة

وهذا ، بالضبط ، ما تفعله الثورة الوطنية في مصر ... لقـد فرض عليها دورهـا في النضال العربي ـ باعتبارها طليعة ذلك النضال ، وقاعدته ـ ان تحتمل من المشاق ما لا يحتمله غيرها .. وان تقدم من التضحيات مـا لا يقدمه غيرها .. وان تتعرض لمخاطر ، ومؤامرات ، لا يتعرض لها غيرها ، لكنهـا ، مع ذلك كله ، سعيدة بدورها في النضال العربي ، ومصرة عليه .. ما دام الزحف يتقدم . . وما دام هذا الزحف يحقق اهدافه .. وما دامت قلاع الطغيان والرجعية تتساقط قلعة .. بعد قلعة ، ليرتفع مكانها علم من اعلام الحرية التي يرفعها بيده الانسان العربي الجديد الذي جاء ـ من وراء الطليعـة ليكون امتدادا لها .. وجزءا ملتحما بها .. يمضي على الطريـق فيسحق باقدامه نوري السعيد في العراق .. ثم يمضي فيسحق الفرنسيين في الجزائر .. ثم يمضي ، مرة ثالثة ، فيسحق اسرة الامام في اليمـن .. ويقيم ـ فيمـا يشبه المعجزات ـ اول جمهوريـة حرة في هذه الارض التي ما كـان أحد يتصور انهـا مستطيعة ان ترى النور الذي يتجه اليها .. ثم يعـود الزحف العربي ، مرة رابعة .. يعـود الى العراق فيسحق عبدالكريم قاسم .. ويرد الى شعب العراق ثورته التي حاول ذلك السفاح ان يسرقها منـــه .!!

ولقد يحدث احيانا ان ينحرف بعض القادمين في الصف ، مـن وراء الطليعة ، عن طريقهم ... كما قد يحدث ان تغوص اقدامهم في رمال الاحقاد، والنزوات ، والمآرب ... لكن ذلك كله ليس من شأنه ان يعطي احـدا الحق في ان يلوم الطليعة على شيء لم يقع منها .. وانما وقع من بعض الذين لـم يستطيعوا ان يحتملوا مشقة الصبر .. ومرارة الكفاح ... وعناء الطريق !!

اما الطليعة نفسها ، فحسبهـــا ان النضال الثوري الـــذي اختارتها الظروف لتكون طليعته ، وقاعدته ... استطـــاع ان يحقق لنفسه ـ فـــي سنوات ـ ما لم يحدث ان حققه لنفسه .. أي نضال اخر .. فـــي اي ارض اخرى !!

سبع جمهوريات عربية حرة .. قامت جميعها في بـــلاد كانت محكومة بالطغاة من الحكام .. وبالرجعية المستبدة .. وبالاستعمار الاجنبي سافرا، او مقنعا .. لقد استطاع النضال العربي الثوري ـ استطاع ، فـــي مـــدى سنوات ، ان يقهر هؤلاء الطغاة من الحكام .. وان يقهر الرجعية المستبدة .. وان يقهر الاستعمار الاجنبي سافرا ومقنعا .. وان يقيم فـــي اركان الوطن العربي اربع جمهوريات حرة .. ترفع كل واحدة منهـــا علمـــه ... وتردد كلمته .. وتقوم شاهدا حيا على تحقق ذلك الشيء الرائع الذي لا يبعد كثيرا عن طبيعة المعجزات .. والذي استطاع النضال العربي الثوري ان يحققه ..

هذا . ولا يزال الموكب يزحف .. وسيظل يزحف ...

٢١

الحياة في اسرائيل
بعــد الرفض العربي لوجودها

قلت للرجل القادم من اسرائيل :

هناك انباء تقول بان اعدادا جديدة من اليهود ، يفدون علــى اسرائيل ، من انحاء العالم !

ورد على الفور : لا تصدق .

ان مثل هذه الانباء ، تقال بهدف رفع الروح المعنوية فقط !

ثم قال :

ــ قد تعجب اذا قلت لك ان معنويات الاسرائيليين . . قبل عام ١٩٦٧ ، كانت افضل بكثير مما هي عليه الان !

ان الاحاديث في كل مكان : في المنازل . . في المكاتب . . في المقاهي ، تدور حول المعارك الحربية ، وعمليات المقاومة !

ان كل اسرائيلي ، يتوقع في كل دقيقة ، ان يكون هدفا !

وقال : ليتك ترى . . ما يحدث عندما تغيب الشمس !

- رواد المقاهي . . يتركونها . .
- دور السينما . . لا تجد من يرتادها . . .
- السيدات : يجمعن اطفالهن من الشوارع . .
- الموظفون : يسارعون بالعودة الى منازلهم . .
- رجال البوليس : يتضاعف عددهم .

● السياح او الزوار القادمون من الخارج ، لا يغادرون فنادقهم ..

● وعند الساعة الثامنة مساء : تصبح الشوارع .. كما لو كانت شوارع مدينة مهجورة !

***

اذا كنت لا تصدق ما اقول : فلك ان تسأل الصحفيين الاجانب الذين يقيمون او يترددون على اسرائيل !

— وماذا يقال عن العمليات العسكرية اليومية التي تجري على جبهة القناة ؟

ولاحت ابتسامة على وجه الرجل .. كانت قد غابت ، طيلة الساعة التي كنت استمع خلالها ، لما يرويه ..

وقال :

— انها الحديث اليومي ، في كل مكان ..

ان انباءها الدقيقة — وليس التي يذيعها راديو اسرائيل ، او التي ترد في بيانات المتحدثين العسكريين — تتناقل بسرعة كما تنتقل النار في الهشيم !

ولقد سمعت داخل الارض المحتلة ، تفصيلات .. لم اسمعها ، او أقرأها في أي بيان اسرائيلي !

● سمعت — مثلا — ان جزءا هاما من تحصينات العدو ، قد تحطم تماما .. وان اي تحصينات جديدة ، تهدم قبل الانتهاء منها !

● وسمعت ، ان مواقع مدفعية العدو .. تتغير في كل يوم ، بعد ان كشفت مواقعها !

● وسمعت ، ان العدو يلجأ — احيانا — لوضع مدافعه الثقيلة ، فوق سيارات متحركة ، او يستخدم مدفعية الدبابات .. حتى يسهل عليها ان تضرب ، ثم تفر .. وحتى هذه الطريقة اكتشفها المصريون بسرعة !

● وسمعت ، انهم يمنعون علاج جرحاهم في المستشفيات القريبة من المدن ، حتى لا يكتشف عددهم ! وانهم ينشئون مراكز علاجية ، ومستشفيات قريبة من مواقعهم بالاراضي المحتلة ، لهذا الغرض !

● وسمعت انهم لا يعلنون عن اسماء قتلاهم — في معظم الاحيان —

وانهم يبلغون عائلاتهم ، عندما تمتد فترات تغيبهم ، بانهم مفقودون !

***

واقول لك ـ بصراحة ـ ان العدو .. وفقا لما يصل الينا من معلومات ـ لا تقلقه سوى جبهة القناة ! ولا يوجه لغيرها من الجبهات ، اهتماما مماثلا ! ولا يحشد في مواجهتها ، اعدادا تماثل كثافة قواته في سيناء !

واخيرا

بعد اثنين وعشرين سنة من عمر الدولة الصهيونية في فلسطين ، هناك سؤال يطرح نفسه ما هو مستقبل اسرائيل ازاء الرفض العربي لوجودها ، ولقبول استمرارها ؟ لقد رفض العرب الاعتراف بشرعية الادعاء بتأسيسها (١٩١٧) ثم الاعتراف بوجودها (١٩٤٨) ، فقاوموا كيانها (١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧) ، ولا تزال المقاومة متصاعدة ، ومتصلبة ، في مواقع رفضها للكيان الاسرائيلي فوق الارض العربية .

السؤال كما هو مطروح ، وليس العكس ، لان ما لا يستطيع الزمن ان يحله (٥٣ سنة) لا يمكن ان تفرضه القوة ، او تغيره السياسة والديبلوماسية . فالعرب على اختلاف انتماءاتهم الطبقية والحزبية والدينية، رفضوا الصهيونية نظريا (١٨٩٧) وشرعية الدولة الاسرائيلية كما سماها بلفور (١٩١٧) ، والوجود الصهيوني الاسرائيلي (١٩٤٨) ، والدولة الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٠) من هنا يظل السؤال قائما ، ومطروحا : ما هو مستقبل اسرائيل ؟

الرفض ثم الرفض

لقد رفض العرب بعناد قبول الوقائع التي عرضتها اسرائيل على الفلسطينيين ، باعتبارها شيئا نهائيا . وعندما اصبح هذا الفشل واضحا امام اسرائيل ، تحول تدريجيا الاسلوب القديم ، الى محاولة جديدة لفرض الاعتراف بالامر الواقع على العرب ، وقام الاسرائيليون على الاثر بالهجوم المحدود ، على مختلف المراكز العربية ، فصمد العرب ولم يقبلوا بالامر الواقع واخذوا يستعدون بعد ان حصلوا على السلاح ، من روسيا ، بعد ان

طلبوه من اميركـا فرفضته عليهم ..

من هنا بدأت اسرائيل سياسة جديدة ازاء الرفض العربي ، وهـذه السياسة هي الاعتماد على النفس في معالجة « عقـدة اسرائيل » ، لكـن سرعان ما سقطت هذه السياسة التي دفع بن غوريـون ثمنها ، لان طبيعة اسرائيل باعتبارها وجودا استيطانيا استعماريا ، هي جزء لا يتجزأ من القوة الامبريالية العالمية ، التي تحمي وجودها وتغذيه بحكم مصالحها ، وعلى ضوء هذا الواقع اتجهت السياسة الاسرائيلية قبل عام ١٩٦٧ الـى نفس المواقع التي تتجه اليها الامبريالية ، وهي محاولات التخريب مـن الداخل لاضعاف الصف العربي ازاءها ، لكن ، وعلى الرغم من تأثير ذلك علـى الواقع بشكل عام، ظل الرفض العربي عند واقعه ، بل اتسع نطاقه حتى وصل الى ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة (فتح عام ١٩٦٥) حيث بـدأت نشاطها فـي نسف الكيان الصهيوني من الداخل ، وعلى الحدود . ولـم يقتصر الرفض العربي حتى تلك الفترة على العرب فقط ، بل امتد الرفض الى شعوب اخرى غير عربية ، وهي الشعوب المعادية للاستعمار بما تضم من قادة وزعماء ولاول مرة برز بوضوح ان الخارطة الجغرافية ليست مهمـة ، وانمـا الرابطة السياسية هم الاهم .

وكانت حرب عام ١٩٦٧ التي اعتقدت اسرائيل وهـي عازمة علـى المخاطرة بها ان العرب هذه المرة سيقبلون « الوضع الراهن » ، او بالاحـرى « الامر الواقع » ، ولكن الامور جاءت على خلاف الحساب الاسرائيلي ، وظل العرب على موقفهم رغم الهزيمة ، ليس حتما على الموقف السياسي ، بل على الموقف العسكري هذه المرة . وبات واضحا للقيادة الاسرائيلية انـه لا توجد وسيلة ترغم العرب على قبولهم بينها ، وان امتد الزمن في عمر هذا الوجود. لكن ليس من السهل ان تستسلم اسرائيل لمنطق الزمن ، لذا طرحت اخيـرا شعارا جديدا هو الاعتراف السياسي بشعب فلسطين ، بعـد ان استمـرت عمرا من الزمن متمسكة بعدم اعترافهـا السياسي والجرافـي بالشعب الفلسطيني . وهذا حتما ليس خطوة متقدمة فـي السياسة الاسرائيلية ، بقدر ما هو خطوة يائسة من استمرار الاوضاع على مـا هي عليه . فقـد اقتنعت اسرائيل بان الامبريالية العالميـة التي تحمي وجودها ، لا يمكـن ان تحمي استمرارها ، وقد وضعت في حسابها امكانية تضحية الامبريالية بها من اجل مصالحها الخاصة ، او القيام بتنازلات علـى حسابها علـى الاقل لمصالحها الخاصة . اما اذا اصبحت هذه الامكانية واقعـا ، ام لا ، فتلـك

مسألة خاصة . ولكن وجود هذه الامكانية جعل اسرائيل اخيرا مستعدة لتقبل اسوأ الاحتمالات ، فهي لم تعد تستطيع ان تركن بمصالحها لنيات القوى الامبريالية ، لان وجودها نفسه هو موضع التهديد في حال انتصار الحركة المعادية للامبريالية ، لذا فهي الان اكثر يأسا من القوى الامبريالية نفسها .

الروابط النضالية

ان اسرائيل تعلم انها لا يمكن ان تستمر باعتبارها الموجود الان ، وبحلمها المرسوم مستقبلا ، الا بموافقة العرب ، وما دام العرب اكثر عنادا فان مستقبل اسرائيل لا يزال مرهونا بالبقاء او الزوال . وفي هذا الفلك تسير السياسة الاسرائيلية الجديدة ، التي لم تترك حتى الان حلمها وممارساتها وانما تعيش « الامر الواقع » المعاصر الذي دفع بعض المسؤولين الى طرح شعار « دولة فلسطينية ضمن تنازلات اسرائيلية » والشعار الذي تدفع اليه سرا بعض الشخصيات الفلسطينية المشبوهة ، والداعي الى « اقامة دولة فلسطينية على حدود الدولة الاسرائيلية » ثم الدعوات الاخيرة على لسان دايان وايبان في « ان اسرائيل مستعدة لتقديم تنازلات قد تدهش العالم فيما لو قبل العرب التفاوض معها » .

ثمة ملاحظة واحدة على الشعار الاسرائيلي الاخير ، وهي ان « التنازل الاسرائيلي (كذا) » انما هو تنازل عما لا تملكه ، حتى لو خرجت من فلسطين فانها بذلك تكون غير متنازلة عن شيء ، لانها في موقع غير موقعها، ثم ان اسرائيل تعرف ان هذه « الكليشة » الاعلامية ، رغم ما تحققه لها من مكاسب في الخارج فانها لا تخدع العرب ، ولا تخرجهم عن مواقعهم ، سواء في طرحها لشعار « دولة فلسطينية » او شعار التنازلات .

من هنا ترى الاوساط السياسية العالمية والاسرائيلية ايضا انه لا بديل لحرب جديدة في الشرق الاوسط ، حيث ان للعرب موقفهم التاريخي والعادل ، ولاسرائيل اطماعها واطماحها . وما دامت السياسة الصهيونية قد عجزت عبر الاجيال على اقناع العرب بقبول اسرائيل ، فان مستقبل اسرائيل في خطر ، ولا يمكن استمراره مهما طال وجوده وبقاؤه فوق الارض العربية. وعلى ضوء هذه المقدمة يقول جورج بول مندوب الولايات المتحدة في حديث له لمجلة « نيوزويك » : « ان حربا اخرى ستقع حتما في الشرق الاوسط . فنشوب الحرب امر مؤكد كالليل والنهار الا اذا حدثت معجزة » .

وحتى ويلسون رئيس الوزراء البريطاني قال في رده على كتاب تسلمه من الفرع العمالي البرلماني لمنظمة تطلق على نفسها اسم « اصدقاء اسرائيل » قال : « انني ادرك ان وضع اسرائيل قد لا يدوم ، ولا أجد في الظروف الراهنة ما يبرر احداث تغيير في تنفيذ سياستنا » .

فاذا كان ما يقوله جورج بول وويلسون ، يرمي الى ابعد من معنى الكلام الظاهري ، فان هناك حدا ادنى من التخوف على مستقبل اسرائيل ، يؤكد ذلك ما ردده اكثر من مرة وزير خارجية هولندا الذي اقترب من الوضع العربي الاسرائيلي في زيارته الاخيرة للشرق الاوسط ، والذي احدث كلامه ردة فعل في اسرائيل ، وقفزة سياسية حرصت اسرائيل على تجنبها ثلاث سنوات تقريبا : قال لونز في حديثه الى اللجنة الوزارية لمجلس اوروبا في الثاني والعشرين من نيسان الماضي : يجب على اسرائيل ان تقول انها مستعدة للانسحاب من الاراضي المحتلة . وانطباعي الشخصي هو ان الفشل يبدو المصير المحتم لاية محاولة للوصول الى محادثات تؤدي الى اتفاق اذا لم يصدر اعلان مبدأ اسرائيلي حول هذه النقطة » .

لم يكن لونز ليقول هذا الكلام لولا اعتقاده بان استمرار الوضع على ما هو عليه لا يؤدي الى السلام . ولم يقل وزير خارجية هولندا ان العرب يقبلون مبدأ الانسحاب من الاراضي المحتلة ، في نفس الوقت لا يقبلون استمرار البقاء الاسرائيلي في الارض الفلسطينية المغتصبة .

ومما لا شك فيه ان سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركية اثناء جولته في الشرق الاوسط قد حمل معه هذه النتائج بعد ان استمع الى الاراء العربية في المستقبل العربي الاسرائيلي ، لذا لم يكن متفائلا عندما قال: « يجب ان ندرك من الناحية الواقعية ان الخلافات بين الاطراف ما تزال شديدة ، ورغم ان المساعي الرئيسية ستستمر ضمن نطاق محادثات الدول الاربع الكبرى الثنائية والرباعية ، فمن غير المتوقع حل سريع لهذه المشكلة » .

النظـرة الاسرائيلية

ان المسؤولين الاسرائيليين يعرفون ان مستقبلهم رهن بموافقة العرب وليس بموافقة الولايات المتحدة والامبريالية العالمية ، فالزمن الطويل (٥٣ سنة) الذي لم يحل عقدة وجودهم ، لا يمكن ان يكون الضمانة الوحيدة

لاستمرارهم ، حتى الولايات المتحدة التي ضمنت حتى الان وجود اسرائيل ، لا يمكن لها ان تضمن استمرارها ، حيث ان الدعم الاميركي دعـــم مصلحي ليس الا ، ومتى وجدت اميركـــا ان مصالحها لـــم تعد فـــي تأييد البقاء الاسرائيلي فوق ارض فلسطين فان هذا الموقف سينقلب ضدها . وقد عبـــر دايان عن ذلك عندما تحدث عن الروح الانعزالية القوية التي تسيطر علـــى قسم هام من الشعب الاميركي ، كذلك ابدت صحيفة « معاريف » في احدى مقالاتها الرئيسية قلقها من الموقف الاميركي ومـــن « الليونـــة المصلحيـــة » للولايات المتحدة في مستقبل اسرائيـــل ، وقالت الصحيفة الاسرائيليـــة ـ ٢ ك١ ـ ان الاوساط السياسية الاسرائيلية تبدي قلقها من الليونة التـــي تبديها اميركا في ازمة الشرق الاوسط ، وذلك ، ربما ، بسبب خيبة الامـــل التي احدثها تقلص النفوذ الاميركي في المنطقة. واعتبرت ان الموقف الاميركي ما هو الا محاولة لممارسة الضغط على اسرائيل تستخدمها اميركا ضـــد تل ابيـــب .

فاذا كانت مصالح الامبريالية الاميركية غير مهددة حتى الان في الشرق الاوسط ، فان مخاوف الاوساط السياسية الاسرائيلية ليست فـــي محلها ، فالولايات المتحدة تشعر حتى هذه اللحظة ان مصالحها فـــي تأييـــد موقف اسرائيل ، وليس الوقوف الى جانب العرب ، لـــذا فأن مخاوف دايـــان و « صحيفة المعاريف » سابق لاوانه ، ما دام العرب غيـــر مساومين علـــى مستقبل قضيتهم الاولى لتحقيق حدود معينة للمصالح الاميركية في الشرق الاوسط .

وما دامت الولايات المتحدة مقتنعة بتصفية النظام المصري في المنطقة ، فانها مطمئنة الى ان مصالحها المستقبلية ليست الى جانب العرب ، بل الـــى جانب اسرائيل ، وفي الحقيقة ان الوقت الذي يجب ان تشعر فيه اميركا ان مصالحها ليست في تأييدها للوجود الاسرائيلي ، لم يأت بعد ، فان المشكلـــة ستظل قائمة ومستمرة لان المصالح الاميركية فـــي منطقـــة الشرق الاوسط ليست في الصورة التي ترسمها اميركـــا للمستقبل ، خاصة وان القيمـــة العددية والجغرافية في المنطقة تشير الى عكس التصور الاميركي .

المستقبـــل مرهـــون ...

نشرت صحيفة « التايمز » اللندنية فـــي ملحق خاص عـــن الجامعة العربية ، في اوائل نيسان الماضي حديثا لبول مارتن ، مراسلها فـــي الشرق

الاوسط يقول فيه : انه مهما اعتقد العالم الخارجي ، فان العرب يعتقدون انهم يخوضون معركة حياة او موت مع اسرائيل . واضاف : ان البعض كالفدائيين الفلسطينيين والمتطرفين العرب يتحدثون عن حرب تستمر ١٠٠ سنة ، او عن حرب فيتنامية في الشرق الاوسط ، يتصحح فيها الميزان العسكري الحالي غير المتكافىء بين العرب واسرائيل بفضل القوة البشرية .

ومهما كان اتجاه هذا الكلام ، فان مستقبل اسرائيل مواجه اكثر من ذي قبل بالمقاومة التي ظهرت في الوقت الذي رتبته اسرائيل لضرب الانظمة العربية ضربة قاضية ، ومعنى هذا ان ما ارادته اسرائيل من حرب الخامس من حزيران انقلب ضدها ، واوجد جوا اعمق عداء لها من ذي قبل . وقد لمح دافيد بن غوريون في حديث نشر اخيرا لصحيفة « دي فيلت » الالمانية الغربية ، بانه كان يعتقد حين اعلن دولة اسرائيل الى ان السلام سيتحقق لها خلال عشر او خمس عشرة سنة .

وقال انه كان يدرك في ذلك الحين ، ان الحرب حتمية مع العرب ، ولكنه لم يكن يعتقد انها ستستمر طويلا .

هذا الكلام المسؤول يضع امامنا خطا واضحا لمستقبل اسرائيل ، يكفي تحديده ووضوحه على لسان ايبان اولا ثم مايير ثانيا ثم دايان ثالثا وليس اخيرا . لقد كرر ايبان ما قاله اكثر من مرة ، وفي اكثر من عاصمة ، وفي اكثر من مناسبة . قال اخيرا في اوتاوا في منتصف شهر ايار « ان المهم موافقة العرب على المفاوضات » ، فاذا كان هذا كما سبق ان قلنا « ضرب على طبل قديم » فان ايبان يقول « ان كل شيء قابل للمناقشة » ، وهو يتناسى حتما ان القضية الفلسطينية ككل لم تكن قابلة للمناقشة والمجازفة من الجانب العربي طوال (٥٣ سنة) .

من هنا يبدو كل تصريح اسرائيلي حول الموضوع دورانا حول « نقطة فارغة » غير قابلة للمساومة ، ويظل الحديث مجرد سياسة اعلامية ، في نفس الوقت ، هو شعور ضمني بالضيق يعبر عنه المسؤولون الاسرائيليون في كل مناسبة .

على صعيد اخر تبدو الصورة اكثر وضوحا في كلام الدكتور هيرمان كاهن الذي يوصف بانه من ابرز محللي الشؤون الدفاعية في العالم ومن انبياء عصر الدفاع الالكتروني ، والذي يشرف على دراسة ذات طبيعة استراتيجية هدفها تقييم الخطر العربي على اسرائيل في مؤسسة هيدسون. ويقول الدكتور كاهن : ان اسرائيل تشكل جيبا اوروبيا في بحر عربي ،

وستظل اسرائيل بحاجة الى الدعم البشري والمالي من الغرب على وجه العموم ، ومن اليهودية العالمية على وجه الخصوص . وهذا يعني انه اذا استمر الرفض العربي لاسرائيل فستظل دولة بلا جذور في المنطقة ، وبالتالي فانها تحتاج الى العون الخارجي ، وانه اذا ما توقف هذا العون الخارجي ، وكان للعرب قوة عسكرية واقتصادية واجتماعية كبيرة مال الميزان الى جانبهم .

هذا يفسر لنا موقف غولدمان الذي « يتمنى ان يرى اسرائيل جسما في الشرق الاوسط ، محايدا ، ولكن في الوقت نفسه فاتحا ذراعيه لهجرة اليهود اليه » .

السؤال الان : كيف يتمسك العرب برفضهم ؟ وهذا ما يجيب عليه الواقع الذي نعيشه ، ازاء انسان يعجب من تفكك العالم العربي ، واضاعته لفرصة البروز باعتباره دولة في عصر التكتلات . « ولكن ليس من انسان في الوقت نفسه يجهل ما يمكن ان تخلقه نهضة شاملة ، او ثورة ثقافية تهز هذه الكتلة الصخرية الجامدة ، وتقتلع من رؤوسها الاوهام ، وتقذفها الى حيث يقف العصر . لكن جميع هذه القوى والطاقات الكامنة تفقد معناها اذا ما استجاب العرب الى الضغط الاسرائيلي ، وسلموا واعترفوا باسرائيل » .

محاولة كسر الطوق

اذا كان العرب يمثلون اربعين فردا ازاء فرد واحد ، فان اسرائيل التي تحاول قفل كل « طاقة » تهب منها الريح عليها ، تعمل بقوة على جذب اليهود وتوطينهم في فلسطين ، وفي اضعف الحالات الى « امتصاص » التبرعات المادية منهم ، وقد اعلن ارييه دوغلين ، امين صندوق الوكالة اليهودية ، منذ شهور قليلة ان اليهود مطالبون بالمزيد من التبرع لاسرائيل حتى تستمر وتبقى .

ان اسرائيل التي تعمل على اقناع يهود العالم على ان المادة (التبرعات، المساعدات المعنوية والعسكرية) تحفظ وجود اسرائيل ، فان دعاة هذه السياسة مواجهون الان بالحقيقة التي اثبتها الزمن ، وهي ان « المادة » لا يمكن ان تؤمن استمرار اسرائيل مهما كان حجمها ونوعها . فالاحصاءات تشير ، وتؤكد الدلائل التاريخية على انه لو بقي فلسطيني واحد ، لا يؤمن بعنصرية اسرائيل ، فانه سوف يشكل هاجسا على مستقبلها .

لقد قال بن غوريون الذي انسحب من عالم السياسة الاسرائيلية : « ان اسرائيل تستطيع ان تنتصر ، ولكنها تخسر كل شيء مع اول هزيمة . ويستطيع العرب ان ينهزموا، ولكنهم .. يكسبون كل شيء مع اول نصر ».

اما دايان الذي لا يزال في محور السياسة الاسرائيلية فيقول في مجلة « بهامان » التابعة للجيش الاسرائيلي : « دعونا لا نترك الامور تتطور ، بحيث نجد انفسنا يوما من الايام ، او سنة من السنوات وليس معنا غير الطلقة الاخيرة » .

مع ذلك كله مصدر تفاؤلنا بقدراتنا العربية ، اكثر بكثير ، من مصادر التشاؤم الذي تشير اليه الظروف الخاصة والعامة التي تعيشها اسرائيل ، لان كل شيء في النهاية يتوقف على الطاقة العربية ، وعلى الوجود العربي ، وما كان صالحا للخروج منه بنتائج ايجابية في الماضي والحاضر ، قد لا يكون كذلك في المستقبل ، حيث السياسة المعاصرة تتجه الى تحطيم المقاييس ، لا الى تكريسها . والمهم في النهاية نحن ، وليست اسرائيل ، او من معها .

ان صحفيا اميركيا هو بورفيتز يكشف لنا النقاب عن الوضع الحالي في اسرائيل في مقالاته التي كتبها اخيرا في « الواشنطن ايفننغ بوست » فيقول : « ان الشعور بالخوف من المستقبل يتزايد بين المواطنين ، وهذا الشعور مبعثه السياسة التي لا مستقبل لها للدوائر الحاكمة الاسرائيلية » . هذا وحده هو التلخيص الواقعي الان على الاقل لمستقبل اسرائيل ... (1)

---

1 ـ نجيب صالح في الانوار .

٢٢

اميركا لا تشبع من الهزائم

هزائم اميركا

يبدو ان اميركا لا تشبع من الهزائم المتتابعة التي لحقت بها منذ حربها في كوريا حتى هذه الساعة ..

ففي ٢٥ حزيران من سنة ١٩٥٠ هاجمت اميركا بكل ما تملك من القوة والجبروت والعلم شعب كوريا ، وقامت تحاربه بالحديد والنار لتجبره على قبول سياستها والنزول على ارادتها ، فرفض ومضى يقاتل يحارب ويدافع عن استقلاله وحرياته حتى ظفر بها ، وهزم اميركا وكل ما تملكه من وسائل البطش والعدوان ..

ان اي زائر لكوريا ، يستطيع ان يرى بعينيه اثار الوحشية الاميركية ، في الافران التي بناها الجندي الاميركي ليحرق فيها النساء والشيوخ والاطفال .. الافران موجودة قائمة كانها كانت تعمل اول امس . واثار الجثث المحروقة ، موضوعة في المتحف الذي يتوسط المقابر الجماعية التي تضم الاف الجثث .. من فروة رأس الفتاة ، او الطفل ، الى جمجمة الرجل العجوز .. الى الثياب والاحذية ، الصور الناطقة بالعذاب تكاد تسمع منها الصراخ والانين .. وتشم رائحة الاجسام البشرية المحروقة ..

اي شيء صنعه النازي ، لم تصنعه اميركا بالشعب الكوري .. لكي تقهره .. ومع ذلك .. فقد باءت الدولة الكبرى بالهزيمة ، وفي السابع والعشرين ، من شهر تموز عام ١٩٥٣ احتفل الشعب الكوري ، بانتصاره على قوات اميركا التي خرجت من هناك جريحة الكرامة ، تجر اذيال الهزيمة.

كان هذا من عشرين عاما على التحديد .. فكم من المعارك ، او الحروب الصغيرة ، حشدت لها اميركا قواتها وزودتها باحدث طائراتها وافتك

قنابلها .. فيتنام .. لاوس .. كمبوديا .. كوبا .

الحروب متصلة ، واميركا لا تحقق في حرب واحدة منهــا اي انتصار ومجرد صمود هذه الشعوب الصغيرة ، واستمرار قدرتها على قتال هــذه الدولة الكبرى .. سنة بعد سنة ، وفي مكان بعد اخر ، هو في حــد ذاته ، هزيمة ساحقة للدولة الكبرى ، واذلال لكبريائها ، التــي تحاول انقاذهــا بافتعال معارك جديدة وشن حروب جديدة .. ثم لا تخرج الا بنفس النتيجة .. العجز عن تحقيق اي نصر ، بكل ما لديها من سلاح ، وكل ما تنزلق اليه من جرائم التعذيب والقتل الجماعي . والعدوان على النساء والاطفال ..

وليس الشرق الاوسط ، بعيدا عن هذه الصورة وليست هزائم اميركا فيه ، باقل من هزائمها في الشرق الاقصى .. او في اميركا اللاتينية .

نــزول العلــم

في شهر حزيران نزل العلم الاميركي نهائيا عن قاعدة هويلس الجويــة اكبر قاعدة اميركية خارج ارض اميركا .. واحد المرتكزين الاساسيين للقوة والوجود العسكري الاميركي في منطقة الشرق الاوسط ، وحوض البحــر الابيض المتوسط .

الاسطول السادس .. في البحر .. وقاعــدة هويلس الجوية فــي الصحراء الليبية .. قاعدة تدريب قوات حلف الاطلنطي .. وقاعدة تخزيــن الاسلحة والمؤن ، لهذه القوات ، وقاعدة تهديد قوى الثورة العربية .. قاعدة في احسن مناطق العالم مركزا واستعدادا .

وخروج اميركا من هذه القاعدة .. لا يعني انها تستطيع الاستغناء على قاعدة بديلة .. لو كان الامر كذلك لما اعتبرنا خروجها منها هزيمة امام ارادة الشعب الليبي والثورة الليبية .. ولكن اميركا ، منذ ايقنت بقــرب خروجها من القاعدة ، بعد ان فشل ما دبرته من مؤامرات ضد الثــورة الليبيــة .. لا تزال تسعى للحصول على قاعدة بديلة .. تبحث عنهــا فــي ايطاليا .. وتبحث عنها في اسبانيا ، وتدرك تماما ان مساعيها تصطدم بعقبات كثيرة ، وانها ان حصلت على مقر جديد للقاعدة التي طردت منها ، فلن تجد في هذا المقر ، ما كانت تجده في ليبيا ــ قبل الثورة ــ من حرية للعمل، وتوسع في استخدام الارض وفي استخدام السماء ..

ولو كانت اميركا تفكر لحظة ، فيما تجنيه مــن سياستها العدوانية ، وكل ما تجنيه منها كراهية الشعوب .. لكانت جديــرة بان تعتبر .. وان تغير من سياستها .. ولكانت الفرحة الشاملة التي عبر عنها الشعب العربي

في كل مكان .. وفي ليبيا الثائرة بالذات .. لكان كل هذا جديرا ، بأن يكشف امامها حقيقة صورتها القبيحة لدى الشعوب .

ولكن ، اميركا - الدولة الكبرى - لا تشبع من الهزائم ولا تعرف لها طريقا الا الطريق المؤدي الى كراهية الشعوب ..

ان خروج اميركا من قاعدة هويلس هو حلقة جديدة ، وليست اخيرة، من سلسلة هزائمها امام الشعوب العربية الصغيرة ..

فقبل ان تخرج اميركا من قاعدة هويلس .. كان لها سجل طويل من الهزائم ..

حاولت ادخال المنطقة في احلافها العسكرية .. وفشلت ، تحت هجمات الشعب العربي على سياسة الاحلاف ، وكشف ثورة ٢٣ تموز لحقيقة هذه الاحلاف ، ومقاومتها لها على صعيد القومية العربية ..

وعلى الرغم من اميركا ، ولد حلف بغداد ، في حضانة نوري السعيد ، هزيلا ، مفضوحا .. وعلى الرغم من اصرار اميركا على الابقاء عليه ، ومحاولاتها لدعمه ، بالدخول الرسمي في عضويته ، قامت ثورة ١٤ تموز ، لكي تقضي على الحلف ، وتدق المسمار الاخير في نعشه ..

وحاولت اميركا ، ان تستبدل حلف بغداد بمشروع ايزنهاور .. الذي اطلقت عليه اسم مشروع سد الفراغ .. ولكن مشروع ايزنهاور ، ولد ميتا .. ولم يستطع كل النفوذ الاميركي في المنطقة ولا استطاع كل العملاء الاميركيين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط ان يعطوه مبرر الوجود ، ولا حتى المظهر الشكلي الواهي للوجود .

ودعت اميركا عقب تأميم قناة السويس ، الى تكوين جمعية المنتفعين من القناة .. وتبنى دالاس وزير خارجيتها ، كل المشروعات البديلة للشركة المؤممة ، التي كانت تنعقد من اجلها مؤتمرات لندن ، بقصد اضفاء الشرعية باي نوع جديد من القرصنة الدولية ، تريد دول الاستعمار بقيادة اميركا ان تمارسه في قناة السويس ..

ولكن مؤتمرات لندن فشلت .. ومشروعات وزير الخارجية الاميركية ذهبت مع الرياح .. وجمعية المنتفعين لم تستطع ان تقنع ، حتى السفن الانكليزية والاميركية ، بالتعامل معها - وانتصرت مصر والقومية العربية على العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ .. وعادت القناة لاصحابها الشرعيين .. وقاد المرشد المصري سفن اميركا وسفن بريطانيا عبر القناة ، والعلم المصري

مرفوع عليها ، ورسوم المرور مدفوعة للهيئة المصرية المشرفة على القناة ..

ومرت عشرة اعوام ، لم تكف فيها اميركا عن التآمر على الثورة العربية في مصر ..

بجميع الوسائل تآمرت .. بمحاولة الاساءة الى سمعة الاقتصاد المصري تآمرت .. بتجنيد العملاء ، في الداخل والخارج ، وتزويدهم بالمال والسلاح تآمرت .. بمحاولة تجويع الشعب المصري عن طريق منع شحنات القمح اليه تآمرت ..

ولم تنجح لها مؤامرة واحدة .. وانما لحقتها الهزيمة في كل مرة ..

وفي اثناء ذلك تم بناء السد العالي .. وبدأت الثورة الاشتراكية وخطت مصر خطوات بعيدة في التصنيع ، وبدأت ترسي قاعدة الصناعات الثقيلة ..

فهل شبعت اميركا من الهزائم ..

العدوان على العرب

دبرت العدوان الاسرائيلي ٥ حزيران .. وامدت اسرائيل بكل ما يمكن ان تمدها به من معونة ومن سلاح ، ومن خبرات .. وبسطت عليها حمايتها الكاملة ، ضد المجتمع الدولي ممثلا في الجمعية العامة ، وفي مجلس الامن ..

ورغم الهزيمة التي لحقت بالجيوش العربية .. لم تستطع اميركا ، ولا اسرائيل ، ان تحققا الهدف السياسي من المؤامرة الكبرى .. وانما اعيد بناء الجيش المصري ، اقوى كثيرا مما كان واوفر سلاحا ، وبرزت قدراته القتالية ، وانكشف وجه اسرائيل الحقيقي امام العالم ، الذي كانت اميركا بكل وسائلها الاعلامية قد ضللته عن حقيقة اسرائيل .. وكسب الموقف العربي قطاعات كبيرة من الرأي العام العالمي .. وتحول الشعب الفسطيني الذي كان يعيش حياة اللاجئين في الخيام ، الى جيش فلسطيني يعيش حياة المقاتلين في المعسكرات .. واتسعت ارض الثورة العربية ، فشملت السودان ثم انتقلت الى ليبيا . ولقيت اميركا هزيمة مخابراتها في مؤامرتها على ثورة السودان .. ثم اختفى علمها الذي كان يرفرف فوق قاعدة هويلس الجوية .. مسجلا هزيمة جديدة لاميركا .. حلقة في سلسلة الهزائم وليست نهايتها على اي حال ..

هذا هو سجل اميركا في عشرين عاما .. سجلها في اسيا .. وسجلها في اميركا اللاتينية ، وسجلها في افريقيا وفي منطقة الشرق الاوسط العربية ..

وهو سجل كل صفحاته هزائم لاميركا .. وانتصارات للشعوب ..



طلبة الكلية من ابناء مصر وليبيا يحيطون ـ وهم جلوس ـ بالرئيسين عبدالناصر والقذافي للاستماع الى كلمتيهما

ولكن .. هل ستكتفي اميركا بهذا السجل .. هل ستحاول تغيير مسلكها..

ان طريق اميركا لا يزال طويلا امامها .. وهو طريق ، لن تحرز فيه غير الهزائم .. ولن تكسب منه غير احتقار الشعوب ، وكراهية الشعوب .

ومثلما يرضع الاطفال اليوم في كوريا ، وفيتنام ، ولاوس، وكمبوديا ، كراهية الامبريالية الاميركية .. سيرضعها الاطفال في كل مكان من العالم .. وستجني اميركا .. برغم كل ما لديها من قوة ومن سلاح ، ثمار هذه الكراهية .. هزائم لها .. وانتصارات للشعوب ..

هل تشبع ؟

والغريب ان اميركا لا تشبع من الهزائم التي تتعرض لها في كل ارض ومكان ..

لم تترك بلدا عربيا الا حاولت افساده واثارة اهله بعضهم على بعض ، وكان اخر مآثرها ما فعلته في السودان !

فقد اعلن اللواء النميري في حديث نشر بالقاهرة ، عن تشكيل لجان من ممثلي الادارات والهيئات الشعبية لتقصي حقائق المؤامرة والتصدي لكل محاولات التخريب .

وقال : اننا نحس بان دورنا ليس فقط في التضامن مع الثوار في

افريقيا ، بل وايضا في تقديم كل انواع العون حتى تنتصر الشعوب الافريقية انتصارا حقيقيا على قوى الامبريالية والرجعية .

المؤامرات تدبر من الحدود الجنوبية

واضاف : ونحن نشعر باهمية ذلك لان المؤامرات تدبر ضدنا مباشرة من حدودنا الجنوبية . ولم تعد اميركا والمانيا الغربية هما وحدهما اللتان تغذيان المؤامرات فقط ضدنا في الجنوب ، ولكن كذلك اسرائيل التي يقوم ضباطها اليوم بتدريب قوى التمرد وتنظيمهم واحتضانهم .

وذكر اللواء النميري ان تدبير المخابرات الاميركية وكل قواعد الامبريالية العالمية ، كان سافر الوجه في المؤامرة على السودان ، وذلك بجانب تدبير الرجعية السودانية التي تم دحرها وتصفية قلاعها بجزيرة « ابا » . وقد برزت للعالم اجمع بشاعة معالم وتفاصيل المؤامرة والوجوه المشتركة فيها من زعامات حزب الامة العربية المنحل ، وفلول الاخوان المسلمين الارهابيين الخونة ، كما اتضح اشتراك اشخاص اجانب كانوا يداومون على الذهاب من والى جزيرة « ابا » .

ومضى الرئيس النميري قائلا : وكنا نرصد كل هذه التحركات في دقة ، وكان السلاح يتدفق عن الطريق الذي قصده الهادي المهدي عند الهرب ، ومن جهات اخرى كذلك . كما كانت الاموال تتدفق بالمثل . وكان نشاط الهاربين من قصاص الثورة من رجال الحكم البائد خارج البلاد لا يهدأ ، حتى بلغت بهم النذالة حد الاتصال والتنسيق مع شركائهم في الوهم من دعاة الانفصال في الجنوب والذين صور لهم جنون العظمة اقامة حكومة في المنفى . وكان الاتصال جاريا ببعض دول المنطقة التي تعادي انظمة الحكم الثورية التقدمية .

متابعة خطط المتآمرين بدقة

وقال : كل ذلك كان يجري وكنا على علم به خطوة بعد خطوة ، وكانت هذه الاسلحة وتلك الاموال ينقلها عملاؤهم الى داخل البلاد .. فقد زرع في عقولهم وهم كبير بان انتصارهم في اجهاض ثورة الشعب وضرب الجماهير الثورية والاستيلاء على السلطة ، ليس موضع نقاش . لقد اقتنعوا بذلك وبدأوا في دعوة من تبقى من حلفائهم من كبار الاخوان المسلمين بالانضمام

الى باقي زملائهم في جزيرة « ابا » حتى اولئك الذين كانوا خارج البـــلاد ، وبدأت تصل الافواج .

واستطرد الرئيس جعفر النميري قائلا : ولكن خطوات الثـــورة كانت اكبر من ان تلحق بها خطواتهم الخائرة الضعيفة ، حتى جـــاء موعد الزيارة لمحافظة النيل الازرق والتي كان مقررا لها ان تبدأ بمنطقة الفونج ثـــم النيل الازرق . ولكني عدلت البرنامج وقررت ان تبدأ بالنيل الابيض وهنـــا جن جنونهم ، وارسلوا مندوبا منهم يقول ان الهادي لا ينصح بزيارة النيل الابيض في الوقت الحاضر ويرى تأجيل الزيارة ، طبعا كسبا للوقت وبقصد التآمر. فقلت له ، اولا ، انا الذي اقرر لا الهادي المهدي ، فهو فرد واحد من سائـــر الافراد الذين انوي تفقدهم ، ولا وزن له اكبر من ذلك .

دور اسرائيل والمخابرات الاميركية

وقال : وتلت ذلك تحرشات بـــي وصحبي ومحاولة اغتيالي والاعتداء على القوات المسلحة في مطار ربك كلها معروفة . وكانت المؤامرة بـــلا شك تدبير المخابرات الاميركية واعوانهـــا ودور المخابرات والايـــدي الاسرائيلية واضح . فعدد كبير من الذخائر التي استولت عليها قواتنا في جزيرة « ابا » كانت من صنع اسرائيل .

وقال الرئيس جعفر النميري ان المعنى العظيم والبذل الانساني الكبير الذي تنطوي عليه حادثة جزيرة « ابا » هو ان جنود الثورة السودانية قـــد وضعوا بين امرين : اما التصدي لهذه الجزيرة التي بهـــا اباؤهم وامهاتهـــم وبناتهم واولادهم الذين حبسهم الامام الهارب المجرم بداخلها كرهائن حماية له ، واما ان لا ينحازوا الى جانب الثورة والشعب . وكانت اجابتهم الانتصار للثورة فاخذوا اماكنهم الى جانب زملائهم فـــي السلاح ودخلوا الجزيـــرة وحطموا حصون الرجعية .

واختتم الرئيس النميري حديثه بقوله : ان هذا هـــو الوجه الاصيل لسمات واخلاق وشخصية الجندي السوداني الذي نفخر به قبل كل شيء.

٢٣

الحيـــاة في اميركـــا

ادب الفحش والاقذاع في وصف الحياة الاميركية

رأي بعض مشاهير الكتاب فـــي الحياة الاميركية

جيـــل ساخـــط حاقـــد غاضب علــــى الحيـــاة

ســـارتـــر

بلغ (جان بول سارتر) الكاتب الوجودي الفرنسي غاية الاقذاع فـــي تصويره للاميركيين ..

فقال : انهم لا يرقوا الــــى اهون الناس شأنا واخلاقـــا ، لان هؤلاء يستطيعون في بعض الحالات الاحتفاظ ببعض المزايا الفاضلة ، رغـــم الوحل الذي غرقوا فيه لاذانهم ..

واما الاميركان فقد عجزوا عن الاحتفاظ لانفسهم بفضيلة واحدة مـــن الفضائل التي يحتفظ بها هؤلاء القوم المعدمين اخلاقا وخلقا ..

الاميركان امة لا ضمير لها .. امة تكذيب وتزييف وتفتال بل وترتكب ما هو افظع ..

انها لا تطيق ان ترى الاخرين يحيون حياة شريفة فاضلـــة .. لا تطيق ان تراهم يرفضون النزول عند ارادتها ، ويصممون علــــى ان لا يزيفـــوا ولا يكذبوا .. وعلى ان لا يغتالوا احدا .. فتتولى هي بما لها من سلطان وقـــوة

باطشة ـ ارغامهم على ان يرتكبوا كل هذه الدناءات جميعهــا .. ولا يرضون بواحدة ولا باثنتين منها ..

واما (وليم ليدر) صاحب كتاب « شعب مــن الاغنام » فيقــول فــي وصف الاميركيين :

« القرارات الخطيرة التي اتخذتها وتتخذها اميركا في كـــل المشاكل الدولية قائمة على الجهل ، وسوء الفهم ، والعجز الرهيب فــي المعلومات ، يكفي ان نذكر اسماء : لاوس وفورموزا وكوريا وافريقيــا وفيتنام ومحاربة الشيوعية عموما لتعرف اي كارثة يقع فيهــا الشعب الاميركي مــن حين الــى اخــر ..

« والمصيبة ان الشعب الاميركي لا يعرف كل شيء ، بـــل انـــه يصدق ما يقرأ ، والذي يقرؤه ثلاثة ارباعه كذب وتزوير ، فليس في صحافة اميركا كلها الا عشرين بالمائة من الصحفيين يحسون بالمسؤولية ويتحرون الحقيقــة ولا يكذبون .. »

الناظر العابر الى اميركا يحسبها نعيما يرتع سكانها في بحبوحة مــن العيش ، وسعادة ورفاه ، تحسدها عليها جميع امــم العالم ، والاميركيون انفسهم سواء اكانوا يعملون في الحكومة ام في الصحافة ام فــي وسائــل الاعلام يشاركون في نشر هــذه المظاهر الزائفة ، والاخبار الكاذبة والحيــاة البعيدة عن الحق والصدق ..

ففي اميركا ثراء عظيم ، وفيها فقر مدقع ، بل ان فيها جوعا وامراضا، وحياة اجتماعية بائسة فرضت على الملايين من سكانها ، حتـــى اصبحـــوا كالعبيد او اكثر ..

فسيطرة اصحاب الاموال مثلا لا يوجد لها مثيل في انحاء العالم ..

وتأثير صناعات الحرب على الحكومة معروف غير منكور ..

والبؤس الذي يعم ملايين من السكان شيء لا يجهله احــد ، والتمييز العنصري امر اصبح حديث العالم كله ..

وتدخل اميركا في شؤون الدول الاخـــرى ، وفرض سلطانها عليها ، واعتداءها على حرياتها وتأييدها للصهيونية ضد العرب اجمعين ، ومساعدتها لها لكي تنتزع ارضا عربية تستقر فيها ، اصبحت حديث الخاص والعــام ، حتى اصبح الكثيرون يسألون انفسهم ما الذي تريده اميركا من هذا العالم ؟ ولماذا لا تترك الناس وشأنهم ، بل لماذا تتدخل في مصايرهم ومعاشهم ..؟

ان الكتاب الذين حاولوا الكشف عن حقيقة نفس هذا الشعب واسراره

قليلون ، لقد عمد بعضهم الى تمزيق حجب الزيف والخداع .. ورفع الاستار عما خفي وراء هذه المظاهر البراقة من بؤس وشقاء ويأس واستعباد ، وخرجوا جميعا بصورة قاتمة حالكة اجروها في قصصهم وصاغوها في رواياتهم ، بعبارات عنيفة شديدة قاسية لم يبلغ مثلها احد ، حتى لقد فاق بعضهم ادباء الروس في العهد الذي سبق الثورة .. وارتسمت على صفحات كتبهم علامات التشاؤم والزهد في حياة كهذه لا خير فيها ولا عدل ولا رفق ولا احسان ..

موجة العنف هذه والاقذاع في الادب الاميركي اثارت السلطات الاميركية فراحت تحاول وقف هذه الفضائح ، حتى لا تصل الى الخارج ، فتنهار الصورة عن اميركا الحرية واميركا العدل والاحسان .. خصوصا وان هذه القصص القاسية المرعبة في وصفها وفضائحها كانت تلاقي رواجا عظيما ، عند القراء ومخرجي الافلام ، كما كان المترجمون يقبلون على ترجمتها الى اللغات الاجنبية اقبالا شديدا ، بحيث خشيت اميركا على سمعة شعبها وحكومتها ، فمضت تطارد الكتب والكتاب ..

والذين يطالعون الادب الاميركي يعرفون ان روايتين من روايات الكاتب (شتاينبك) وهما (عنب الغضب) و (جرذان وبشر) وفيهما تصوير جاهم مريع للحياة الاميركية في بشاعتها وزيفها ، قد حظر المسؤولون الاميركيون اصدارهما افلاما الى الخارج حتى لا يكذبها الدعاية الكاذبة عن الحياة السعيدة في اميركا ، التي تروج لها افلام اخرى ..

ومثل هذا وقع لبعض قصص (ارنست همنغواي) وللكاتبة الاميركية (كاتلين ونسور) مؤلفة (عبر الى الابد) ..

ولقد اتخذ الجيل الساخط في اميركا اسما جديدا ، فهم قد ضاقوا بالعالم الميكانيكي الذي يعيشون فيه ..

الشبان ضائعون .. لا وقت للاحساس .. ولا مكان للذوق .. كل شيء يجب ان يتم بسرعة وبالضبط داخل قواعد معروفة مقدما ..

ويجب على كل مواطن ان يقف في الطابور .. في الصف .. ان يكون له رقم .. ان يدخل في هيئة .. ان ينتسب الى احد .. ان ينتمي الى منظمة .

فالذي يدرس الفن او الادب ، يجب ان يدرس الحساب والارقام والالة الكاتبة والاختزال على سبيل الاحتياط .. الاحتياط لاي شيء . لانه من الممكن الا يجد عملا بادبه وفنه . ولكن من المؤكد انه سيجد عملا بالحساب



العقيد القذافي يتحدث الى طلبة الكلية الحربية المصرية
بعد ان قدمه الرئيس عبد الناصر الى الطلبة

والارقام والالة الكاتبة ..

المجتمع الاميركي مجتمع تجاري .. المثل الاعلى فيه هو الرجل الناجح .. الرجل الذي ينجح بالمنافسة .. والمنافسة تخلق الغيرة والحقد والحرب .. ولكن من اجل النجاح كل شيء يهون . فالنجاح يطل ومن اي طريق .. والعبرة بالنتيجة . فالبراعة والشطارة تساوي اي شيء . ولكن التأمل والتمهل .. والوقوف ولو قليلا امام اي شيء لمجرد متعة الوقوف .. لا معنى له في اميركا .. فكل شيء في اميركا كبير وكثير وعريض وضخم .. والفرد ضائع .. ضائع .. ولا احد يسأله ولا احد ينتظره .

والقصة التي ترويها سيدة اجنبية من انها سقطت في احد شوارع نيويورك ، فلم تمتد لها يد انسان قصة حقيقية ، فمثل هذه السيدة ملايين من الناس يسقطون في الشوارع وفي المدن وفي الحقول وبين المذاهب السياسية والدينية فلا تمتد لهم يد احد .

اميركا كلها تعيش في اقفاص دقيقة .. ليست من حديد ، ولكن من

زجاج .. ولكنه زجاج شفاف لا ينفذ فيه الرصاص .. هذا القفص الشفاف المتين هو : الادارة او هو النظام الاداري ..

من اجل النظام الاداري للشركات والهيئات يضحي الناس بكل شيء .. بكل قيمة ..

الناس كالقرود التي صورها المؤلف الاميركي « يوجين اونيل » في مسرحية « القرد كثيف الشعر » فهو في هذه المسرحية قد صور لنا عمال الباخرة بسواعدهم الغليظة كالحديد .. ذات الشعر الكثيف مغطاة بالشحم .. انهم بشر حولتهم الالات الى قرود .. يعيشون في قفص من حديد .. هو السفينة .. ومكانهم من هذه السفينة امام الموقد .. والموقد يقع تحت سطح البحر .. اما صاحبة السفينة فانها فتاة بيضاء .. كل شيء فيها ابيض .. اظافرها .. فستانها ، حتى دمها ابيض ..

من اجل هذا « البياض المريض » يتحول الناس الى قردة .. من اجل هذا البياض الهزيل الذي لا يعرفونه ، ولا يشبهونه ، يعيش هؤلاء الناس تماما كالحيوانات ..

وهذا البياض .. هو علامات المرور على الارض .. هو الدرن الابيض .. هو الساعات الموجودة في كل يد وعلى كل حائط .. هو النظام الاداري الذي تفرضه الشركات المتنافسة والمصانع والمضاربات التجارية في المجتمع الاميركي ..

ولذلك ثار هؤلاء الشبان في اميركا .. وكانت ثورتهم .. كثورة الفلاحين على الاقطاع ، كثورة قطاع الطرق على القطارات المحملة بالذهب .

ان ثورة الادباء في اميركا من نوع مختلف عن الادباء في انكلترا .. فهم في اميركا قد اتخذوا شعارا لهم : الرجل ذو العضلات .. او الرجل الحديدي .. ثم راحوا يمزقونه .. انهم صنعوا الشيطان وراحوا يرجمونه بالرصاص ..

هذا « الجيل الصاخب » في اميركا قد ادرك ان العصر الذي يعيش فيه هو عصر العضلات ، عصر البطل الذي صوره الاديب الاميركي (تنسي ويليامز) في مسرحية « عربة اسمها اللذة » فقد صور لنا رجلا تافها ، كل همومه في الحياة ان يأكل ويشرب وان يغار على زوجته .. يشرب البيرة ويلعب القمار ثم يثور على زوجته ويضربها ، وتتعلق به لانها تحبه .. هو يحب تعذيبها ، وهي تحب تعذيبه .. انه انسان تافه كله عضلات .. هذا

الانسان هو : ستانلي كوالسكي ..

وزعيم « الجيل الصاخب » في اميركا هو : جاك كيرواك .. واشهر قصصه هي قصة : (في الطريق) فانت في هذه القصة امام حركة عنيفة وامام اندفاعات مجنونة بالسيارة ومن غير سيارة .. انها صورة من المجتمع الصناعي المجنون ، وصورة من الثورة عليه .. صورة عارية مكشوفة .. واحيانا شائنة .. ولكنها صورة بريشة فنان ولا شك ..

لقد رأيت « الشبان الصاخبين » في اميركا وقد اتخذوا لهم نوادي غريبة .. مظلمة .. في هوليود ، بلاد الضوء الساطع ، وجلسوا على الارض ، وفي احواض المياه ، وراحوا يهذون ويهلوسون .. يمضغون حياتهم في سرحان طويل .. انهم يتوقفون ، وصاروخ المجتمع الاميركي منطلق .. وغايته الكبرى الوحيدة ان ينطلق .. وان يظل منطلقا .. فالذي يتوقف يموت ..

وهؤلاء الشبان يريدون ان يتوقفوا .. وان يتوقف المجتمع معهم .. ان يتساءل ، الا يفكروا في انفسهم ، فما هي قيمة هذه الحياة ؟ وما معنى هذا الامل ؟

ان الشبان الصاخبين ، يصرخون باقلام تطلق النار .. لان احدا لا يدري بهم ، لان احدا لا يعنيه امرهم .. انهم يضربون القيم في الارض ، ويدوسون شعارات المجتمع الاميركي ، ويخلعون احذيتهم ويعلقونها في اعناق رهبان الادب والنشر في اميركا ..

ان هذا الصخب الذي نراه هو فرار من الحياة الآلية .. فهو بحث عن الاثارة ، اثارة انفسهم وغيرهم ..

والادباء الساخطون في انكلترا والادباء الصاخبون في اميركا ، هما ولا شك فرعان جانبيان من الفلسفة الوجودية ..

والذي اثارته الوجودية هو تنبيه الناس الى طبيعة حياتهم ، طبيعة دورهم في هذه الحياة .. الى انهم حقائق ، وليسوا « لا شيء » ضمن حقيقة كبرى .. كما ان الوجودية نبهت في الناس معنى الموت والقلق والفزع والملل والقرف .. طبعا القرف حقيقة تلف حياة كل انسان ، كما كان النور هالة حول رؤوس القديسين .. والهالة الحديثة لكل الناس بعد الحرب العالمية هي : القرف .. فالانسان يشم رائحة كريهة .. رائحة نفسه وغيره.

والانسان يجب الا يبهره كل ما اقامته الحضارة الغربية من عمارات وجسور وقواعد للصواريخ ، وعشرات الالوف من الكتب على كل المشاكل..

هذه الكتب يجب الا تبهره .. ويجب ان يتفادى الانسان هذا « البهر » الضوئي ، لانه يجعل العين غير قادرة على الرؤية .. يجعله اعمى مفتوح العين . والوجودية تريد الا يبهرك شيء .. تريد ان تناقش كل شيء .. ان تناقش حقيقتك قبل ان تأكلك المذاهب الاخرى ، وتضيع حقيقتك ، فحقيقة الانسان ، كل انسان عند الوجوديين ، هو انه : صاحب الحقيقة ..

فالوجودية تطلب منك ان تتوقف لترى ، وان ترى لتفكر ، وان تفكر لتتصرف وتكون مسؤولا عن تصرفك .. فوجودك هو عبء على كتفك ، وهو عبء ثقيل ، يجب ان تحمله وحدك ..

كل شيء حولك لا معنى له .. لا شيء له معنى .. ولكن الانسان هو الذي يضع المعنى لكل شيء حوله .. فالكرسي .. كان من الممكن ان يكون له اي اسم ، ولكن الانسان هو الذي جعل له الاسم والطول والعرض والارتفاع والفائدة .. فالوجود كله لا طعم له ولا لون ولا رائحة .. ولكن الانسان هو الذي اعطاه هذه الخواص .

ومن هنا كانت مهمة الانسان عسيرة .. انه الذي يعطي المتع ، والذي يصدر القانون وهو الذي يضع نهاية للعالم ، ويتخيل النهاية بالشكل الذي يرضي غروره .

ولذلك لم يكن « الجو » الوجودي ورديا .. انه « جو » كله كلام ومعان وفزع ورعب .. فالناس في حالة تفتيش لجيوبهم وعقولهم وقلوبهم وفهم وقياس قدراتهم قبل ان يتقدموا لغيرهم ، للعالم الخارجي ..

الفيلسوف الوجودي كيركجور كان يقول : مهمتي ان اقض مضاجع التواكل في كل عقل ..

الفيلسوف ياسبرز يقول : هناك اناس اختاروا ان يمر عليهم الوجود دون ان يصيبهم بشيء .. فناموا .. اناس اختاروا ان يمروا بالوجود دون ان يصيبهم شيء فاختاروا تعطيل العقل .. اناس اختاروا ان يكون الوجود صادرا عنهم ، كما يصدر الماء عن الينبوع .. لقد عاشوا في قلق مما يفعلون ومما يفعله غيرهم .. هؤلاء هم الذين اعنيهم .. اعنيهم بازعاجي وصراخي ..

الفيلسوف سارتر يقول : لقد كان الفتى الصغير يعمل في احد

المقاهي .. ولم تكن هناك حوادث هامة تربطه بغيره او تميزه عـن احد .. الى ان كان ذلك اليوم عندما شعر بان حياته كلها في خطر .. لقد وضح انه من الممكن ان يموت فورا .. وان يتلاشى كل شيء .. في لحظة واحـــدة احس ان الدنيا كلها تلاشت .. فنيت .. احس بانه فــي دوامة فيكفي ان يهددك بشيء واحد ، لتشعر بان حياتك كلها في خطر .. في خطر اكيد..

هذه المدارس الادبية الثلاث .. تشير الى انه يجب ان يتوقف الناس بعض الوقت وان يغمضوا عيونهم عن العالم الـذي استغرقهم واغرقهم .. وان يفتحوا آذانهم وان يستمعوا في داخلهم الى صوت حقيقي صوت ضاع تلاشى في الزحام .. هذا الصوت هو صوت حقيقتك كانسان .. يجب ان تعرف حقيقتك ، لتعرف كل الحقائق الاخرى ..

اعرف نفسك بنفسك ، تلك العبارة القديمة ، هي احدث مـا اهتدى اليه الانسان ، واصعب ما يطالب به الانسان نفسه ، وغيره ايضا .

٢٤

خصائص الثورة الليبيـــة
مـــن هـــم رجالهـــا

شبـــاب الثـــورة

اذا كانت هناك مـــن قبل سوابق ثورية ، لـــم يعلن فيها عـــن اسمـــاء الثوار ، في بعض الثورات العربية التي غيرت مجرى المنطقة ، الا بعد فترة من الزمان ، فان الثورة الليبية ، لها خصائص قـــد انفردت بهـــا عن باقي الثورات ومنها ان اعضاءها جميعا هم في مطلع الشباب ، ويقطعون علـــى طريق الثورة اخطر المراحل ، التي تعج بفوران الشباب ، وحيويته الدافقة ـ ومع ذلك فان بريق الانتصار ، لـــم يدفعهم الى الشهرة ، بـــل ظلوا فـــي مواقعهم ، يعزفون عن الاضواء ، شأنهم شأن اقل جندي اسهم ولـــو بقـــدر يسير في اعبائها ومسؤولياتها .

ومع مضي هذه المدة التي تقترب مـــن العام ، علـــى قيـــام الثـــورة الليبية ، فان واقع هذه الثورة لا يزال موضع دراسة وتعليقات ، من كبـــار المعلقين السياسيين ، ممن لهم شهرة دولية ، في تحليل الاحداث وتقييمها ، ووضع مقاييس دقيقة لابعادها واثارها ـ ولن تقف الثورة الليبية عند هـــذا الحد ، ولكنها ستشد اليها في كل مناسبة، مزيدا من الدراسات الموضوعية، والتحليلات العميقة . ذلك ان الظروف التي سبقت الاعداد لهذه الثورة ، لم تكن بالظروف العادية ، ولكنها تعتبر فريدة في تاريخ الثورات ، ويكاد يكـــون هناك اجماع ، على ان فرص نجاحها ، كانت مـــن ضروب المستحيلات ، او انها توضع في قائمة المعجزات .

فهذه الجماعة من الضباط الوحدويين الاحرار ، بارادتهـــم المشتعلة ، وبشبابهم المشحون بالحماس والاندفاع كانوا منذ الوقت الذي صنعوا فيـــه

قصة الثورة ، نموذجا لشباب ، يعتبر في ظل الظروف التي يعيشها ، نوعا فريدا من الشباب العربي ـ ذلك انهم جعلوا للعقل الغلبة على العواطف والاندفاع ، ومن بداية تحملهم مسؤولياتهم الثورية ، وضعوا في الاعتبار ثلاثة أمور ، تمسكوا في دقة بمراعاتها ، كعوامل مؤثرة في نجاح الثورة، وهي تشكل في جملتها جزءا من تخطيط عاقل ، لثورة محفوفة بالمكاره والاخطار.

١ ـ فقد راعى الثوار ان يكون كبار العسكريين من ضباط الجيش السابقين موجودين في داخل طرابلس ، وقت اول اشارة لتفجير الثورة ، وذلك لاحكام الرقابة عليهم ، واعتقالهم في الساعات الاولى ، ليعطي ذلك لهم وفرة من الوقت ، يستغلونه فيما تتطلبه الثورة من اجراءات أمن وانجازات.

٢ ـ اختار الثوار ان تكون ساعة التنفيذ ، في وقت يكون فيه الملك بعيدا عن البلاد ، او يكون ـ ان لم يكن في الخارج ـ بعيدا عن بنغازي وطبرق والبيضاء ، وذلك لسد الطريق في وجه المؤامرات المضادة للثورة ، والتي قد تتم بمحاولات استعمارية ، تتحرك باسم الملك لضرب الثورة والثوار .

٣ ـ كان الثوار وهم يوقتون لساعة الصفر ، يضعون في حسابهم ان يكون جميع اعضاء الحكومة الملكية ، او اكثرهم في مكان واحد ، يمكن التحكم فيه ، ومن ثم فانهم جميعا وقعوا في قبضة الثورة خلال الساعات الاولى من قيامها .

ولقد سارت قصة الثورة الليبية ـ من اول دقيقة لقيام اول تنظيم ثوري لها ـ في طريق محفوف بالاخطار ، كان شبابها ، يشكلون جماعة من المؤمنين بالارض العربية وحدها ، وبالوطن العربي الكبير ، كانوا لا يدينون ، بأي مباديء عقائدية او حزبية ، وكانوا يعملون من تحت اسم يمثل حقيقتهم وواقعهم ، وكان ذلك الاسم هو (جماعة الضباط الوحدويين الاحرار) . وكان هذا العنوان الذي يعملون في ظله ، يعني توافر ثلاثة مباديء ، تفرض على كل من يعمل داخل التنظيم الثوري ان يعتنقها ، عن ايمان وممارسة ، وكانت هذه المباديء :

١ ـ الايمان بالدين .
٢ ـ التمسك بالاخلاق .
٣ ـ الايمان بوحدة الامة العربية .

كانت لقاءات الثوار من شباب الضباط الوحدويين الاحرار ، لا تخضع



في جبل الاولياء .. اقبل كثيرون من ابناء المنطقة ، يصافحون عبدالناصر مرحبين بعودته الى المنطقة التي عمل فيها وهو ضابط شاب في العشرين من عمره

لنظام رتيب وكان هذا في حد ذاته امرا مقصودا ، كان قائد الثورة ـ معمر القذافي ـ باعصابه الراسخة ، وبثوريته العاقلة ، يتعمد تغيير اماكن الاجتماعات ، وكان يتفق في الصباح مثلا على ان يكون اللقاء على الغداء ، عند احد الاصدقاء ، او في المساء في احد الاماكن التي لا تثير الشبهة في بعض المعسكرات ، وكان يتفق على ان يكون اللقاء ، في نقط مختلفة متباعدة ، وفي مواعيد متفاوتة ، وعندما تتجمع هذه اللقاءات ، يتحدد مكان التجمع الكامل للتنظيم ، وقد يكون ذلك عند (القذافي) نفسه ، او يكون عند زميل سلاح ، تحت اسم تهنئة بزواج ، او تهنئة بمولود .

وكان تجمع الثوار ، لا يخضع في نظامه ، لبحث معين ، ولكنه كان يبدأ عاديا ، كأي مجلس من مجالس الاصدقاء يبدأ بأحاديث عابرة قد تكون متصلة بالزملاء ، وقد تتناول تعليقا على الاحداث ، او تكون مخصصة لدراسة مقال ، يلتحم في اهدافه ومعانيه ، مع اهداف الثوار ، ومن هنا يكون المنطلق الى الموضوع الاساسي ، لبحث خطوات العمل ، في خطة التنظيم ، ومناقشة الظروف والملابسات والاحتمالات ، وتحليل كل ما يرد على لسان المسؤولين الملكيين .

ولقد ظل الثوار هكذا على نفس الطريق ، من عام ١٩٦٣ ، من وقت ان

اصبح لتشكيلهم الوحدوي بصماته الواضحة الاهداف ، لدى كـل الثوريين من الشباب ، ومن ثم كانت هناك لجنة متابعة ، تسمى (اللجنة التأسيسية) ورئيسها ــ معمر القذافي ــ كانت هي والمفاجآت دائما علـى ميعاد ، وكانت كل مفاجأة ، تعتبر في طريق الثورة ، لغما موقوت التفجير ، وكـــان تفاديه ــ ولو أنه امر محسوب لدى الثوار ــ الا انه كان يهد الاعصاب ، فعند كـل ساعة يتقرر ان تكون ساعة الصفر لتفجير الثورة ، بتدخل القـــدر ليصدر قرارا بالتأجيل . الى ان جاء يوم الفاتح من ايلول موعــدا نهـائيـا لتفجيـر ثورة الاحرار ..

ولقد عجل من اتخاذ هذا اليوم موعـــدا لتفجيـر الثورة ، ان هؤلاء الثوار ، قد اصبحوا تحت مناخ نفسي شديـــد التوتر ، اذ تشبع وجدانهم باحساس الهزيمة ، مع ما وصل اليه استعدادهم الوطني مــن حس قومي ، ملك عليهم كل نظرة للحياة ، واندفعوا الى الثورة بحشد من اسئلة مؤرقة . كان واحدها واهمها : كيف نمسح عار هزيمة الخامس مــن يونيو (حزيران) اذا ظلت ليبيا بعيدة عن المعركة ، وفي عزلة عن المقاتلين .. وتفجرت الثورة، واندفعت بكل قوتها الى التغيير والاصلاح ، بمعنـاه السياسي والاجتماعي وفي مختلف الجبهات ، وحققت من الانجازات الكبرى مـــا لا يتفق وحجـم الوقت القصير .

فقامت (الجمهورية العربية الليبية) كقوة مؤثرة فـي المنطقة العربية ، واعادت الثقة الى نفس الشعب الليبي ليواجه بكـــل انطلاق معارك التحدي ويمضي في طريق التحرير .

وصفت الثورة الليبية القواعد العسكرية البريطانية والاميركية، وكانت السرعة التي اتمت بها هذا الاجراء التاريخي من الامور المذهلة ، التي اعطت المعنى الحقيقي للانسان العربي وللارادة العربية .

واندفعت ليبيا الثورة بطلائعها المتحررة الـــى الالتحام بكـــل قوتها وامكانياتها الى قوة النضال العربي الشامل ، استعدادا للمعركة الفاصلة مع اسرائيل والاستعمار .

٢٥

بعد ثلاث سنوات مــن النكسة ماذا يقولون ونقــول :

نظـرة الـى الماضي

في تلك الايام .. في حزيران ١٩٦٧ ، تحولت جريدة (الاخبار) الى غرفة عمليات كبيرة . فلقد كان على الاعلام ان يدافع ـ مع الجيش ـ عـن الوطن .. في تلك الايام ، لم يحاربنا العدو بالسلاح وحده ، وانمـا انطلق بالهجوم السياسي والاعلامي على نطاق العالم .. وكان علينا ـ بحكم العمل ـ ان نواجه سيل القذائف النفسية من وكالات الانباء والاذاعات .

كان القتال يدور في غير صالحنا .. وكان طعم الهزيمة مرا .. والعدو يضخم ويضيف ويختار الصور والاخبار .. لكـي يجعل المـرارة يأسا .. وكان علينا ان نتجرع كل ذلك قطرة قطرة !

لكم كانت اياما سوداء !.. انني اذكر يوم ٨ حزيران حين تقـرر وقف اطلاق النار ، وكان واضحا ان حجم الهزيمة كبير .. فبكيت !

واذكر يومها انني تركت الجريدة ـ اخر الليل ـ مع الصديق الاستاذ موسى صبري .. كنا في عز الصيف ، ومع هذا كنت ارتعد .. لـم نكن ندري كيف نحلل وماذا نقول ، فتجولنا بلا هدف في شوارع القاهرة وحين تصافحنا لنفترق كنا نقول معا : ولكن الحرب لم تنته .. فمصر لـن تقبل الهزيمة ابدا !

● وفي ٩ حزيران ١٩٦٧ ، كنا في نادي المؤسسة نستمع الـى خطاب عبد الناصر ، كنا جمعا كبيرا يشمل العمال والمحررين ، وحين انتهى الخطاب وجدنا انفسنا في الطريق . تساءلنا ماذا نفعل ، ولكن لم يحدث نقاش ، فقد

هتف احدنا ، فتحولنا الى مظاهرة انطلقت الى شارع الجلاء واتسعت هناك بأناس لا نعرفهم .. وفي شارع رمسيس وجدنا اخرين خرجوا كما خرجنا ، وفي ميدان رمسيس كنا مئات من الالوف لا ادري كيف جاؤوا.. كنا نجري، كنا نصرخ ، كنا نهتف .. ودون ان يتبادل اي انسان مع أي انسان اخر أي كلمة ، كنا جميعا قد اتفقنا على فكرة واحدة هي : اننا لن نسلم ، ولن نسمح بانتكاس الراية الا على اشلائنا جميعا !

الانتصـــار الزائف

وفي الصباح علمنا ان ما فعلناه في اخبار اليوم وفي القاهرة ، قد تـم في كل ارجاء مصر .. بل وفي كل الاقطار العربية .. وهكذا كـان يـوم ٩ حزيران العظيم ، ثم تلاه يوم ١٠ حزيران اكثر اتساعا وشمولا .

● في تلك الايام .. وبين الانخاب ومواكب الرقص لاصدقاء اسرائيل، كان المفكر الاشتراكي ايزاك دويتشر (من اصل يهودي) يقول :

ان هذا الانتصار اسوأ من الهزيمة لاسرائيل .

وكان المليونير الصهيوني روتشيلد يقول انـــه فخور جـــدا بانتصار اسرائيل في الحرب على الصعيد العسكري ، « ولكن هذا الانتصار لم يحـل شيئا حتى الان ، فالشعب في اسرائيل مـــا زال مجندا ويحتمل ان يبقـى هكذا فترة طويلة » .

لقد قال روتشيلد هذا الكلام بعد اسبوع واحد مـن حرب حزيران . ترى كيف يرى الامور الان ؟!

ان الراقصين في مدن اسرائيل ــ فـــي حزيران ١٩٦٧ ــ ترتعـــد فرائصهم الان .

● وفي مناسبة ٥ حزيران ــ اعترفت غولدا مائير بأن اعباء الحـــرب اصبحت باهظة جدا .

● صحيفة هارتس قالت .. بأنهم لـــم يحظوا بالسلام الـذي كانـوا يتوقعونه بعد حرب الايام الستة .

● همشمار كتبت ان الجيش قد انتصر ولكن طريق السلام لم يفتح بعد مرور ثلاث سنوات .

● دفار كتبت في نفس الاتجاه ان كل ما استطاعوا تغييره هـو خطوط

وقف اطلاق النار (هذا اذا كان هناك خط لوقف اطلاق النار) !

ان جيشنا يختلف الان تماما عن جيش ١٩٦٧ ، والثورة الفلسطينية عامل جديد هام ، والقوى العالمية الصديقة اصبحت اكثر حسما الى جانبنا.

واذا كان واجبا ان نشيد هنا بالدعم السوفياتي المتزايد لموقفنا ، فان من واجبنا ـ ايضا ـ ان نكشف الحملة الاسرائيلية المحمومة ، والتي تفسر تغير ميزان القوى ، بالدعم السوفياتي وحده . انهم يتجاهلون الارادة العربية .. والسبب واضح ، وهو اعطاء الولايات المتحدة مبررا لمزيد من التدخل لصالح اسرائيل . ولكن يبدو ان القضية قد وصلت بالولايات المتحدة الى مفترق الطرق فاما ان تحتفظ باسرائيل وتفقد الشرق الاوسط كله .. او تتراجع عن تقديم أي دعم جديد .

ان ارادتنا في تحرير ارضنا لن يقف امامها شيء . وقد اثبتت تحركاتنا العسكرية والدولية ذلك . ومصالح الولايات المتحدة ـ كقوة عالمية كبرى ـ لا تقتصر في منطقتنا على البترول رغم اهميته . فموقفنا الاستراتيجي ، وارتباطه بالامن الاوروبي اكثر اهمية . واذا كان موقف الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل قد اثر على وزنها في الشرق الاوسط والبحر الابيض ، فان مواصلة موقفها الى جانب العدو سيفضي الى نتائج اكثر خطورة ..

ولكن يبدو ان المسؤولين الاميركيين قد قرروا ان يمضوا في المغامرة حتى اخرها !

لقد قال منشور الجيش الاسرائيلي لاهالي جنوب لبنان « من يزرع الشوك لا يحصد العنب .. ومن يشعل النار قد يكتوي بها » !

وهذا كلام لا ينبغي ان يوجه الينا .. فما احرى الولايات المتحدة وحليفتها اسرائيل ، ان تتمعنا فيه !

وبالمناسبة قال لي صحفي اجنبي كان في اسرائيل انه سمع بعض الشباب هناك يعلق على حرب حزيران . قالوا : كانت « انتصارا » رائعا فعلا .. « انتصار » اخر مثله .. والى القبر مباشرة !

٢٦

الشعب والثورة في ليبيـا
كيف تبدلت الامور وتحسنت الاحـوال ؟

قبـل الموعـد

قبل موعد الجلاء نشطت عناصر مدنية مهمة معروفـة بصلاتها الوثيقة بمجلس قيادة الثورة ، لاقامة الندوات السياسية والفكرية فـي المـدن والضواحي والقرى المحيطة بطرابلس وبنغازي . وكان الهدف مـن هـذه الندوات الرد على حملات الحرب النفسية التي تشنها بعض العناصر والقوى المضادة للثورة في الداخـل والخارج ، وتوضيح بعض المبادىء والشعارات السياسية والاقتصادية التي طرحت على صعيد الواقع الليبي بعـد الثورة ، مثل شعارات الوحدة والاشتراكية والتحالف الثلاثي ، ودور الشعب فـي المعركة وطبيعة التحديات التي تواجه الامة العربية في هذه المرحلة والانفتاح على العصر بحقائقه العلمية .

والمتتبع لهذه التحركات يرى انها اتت ببادرة من قيادة الثورة . كمـا يرى ان عناصر مدنية معينة ذات طابع فردي ساهمت فـي هـذا النشاط بشكل محدود فقط . وهذا ما طرح السؤال الذي يتردد الان بقوة متزايـدة وهو : اين التنظيم السياسي ؟ ولماذا لم تبت الثورة بهذه المسألة الحيوية بعد؟

« نـدوة الخميس »

ان الظاهرة الجديدة التي تحظى بالاعجاب حقا ، بدت في بنغازي حيث تقام حاليا ندوة عصر كل خميس يفسح خلالها المجال امـام الجميع لتوجيه

الاسئلة ، مع توفير كامل الضمانات لحرية البحث والمناقشة وتوجيه الاسئلة .

ويدير « ندوة الخميس » هذه ثلاثة اشخاص اولهما عسكري من تنظيم الضباط الوحدويين ، وهو عبد الوهاب الزنتاني ، والشخصان الباقيان مدنيان هما بشير المغربي النائب المعارض السابق ومن اقطاب « جمعية عمر المختار » ، وعبد القادر غوقه .

ويبدو ان هؤلاء مكلفون من قبل مجلس قيادة الثورة بالاجابة على جميع الاسئلة التي تتناول العمل السياسي ومختلف وجوه الحياة في ليبيا .

محاولات القوى المضادة للثورة

وتحاول القوى المضادة للثورة استغلال هذه الندوات بالاتفاق على توجيه اسئلة ترمي الى التشكيك في السياسة الداخلية والخارجية لقادة الثورة .

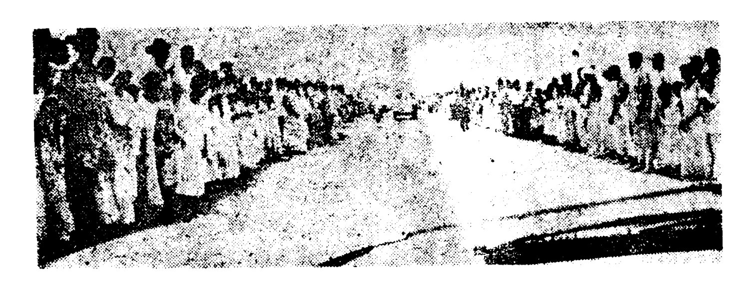
ولكن الاجابات الفورية والصريحة على هذه الاسئلة تحبط اثارها السيئة . وتضم القوى المذكورة فلول « الاخوان المسلمين » وفلول « حزب التحرير الاسلامي » ، بالاضافة الى العناصر الرجعية التي مست مصالحها الخاصة من جراء قيام الثورة .

وتشكل هذه الفئات مجتمعة « المعارضة اليمينية » ، وهي تحاول عن طريق الضغط والتحريض واستغلال الروابط والتقاليد ، الحد من اندفاع الثورة الليبية في الاتجاه الاكثر تقدمية ووحدوية ، وكذلك محاولة اشغال الثورة بقضايا جانبية .

ان المعارضة اليمينية مثلا ، تنكر على الثورة اتجاهها الاشتراكي ، حتى ولو استمد هذا الاتجاه من الاسلام نفسه . وهي تقول في منشوراتها « ليس هناك اشتراكية اسلامية ، وان ربط الاسلام بالاشتراكية ليس الا تكتيكا لتمرير هذا الشعار على الناس » .

المعارضة اليسارية

اما المعارضة اليسارية فانها تقول عن نفس هذه النقطة « هناك



بانتظار عبد الناصر ..

اشتراكية واحدة هي الاشتراكية الماركسية ، وكل ما عدا ذلك تحريف وضلال » .

ويلاحظ ان القوى الحزبية التقدمية شبه مجمدة، وذلك لسببين هما : محاولة تجنب الخلاف مع قيادة الثورة التي ترى انه لم يعد ثمة ما يبرر استمرار الحزبية بعد قيام الثورة ، حفاظا على وحدة الشعب الليبي . وفضلا عن ذلك فان قيادة الثورة ترفع الشعار المشهور الذي يردده العقيد القذافي في خطبه وهو « من تحزب خان » .

والسبب الثاني هو ان قيادة الثورة لا تنظر الى الحزبيين التقدميين نظرتها الى خصم او عدو تتوجس منه خيفة ، وانما تنظر اليهم نظرتها الى رفيق وصديق على طريق واحد ، طريق الثورة التقدمية وقهر الرجعية وتصفية الوجود الامبريالي العسكري والاقتصادي .

عناصر تقدمية

ولقد ترجمت قيادة الثورة هذه الروح عندما اسندت مناصب هامة وحساسة الى عناصر تعاونت في فترة ما قبل الثورة مع الحزبيين التقدميين القدامى . ولكنها حرصت على التعاون معهم على اساس فردي باعتبارهم مواطنين شرفاء تقدميين ، وكأن تنظيماتهم السابقة لم تعد قائمة .

ومن بين هؤلاء الدكتور محمود المغربي رئيس الوزراء السابق ورئيس لجنة اسعار النفط التي شكلت مؤخرا بقرار من مجلس قيادة الثورة ، وعز الدين الفدامي وكيل وزارة المالية ، واحمد رجب فبتور الذي عين قبل فترة وكيلا لوزارة التربية والارشاد القومي وجمعة الفزاني الذي عين مديرا

لدائرة الاعلام ، والمهندس انيس شتيوي الرئيس الحالي للمؤسسة الليبية الوطنية للنفط ، وعمر مصطفى المنتصر نائب المدير العام للمؤسسة الليبية الوطنية للنفط ورئيس اللجنة الاقتصادية في وزارة النفط التي قادت مفاوضات رفع الاسعار مع شركات البترول في مرحلتها الاولى .

ويقال الشيء نفسه عن السيد منصور الكيخيا وكيل وزارة الوحدة والخارجية ، والسيد خليفة الزنتاني عضو لجنة تطهير جهاز وزارة الخارجية، ومحمد العارف اليشتي وكيل وزارة الاقتصاد الذي كان محسوبا على اليساريين والشيوعيين .

وبطبيعة الحال فان تبوؤ هذه العناصر لبعض المراكز الاعلامية والاقتصادية والسياسية ، لا يرضي القوى الرجعية والعميلة . وهذا ما يدفعها الى اعتبار هذه التعيينات بوادر سيئة تجلب الكوارث لها ، وتمنعها من تنفيذ خططها لعرقلة مسيرة الثورة .

المطلوب تنظيم سياسي شعبي

ومع ان القوى المدنية التي تنشط للدفاع عن الثورة كثيرة وقوية ، الا ان جهودها لا تزال مبعثرة ومع ذلك فانها تتمتع بتقدير كبير من قبل الليبيين لاعتبارات عدة ، منها ما يلي :

- ماضي عناصرها في صفوف المعارضة السابقة قبل الثورة ، سواء داخل البرلمان او خارجه . ومن هذه العناصر مثلا مصطفى بن عامر الوزير في اول حكومة بعد الثورة وزعيم « جمعية عمر المختار » ، والشيخ محمود صبحي النائب المعارض السابق والرئيس الحالي للجامعة الاسلامية ، وصالح بويصير وزير الوحدة والخارجية . هذا بالاضافة الى النشاط الحزبي للفئات التقدمية ضد العهد البائد .

- مقاومة هذه العناصر للمعاهدة الليبية ــ البريطانية ، وللمعاهدة الليبية ــ الاميركية وتحديها للفئات المتعاونة مع الاستعمار .

وحتى الان لا تزال ليبيا تفتقر الى تنظيم سياسي شعبي يحل محل التعدد الحزبي . ويبدو ان قيادة الثورة بدأت تفكر جديا في تجميع العناصر التقدمية واليسارية في اطار واحد من العمل السياسي المشروع . ولكن لكي يتم هذا لا بد اولا من الاتفاق على عدة مواضيع هامة وحساسة .

النــدوة الفكريــة

ويبدو ان هذا هو ما دفع مجلس قيادة الثورة الى توجيه نداء للمفكرين والمثقفين الثوريين في ليبيا لحضور ندوة فكرية هامة يشترك فيهـا العقيد معمر القذافي وبعض اعضاء مجلس الثورة . وقد استمرت هذه الندوة التي افتتحت في ٦ ايار عدة ايام وناقشت المواضيع الخمسة الرئيسية التالية :

- تحديد قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة في الثورة .
- التنظيم الشعبي ووعاؤه .
- الوحدة العربية .
- مشكلة الديمقراطية ومرحلة التحول الثوري .
- مسؤولية الحكم في مرحلة الثورة الاجتماعية .

وتأتي هذه الندوة وكأنها تتويج لمرحلة الشهور الماضية من عمر الثورة. وفي هذا المجال يلاحظ ان النشاط السياسي والفكري فـي بنغازي اوسع منه في طرابلس .

وهذا يرجع الى عدة عوامل منها : ان طرابلس تضم عدة جاليات اجنبية بعكس بنغازي . وفضلا عن هذا ، فان المرأة الليبية في بنغازي تتمتع بحرية اوسع . يضاف الى هذا كله ، ان مجالات اللهو في بنغازي اقـل والنوادي الرياضية والثقافية فيها اكثر ، مما يجعل السياسة والنشاط الثقافي المجال المفتوح الرئيسي امام المواطنين .

ثم ان الحاكم العام للمنطقة الشرقية (أي منطقـــة بنغازي) الرائـد مصطفى الخروبي هو من العناصر العسكرية الثورية النشيطة ويتمتع بشعبية كبيرة في بنغازي .

وبالنظر الى كون بنغازي منطقة نشاط واسع لمجلس قيـــادة الثـورة وانصاره ومؤيديه من القوى التقدمية واليسارية ، فانها اصبحت في الوقت نفسه بؤرة نشاط للمخابرات الاجنبية . ولهذا حرص العقيد القذافي على ان تكون لقاءاته فيها مفتوحة . وقد اثبتت هذه اللقاءات ان رصيـــد الثـورة ورصيد مجلس الثورة ما زالا طاغيين ومهيمنين .

محاولة لاستغلال تصريحات القذافي

وبالمناسبة فقد كان لخطب العقيد القذافي من الدوي في الداخل مـــا

كان لها في الخارج ، وخاصة عندما تناول العمل الفدائي باسلوب يغلب عليه طابع النصيحة والنقد .

ولكن يبدو ان البعض اساءوا فهم اقواله هذه . كما حاولت بعض القوى المشبوهة استغلالها بما يؤدي الى ايجاد جفوة وقطيعة بين قيادة الثورة الليبية وبعض اطراف العمل الفدائي الفلسطيني اذ فسر رفض العقيد القذافي لليسار واليمين وللماركسية والرأسمالية ، كما لو كان هجوما سافرا على المنظمات التي تعتنق المبادىء الماركسية .

ولقد كانت محاولات الاستغلال لتصريحات العقيد القذافي في « درنة » ، هي التي دفعته الى التطرق لنفس النقطة في مدينة البيضاء . وقد استقبلت ايضاحاته وتأكيداته الجديدة هناك بالتأييد من قبل الفلسطينيين والليبيين على حد سواء .

وبدا من خلال هذه الايضاحات ان العقيد القذافي اقرب في تفكيره الى « فتح » منه الى اية منظمة اخرى . فهو يرى ان المهم الان رص كل القوى لمعركة التحرير .

ومن جهة اخرى ، قالت الاوساط المطلعة في طرابلس ان الاجتماع الهام للرئيس جمال عبد الناصر والعقيد القذافي واللواء جعفر النميري رئيس مجلس الثورة السوداني ، الذي عقد بالخرطوم في ٢٥ ايار قد تبلغ تنفيذ معظم مقررات المؤتمر الثاني للرؤساء الثلاثة الذي عقد في القاهرة . كما تبلغ ان عمليات التنسيق والتعاون قطعت مراحل عملية هامة .

نشاطات على الصعيد الوحدوي

ويبدو ان الرؤساء الثلاثة يؤمنون بان الوحدة بين اقطارهم تبدأ من القاعدة العريضة . انها تبدأ بالاقتصاد والصناعة والتجارة والثقافة وتنتهي بالوحدة السياسية والدستورية . وقد شهد شهر نيسان الحالي عدة نشاطات على الصعيد الوحدوي بين الدول الثلاث تم خلالها التوقيع على اتفاقيات في مجالات التربية والتعليم والزراعة والنقل والمواصلات والاقتصاد والتجارة والصناعة .

● ففي طرابلس التقى وزراء التربية والتعليم في الاقطار الثلاثة ووضعوا الخطط لتوحيد مناهج التربية والتعليم تحقيقا للوحدة الثقافية .

● وفي الخرطوم التقى وزراء الزراعة في الدول الثلاث لتحقيق التكامل الزراعي .

● وفي القاهرة اجتمع وزراء النقل والمواصلات ، ثم وزراء الاقتصاد في الدول الثلاث وجرى توقيع اتفاق التكامل الاقتصادي .

ولا شك ان هذه العوامل كلها تجعل التحالف الثلاثي القائم بين الانظمة التقدمية في مصر والسودان وليبيا ، ليس مجرد تحالف سياسي ، بل انه يتعدى ذلك الى الاسس البناءة التي ترتكز اليها الوحدة القوية التي تدوم وتشتد وتقوى على مر الايام .

وقد ظهرت في الاونة الاخيرة بوادر سياسية وعسكرية هامة ابرزت القيمة الحقيقية لمعنى التحالف السياسي بين مصر وليبيا والسودان ، وذلك خلال المؤامرة الرجعية الاخيرة التي وقعت في الاراضي السودانية .

فقد ارسلت ليبيا الرائد عبد السلام جلود نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية الى الخرطوم وهو يحمل عرضا بالتدخل العسكري الى جانب الثورة السودانية ضد اعدائها .

وعقب هذا مباشرة اعلن العقيد معمر القذافي ، ان الثورة في ليبيا تضع كل امكاناتها تحت تصرف الثورة السودانية ، وانها لن تسمح بعد اليوم بانتكاس الانظمة الثورية في المنطقة . كما وصل السيد انور السادات الى الخرطوم معلنا دعم الجمهورية العربية المتحدة الكامل للسودان .

وهذا اكد ما تردد سابقا عن وجود ميثاق دفاعي عسكري بين الاقطار الثلاثة ، وهو الامر الذي تم اثناء زيارة الفريق اول محمد فوزي وزير الحربية المصرية ، واللواء خالد حسن عباس وزير الدفاع السوداني ، الى طرابلس الغرب في وقت سابق .

ويجب ان نعيد الى الاذهان هنا ما قاله السيد انور السادات اخيرا في جامعة القاهرة ، من ان الولايات المتحدة الاميركية حرضت اسرائيل على تصفية الاوضاع القائمة في مصر قبل جلاء الاميركيين عن قاعدة « هويليس » في ليبيا .

زيادة اسعار النفط الليبي

وبعد ذلك مباشرة ظهر ان المفاوضات الهادفة الى زيادة اسعار النفط

الليبي قد تعثرت . وقد بدأت هذه المفاوضات منذ نحو شهرين ولكنها لم تسفر عن شيء ملموس بعد ، باستثناء ان شركتي « اسو » و « اوكسدنتال » وافقتا على مبدأ رفع الاسعار . غير ان الرقم الذي حددتاه لا يزال اقل بكثير من السعر الذي تطالب به ليبيا ، بينما كان موقف بقية الشركات سلبيا .

وادى تعثر المفاوضات مع شركات البترول ومحاولات التآمر على الانظمة التقدمية العربية ونشاط القوى الرجعية في المغرب العربي ، ومحاولات التكتل ضد التحالف الثلاثي بين مصر وليبيا والسودان ، الى قيام العقيد القذافي بزيارة سريعة ومفاجئة الى الجزائر .

نجاح زيارة القذافي للجزائر

وقد تردد ان هذه الزيارة نجحت في تحقيق اهدافها ، وهي التالية :

● توحيد موقفي ليبيا والجزائر من شركات البترول ، للبلدين عموما وتبادل الخبراء والمعونة الفنية بينهما ، وتأسيس شركة ليبية ــ جزائرية للتنقيب عن النفط واستخراجه وتكريره وتسويقه .

● اعتراف الجزائر بالتحالف الثلاثي بين مصر وليبيا والسودان ، وعدم معارضته ، بل مساندته .

● كسب الجزائر للتضامن مع الدول التقدمية الثلاث ، مصر والسودان وليبيا ، بدلا من فكرة التحالف الجزائري مع النظامين الحاكمين في المغرب وتونس .

● ان الاتصال الجغرافي القائم بين الجزائر وليبيا معناه الاتصال الارضي الجغرافي بين الجزائر ومصر ، ومن ثم بالجبهة الغربية ضد العدو الاسرائيلي . ولذا جرى حث الجزائر على تقديم المزيد من المساعدات العسكرية لهذه الجبهة التي يزداد النشاط العسكري عليها ويتصاعد باستمرار .

هذا ، وقد شهد شهر نيسان الماضي ايضا مزيدا من الانفتاح الليبي على العالم العربي .

وتجسد ذلك في توقيعها على بعض المعاهدات والاتفاقيات العربية التي امتنع العهد البائد عن التوقيع عليها . كما شرعت ليبيا في عهدها الجديد تساهم في جميع المؤتمرات العربية والاسلامية والافريقية والعالمية

وترفع صوتها عاليا دفاعا عن الحقوق العربية في جميع المنابر الدولية .

وكان اخـــر مـــا شهدناه هــو قيــام العقيــد القذافــي باستدعاء سفير العراق في طرابلس الغرب للاستفسار عـــن الوضع علـــى الحدود الايرانية ـ العراقية ، وابلاغ السفير ان الثورة الليبية تضع كامل ثقلها الــى جانب العراق للتصدي لكل المؤامرات والاعمال العدوانية وسحقها .

وتأتي هذه الخطوة انسجاما مع ما قاله القذافي اكثر من مرة من « ان الثورة في ليبيا لن تسكت بعد اليــوم علــى اي مؤامرة ضد أي نظــام ثوري عربــي » .

٢٧

بعد مقتل الهـادي وفشـل المؤامـرة

كيف كانوا يعيشون

بمقتل الهادي المهدي ، فتحت صفحة جديدة في حياة جزيرة « ابا » ، تلك الجزيرة الوادعة الخضراء في النيل الابيض التـي حولها الهادي الـى ترسانة مسلحة ليحارب بها الثورة السودانية التي رفعت لواء القضاء علـى الطائفية وازالة التخلف وتصفية الفساد والاقطاع ، واعادة العـزة والكرامة للمواطن السوداني .

وكان الهادي يعيش في قصر منيف بهذه الجزيرة التي تبلـغ مساحتها ١٢٠ ميلا مربعا . وحول القصر الذي يطلق عليه اسم « السراي » ، كـان يعيش عشرات من انصاره في اكواخ ومنازل من الطين ، حياة بدائيـة جـدا يفتقرون فيها الى ابسط خدمات الطب والعلاج والتعليم .

ظـل اللـه علـى الارض

ورغم الحالة التي كان يعيش فيها هؤلاء الانصار ، فانهم كانوا ينظرون الى الامام الهادي المهدي نظرتهم الى ظل الله على الارض : طاعته ملزمة وامره مطاع مهما كان هذا الامر ، حتى ولو حملهم الى الموت .

وبالنظر الى هذا الاعتقاد ، فان انصار الهادي كانوا دائما يتجهون الـى قصره للحصول على بركة « سيدي الامام » .. وكان الحصول على «البركة»

في ايام الزيارة يعتبر شرفا كبيرا للانصار المقيمين في الجزيرة او الذين يفدون اليها من المناطق السودانية الاخرى .

وفي « الزيارة » التي كانت تتم خلال عدة ايام في الاسبوع الواحد لتبلغ ذروتها يوم الجمعة قبل وبعد اداء فريضة الصلاة ، كان الالوف من الانصار يحتشدون حول القصر في صفوف طويلة ، فيما يجلس الامام الهادي على كرسي وثير في الصالون لاستقبال اتباعه فردا فردا ومنحهم البركة .

تقبيل اليد ومنح البركة

وعندما كان احدهم يصل الى الصالون الذي يحرسه عدد من كبار الانصار يتولى خلع حذائه قبل دخوله الى الغرفة ، ثم يحبو على الارض حتى مكان جلوس الامام ليقبل يده وهو جاث بين قدميه .. وعندها يضع الهادي يده على رأس الساجي بين قدميه ويباركه .

وبذلك تنتهي الزيارة للمواطن .. ويخرج من الصالون كما دخل والفرحة لا تكاد تسعه .. لقد نال البركة .. بركة « سيدي الامام » .. وهذه بالنسبة له تساوي كل شيء .

الحياة السرية

ولكن فيما كان المواطنون العاديون من الانصار يذهبون ضحية هذا الاعتقاد الساذج بالامام ، كانت لامامهم حياته الاخرى داخل القصر الذي ظل محافظا على اسراره الخاصة لا يبوح بها لاحد ، حتى دخلته القوات السودانية المسلحة ودخله معها فوج من الصحفيين السودانيين والمراسلين الاجانب .

لقد كانت للهادي في هذا القصر حياة اخرى تختلف كل الاختلاف عن حياة التقى والورع التي كان يتظاهر بها امام اتباعه .

فقد كانت اقبية القصر تحتوي على خمور معتقة ، وكانت غرفه تشتمل على عدة الات تسجيل تضم اشرطة مسجلة لاحدث الموسيقى الغربية الصاخبة ، فضلا عن مجلات جنسية فاضحة مثل مجلة « بلاي بوي » ..

لقد استغل الهادي المهدي مكانته الدينية بين عشرات الالوف من السذج والبسطاء ، فعاش للذاته وشهواته فيما كان انصاره يقسمون باسمه

ولا يترددون في اطاعة امره . فالهادي بالنسبة لهم هو كل شيء : الحياة او الموت .

الاحجبة والتمائم

ولعل من ابشع انواع الدجل الذي مارسه الهادي على انصاره ايحاءه لهم بان طلقات الرصاص من اسلحة القوات الحكومية لا تنفذ الى اجسادهم، وان الاحجبة والتمائم التي يربطها الانصار حول الجزء الاعلى من سواعدهم ، تقيهم من الموت .

وعندما اشتد التوتر ، نشط المشعوذون في اعداد الاحجبة والتوائم . ولما قررت حكومة الثورة محاصرة جزيرة « ابا » وزحفت طلائع القوات المسلحة الى مشارف الجزيرة ، كان انصار الهادي المسلحون بالسيوف والرماح يتجمعون حول العربات المصفحة ليشحذوا عليها مديهم واسلحتهم البيضاء وهم يتوعدون الضباط والجنود في داخلها بالموت ، متوهمين لسذاجتهم ان الاحجبة التي يرتدونها ستحميهم .

ولم يكتشف الانصار الخدعة الا بعد فوات الاوان ، وبعد ان سقط العشرات منهم بالرصاص . لقد خدعهم الهادي الذي ضحى بهم تحقيقا لاطماعه ، وعندما دارت عليه الدوائر رفض الاستسلام واثر الفرار مع عدد من اعوانه وفي يده حقيبة جلدية حشاها باربعين الف من الجنيهات .

وقال حاول اجتياز الحدود الى اثيوبيا ولكنه لقي حتفه قبل ان يتمكن من ذلك .

وفي هذه الاثناء كان انصاره المنهزمون يسلمون اسلحتهم الحديثة وهي من صنع اميركي وبريطاني والماني غربي ، بالاضافة الى ذخائر اسرائيلية الصنع .

وثائق مهمة

وبين الاشياء التي عثرت عليها قوات الامن في قصر الهادي ، وثائق وصفها الرائد فاروق عثمان حمد الله عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية بانها في غاية الخطورة . وبينها رسائل تثبت صلة الهادي بدول استعمارية واخرى مجاورة ، فضلا عن رسائل تبادلها مع شخصيات سودانية رجعية مثل الشريف حسين النهدي وزير المالية السابق .

وتكشف احدى هذه الرسائل النقاب عن البلاد التي كان المهدي يقوم بتدريب الانصار فيها على استخدام السلاح لضرب الثورة .

٢٨

جولة النميري قبل المؤامرة في ((ابا))

المرحلـة الاولـى

كانت المرحلة الاولى من جولة اللواءالنميري فيمديرية كردفان بغرب السودان قد تمت قبل زيارته الاخيرة الى القاهرة ، واطلع خلالها علـى مأساة العطش التي يشكو منهـا المواطنون . وعقب عودته الى الخرطوم اتخذ عدة مقررات منها الحملـة العالميـة للقضاء على العطش .

وبدأ اللواء النميري رحلته الجديدة بالعربات مرورا بقرى مديريـة النيل الازرق وسط استقبالات شعبية حافلة . وفي مدينة مدني ، تحدث قائد الثورة الى المواطنين في مهرجان جماهيري وتابع بعده السير الى مديريـة كردفـان .

استغلال الحزبيين لاجهزة الدولة

وقال اللواء النميري في خطاب القاه اثناء هذه الجولة ان الاحزاب التقليديـة وحكوماتهـا كانت ترفض السير في طريق الثورة الاقتصادية والاجتماعية ،وقد كرست جهدها للعمل لمصلحة فئة مـن المنتفعين،مستغلة جهاز الدولة لاثراء هذه القلـة عن طريق تجارة الاستيراد والتصديـر . اما العاملـون المنتجـون فلم يكـن لهم اعتبار في مفهوم الحزبية .

واضاف ان الثورة تتجه الى التصنيع والتقليل من الاستيراد ،والى العمل على تخفيض اسعار السلع الاستهلاكية . واكـد ان تحقيق ذلـك



في مطار الخرطوم اشترك الرئيسان جعفر نميري ومعمر القذافي في وداع الرئيس جمال عبدالناصر عند عودته الى القاهرة وفي الصورة يظهر الرئيس عبدالناصر وهو يشد على يـد العقيد القذافي الذغي امسك يـد الرئيس بكلتـا يديه ومعهمـا اللواء جعفر نميري والسيد حسين الشافعي

يعني الثورة الحقيقية . وثورة الكفاية والعدل . وقال : ان الديمقراطيـة ليست الانتخابات المزيفة والبرلمانات وترك البلاد نهبا للتخلف والانهيار .

واكد اللواء النميري : ان الثورة للجميع ، وهذا هو شعارنـا الـذي رفضناه منذ البدايـة .. انها تتويج لكافة نضالات القطاعات الثورية ضد الرجعيـة والاستعمـار .

وهاجم قائد الثورة بعنف اولئك الذيـن يتاجـرون باسم الدين ويحيكون المؤامرات الرجعية داخل البلاد وخارجها ، واعلن عـن عـزم السلطة على مواجهة هذه المؤامرات بتوجيه ضربات حديدية اليها .

زعماء سابقون على اتصال باسرائيل

واعان قائد الثورة لاول مرة ، ان لدى الحكومة قائمة باسماء بعض السودانيين ، ومنهم من كانوا قادة وزعماء ووزراء ، كانوا على اتصـال مباشر مـع اسرائيل وذهب بعضهم الى تل ابيب . وقال ان لهؤلاء اتصالات مع بعض الافراد داخل السودان ، وان السلطـة تعرف الاسماء والمناطـق

التي يعملون بها ، وستلقي القبض عليهم متلبسين بالجريمة .

واعلن ان السودان سيشهد فضائح كبيرة ، وستعمل الثورة على كشفها للشعب وستقدم له جميع الحقائق والادلة عن هذه الفئة الخائنة.

وكان قائد الثورة وصحبه من اعضاء مجلس الثورة والوزراء ، قد توقفوا في عدد من القرى والمدن بين الخرطوم ومدني . وفي احدى هذه القرى تحدث الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم عضو مجلس الثورة ووزير الحكومة المحلية نيابة عن اللواء النميري ، وطالب الجماهير بالوقوف صفا واحدا امام التحديات التي تواجه الثورة من قبل العناصر الرجعية . وقال ان الوحدة الوطنية يجب ان تتحقق فعلا لا قولا .

وهاجم بعد ذلك التكتلات الصغيرة وقال انها تشكل خطرا حقيقيا على ثورة الشعب لانها تعطي الرجعيين واعداء الثورة فرصة تعميق الخلافات وتشتيت الصفوف .

وتطرق الى سياسة الثورة في المجال العربي فقال : اننا نشق طريقنا الى الشمال لا لتحقيق مصلحة خاصة بل لتحقيق اهداف عامة . وفي سبيل ذلك ندعو للوحدة الداخلية لانه بغيرها لا يمكن تحقيق الوحدة الكبرى التي تنشدها الشعوب العربية .

٢٩

تاميم البنوك والشركات الاجنبية في السودان
تخطيط جديد لعهـد جديـــد

المؤسسات المؤممة ؟

تقسم المؤسسات المؤممة الى قسمين ، يضم الاول منها سبعة بنوك ٥ منها اجنبية ، واثنان عربيان ، وهي :

١ ـ بنك باركليز ويسمى « بنك الدولة للتجارة الخارجية »

٢ ـ بنك ناشونال اند جرندلر « البنك العثماني » سابقا ويسمى « بنك ام درمان الوطني » .

٣ ـ البنك التجاري الاثيوبي ويسمى « بنك جوبا التجاري » .

وسيكون من مهام هذا البنك التخصص في تمويل مشاريع التنمية بالمديريات الجنوبية وتوثيق علاقاتنا الاقتصادية والتجارية مع البلدان الافريقية المجاورة .

٤ ـ البنك العربي ويسمى « بنك البحر الاحمر التجاري » .

٥ ـ بنك مصر ويسمى « بنك الشعب التعاوني » .

وسيقوم هذا البنك بتمويل النشاط التعاوني في جميع المجالات الانتاجية والاستهلاكية وميادين التوزيع وستقوم الدولة بدعمه وتوسيع طاقاته بالشكل الذي يفي بتحقيق الاهاف المحددة له .

٦ ـ بنك النيلين واحتفظ له بنفس الاسم بعد التأميم .

٧ ـ البنك التجاري السوداني واحتفظ له بنفس الاسم بعد التأميم.

ويضم القسم الثاني من المؤسسات المؤممة ، اربع شركات تجارية وصناعية مختلفة هي :

● مجموعة شركات جلاتلي هانكي وشركاهم وسميت مؤسسة مايو التجارية للعاملين « تيمنا بهذا الشهر المبارك وتوجيها لها للعمل بما فيه صالح المواطنين . وسيكون من اهدافها تقديم الخدمات لجميع العاملين في بلادنا وذلك على اساس تجاري وستقوم باستثمار مدخراتهم على وجه يكفل لهم الاستفادة منها . وتحقيقا لهذا الهدف فقد شكل لهذه المؤسسة مجلس ادارة من ذوي الكفاية ويضم ممثلين لفئات العاملين من عمال وزراع وتجار ومثقفين وجنود وعناصر من الرأسمالية الوطنية .

● شركة الصناعات الكيماوية (سودان) وسميت « الشركة الوطنية للكيماويات » .

● مجموعة شركات سودان ميركنتايل وشركات متشل كوتس . وقد تقرر ادماجها في« مؤسسة الدولة للتجارة الخارجية » التي تأسست منذ اشهر تنفيذا لقرارات الثورة الخاصة بتنظيم التجارة الخارجية .

الاسباب الموجبة

وفي عرضه للاسباب التي دعت الى اتخاذ الثورة السودانية لهذه القرارات ، قال الرئيس النميري : لقد اتخذت ثورتكم الظافرة هذه الخطوة الحاسمة بتأميم البنوك المذكورة كاجراء طبيعي اقتضته السياسة الاقتصادية والمالية التي انتهجتها الثورة والقائمة على التخطيط العلمي والتوجيه الاشتراكي . وقد تأكد لنا بالتجربة العملية التي تعلمناها من البلدان التي سبقتنا في السير على طريق البناء الاشتراكي ومن المواجهة التي عاشتها الثورة خلال عام من عمرها ان السيطرة على موارد البلاد الاقتصادية وتوجيه النشاط الاقتصادي على اسس علمية ونهج اشتراكي يستحيل دون ان يكون للدولة السلطة الشاملة على النظام المصرفي والسيطرة الكاملة الفعالة على اوجه نشاطه .

واعتبارا لكل هذه العوامل اتخذ قرار التأميم لتحرير النظام المصرفي في بلادنا من الضغوط الخارجية وما يرتبط بها من نفوذ اجنبي .

دور القطاع الخاص

وقد اخذنا على انفسنا منذ اللحظات الاولى للثورة اتباع سياسة واضحة صريحة وهي تنمية موارد البلاد وحسن استغلالها ورفع مستوى معيشة الشعب ، الامر الذي يستلزم تعبئة كل امكانياتنا وهو ما يحتم ان تتولى الدولة بنفسها قرار تأميم البنوك اننا ننكر على القطاع الخاص دوره في مجتمعنا ، فمجالات عمله كثيرة وما نطلبه منه يشمل افاقا متسعة واكثر من ذلك ، فستكون البنوك هي وسيلتنا للتنمية وتهيئة فرص اكبر لنشاط القطاع الخاص ونمو رأس المال الوطني وهو ما كان يفتقر اليه في الماضي حينما كانت تستفيد من البنوك قلة مشبوهة وكلكم يعرفها ويدرك المآسي التي اوصلت البلاد اليها .

تعديل قانون البنك المركزي

واستكمالا لتنظيم الجهاز المصرفي فقد قررت حكومة الثورة تعديل قانون بنك السودان بما يتناسب والمرحلة التي تواجهها البلاد وصدرت القرارات اللازمة بتشكيل مجلس ادارة لبنك السودان ومجالس ادارات للبنوك المؤممة من عناصر تمتاز بالكفاءة العلمية والنزاهة التامة والعمل الوطني ، واني على ثقة بان الجهاز المصرفي بتكوينه الجديد سيكون قوة فعالة لتحقيق الاهداف التي حددتها الثورة وخاصة فيما يتعلق بالخطة الخمسية .

ولن يضار احد من التأميم فقد قررنا تعويض المساهمين بسندات على الدولة بفائدة قدرها ٤ بالمئة سنويا ، وتتولى الدولة دفع قيمة هذه السندات في مدى خمسة عشر عاما تبدأ بعد عشر سنوات .

وقد راعينا اوضاع المواطنين من صغار المستثمرين وقررنا لهم تيسيرات بالسداد فور تحديد لجان التقسيم لقيمة انصبتهم ، كما سيفتح الباب لهم للمساهمة بهذه الانصبة في مشروعات اقتصادية اخرى

وما اظنكم تجهلون امر بعض الشركات الاجنبية التي لعبت دورا خطيرا في حياة بلادنا الاقتصادية وكانت ادوات للاستغلال الاستعماري ومنافذ للتدخل الاجنبي . ولم يقتصر نشاط هذه الشركات على الميادين الاقتصادية والتجارية فحسب ،بل تعداها الى دعم كيان الرجعية



الشعب السوداني يستقبل زعماءه ..

وحمايـة ظهرهـا بمختلف الوسائل . ولننظر الى مجموعـات شركـات سودان ميركنتايل وجلاتلي هانكي ومستشل كوتس وشركة الصناعـات الكيماويـة التي كانت تسيطر على تجارتنـا الخارجية واحتكرت التعامل التجاري في الصادر والوارد وحددت بذلك امكانيـات توسيع علاقاتنا التجارية مع مختلف البلدان مما كان له رد فعل على التنمية الاقتصادية بل وشل قدرات القطاع الخاص . لهذا لم نجد سبيـلا للعمل على تحرير تجارتنـا الخارجيـة سوى اتخاذ قرار ثوري بتأميم مجموعات تلـك الشركات وتحويلها الى شركات تمتلكهـا الدولة .

النظـام السابـق

وقبل تأميم المصارف الاجنبيـة السودانية ، كـان الجهاز المصرفي السوداني يخضع لقانـون ١٥ – ٤ – ٦٩ الذي احدث تعديلات مختلفة في البنيـة المصرفية ، دون ان يتوصل الى تحقيق الترابط بين القطاع المصرفي وبيـن حاجات التنمية الاقتصاديـة الوطنية ومتطلبات تمويلها.

فقد كـان القانـون السابق ينص على انه لا يجوز القيام باي عمل مصرفي في السودان الا بواسطة شركة . ولا يجوز لايـة شركة القيـام بالاعمال المصرفيـة الا اذا كان لديهـا رخصة ساريـة المفعول يمنحهـا بنك السودان (البنك المركزي) بموافقـة وزيـر الماليـة والاقتصاد . ويتوجب على ايـة شركـة تريـد القيام بالاعمال المصرفيـة في السودان، ان تقدم قبل البدء باي عمل ، طلبـا لبنك السودان لمنحها رخصة بموجب هـذا القانـون .

ويتوجب على كل مصرف ان يكون له في كل الاوقات راس مـــال مساهم به مدفوع بالكامل غير متأثر بالخسارة او بايـة اسباب اخرى ، لا يقل عـن ١،٠٠٠،٠٠٠ (مليون) جنيه سوداني او اكثر من ذلك حسبما يحدده بنك السودان . ويتوجب في كل الاوقات الا تكون نسبة ما يملكه المواطنـون السودانيون او يسيطرون عليه في رأس المال المكتتب فيه لاي مصرف في السودان اقل مـن ٧٥ بالمئة . ويجب ن يحتفظ كل مصرف في السودان برصيـد للاحتياطي وان يحول لهـذا الرصيد مبلغا يساوي ما لا يقل عن ٢٠ بالمئـة من صافي ابرباح كل سنة بعـد خصم الضريبـة وقبل توزيع الارباح الى ان يتساوى مقدار هذا الاحتياطي مع رأس المال المدفوع في ذلك المصرف . كمـا يتوجب على كل مصرف اعداد ميزانية سويـة عن اوضاعـه الماليـة ونشرهـا في الصحف .

ونص القانـون ايضا على انه لا يجوز لاي مصرف ان يمنح اي شخص ايـة سلفيـة او تسهيل ائتماني او يعطي اي ضمان مالي او يتحمـل اي التزام اخر نيابة عن ذلـك الشخص ، بحيث يكون مجموع قيمة السلفيات والتسهيلات الائتمانيـة والضمان المالي والالتزامـات الاخرى حيال ذلك الشخص زائـدا في اي وقت على ٣٠ بالمئـة من جملة رأس المال المساهم به المدفوع بالكامل والاحتياطي المعلن لذلك المصرف . على انه يجوز لبنك السودان رفع هذه النسبة الى ٥٠ بالمئـة في بعض الاحوال . وكذلـك لا يجوز لاي مصرف ان يشتغـل باي شكـل كـان بتجارة الجملة او التجزئة الا اذا كـان ذلـك في سبيـل حصوله على ديـون له مستحقة السداد .

ونص القانـون على انـه يجب ان لا يكـون الحد الادنـى للاصول السائلـة للمصرف في اي وقت من الاوقات ، اقل مـن ٣٠ بالمئـة مـن من التزامـات الاطلاع والالتزامـات لاجـل لكل مصرف .

اسبـاب التاميم

ويجمع الخبراء الاقتصاديـون العرب ، على ان خطوة التأميم التي اقدمت عليهـا حكومة الثورة السودانية عشية الثلاثاء واثنـاء الاحتفـالات الشعبيـة بالعيد الاول لثورة ايـار .. لا تنبع فقط من الرغبة الاساسية في تحقيق مزيـد من الاستقلال الاقتصادي وفي دعم السيطرة الوطنيـة على مرافق تمويل الانمـاء الاقتصادي ومؤسسات الانتاج القومي .. ولا تنبثق فقط من فكر الثورة الاشتراكي ، وانمـا تتصل بعـلاقات السودان

العربيـة وبسياسته الوحدويـة التـي تتجسد حاليـا في النشاط الاقتصادي الوحدوي الذي يضم الاقطار العربية الثلاثة : مصر والسودان وليبيـا . ذلك ان مـن شأن الخطوة الاخيرة ان تزيل الكثير من الحواجز امام مشاريع التكامل والتنسيق الاقتصادي بيـن الاقطار الثلاثـة ، وان تدعم جهود الوحدة الاقتصاديـة التي يسعى اليهـا قادة وشعوب هـذه البلـدان .

وقد جاءت خطوة التأميم في اعقاب سلسلة من التدابير الاقتصادية والماليـة المختلفـة التي رمت حكومة الثورة السودانية من ورائها تحقيق مختلف اهدافهـا المحليـة والقومية .. وهي التدابير التي بـدأت بـرد مشروع التنميـة الخمسي الموضوع ايـام الحكم السابق والذي كـان معـداً وفق اسس لم تعـد قائمة .

العجـز السابـق

فقد اجمع الخبراء الاقتصاديون في السودان على انه لا يسع حكومة الثورة السودانية ان تنفذ المشروع الخمسي المقرر سابقا بعد الذي طرأ على الاقتصاد السوداني سنة ١٩٦٨ ، من عجز جعل الحكومة السابقة ذاتهـا تهمل مخططاتها ومشاريعهـا .

ففي التجارة الخارجية تفاقمت اوضاع السودان في الربع الاول مـن عام ١٩٦٩ حيث تجاوزت قيمة المستوردات قيمة المصدرات .. وسجـل ميزان المدفوعات السوداني عجزا في نهايـة شهر اذار ١٩٦٩ قدره ٣ملايين جنيه ، مقابل فائض قدره ٣،٨ مليون جنيه في نهايـة اذار ١٩٦٨ .

اقتراض فوق الامكانـات

وجدير بالذكر ان الحكومة السودانية اكثرت في السنوات السابقة على الثورة من اقتراض الاموال من الخارج ، حتى تجاوزت ديون السودان في اخر حزيران ١٩٦٩ حوالي ٩٠ مليون جنيه ، وهو رقم ضخم اذا ما قيس بموازنة سنـة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ البالغـة ١٧٠ مليون جنيه .

ومن هنا شعرت حكومة الثورة في السودان انه لا بد لها من ان تسلك سياسـة تقشف اقتصادي، وان تعدل موازنة السنة الحالية ، التي شرعت

فيها بتخفيض عدد موظفي السفارات في الخارج ، وتخفيض رواتب بعض فئات موظفي الدولة ، فحققت بذلك وفرا يزيد على ٤ ملايين جنيه .. وبالمقابل زادت اسعار المحروقات واسعار اصناف مختلفة تدخل في عداد الكماليات وليس لها علاقة بالحاجات الاساسية للشعب .

وفي الوقت الذي اقدمت فيه حكومة الثورة السودانية على هذه الخطوات ، التي حفظت كثيرا من موارد الدولة وزادت قسما اخر من مواردها ووظفته جمعية في حقول الانماء والانتاج .. في نفس الوقت اكد المسؤولون السودانيون ان الثورة لا تفكر مطلقا في زيادة نسبة الضرائب على اجور العمال والمستخدمين ، وانها لم تقدم ابدا على زيادة اي رسم مفروض على المواد الاساسية اللازمة للإستهلاك اليومي . وبذلك حافظت الثورة على هدفها الاساسي ، الذي يتمثل في تقيق التنمية الاقتصادية وزيادة الانتاج الوطني ، وتوزيع اعباء الضرائب حسب مبادىء العدالة الاجتماعية .

كان لقرار تأميم البنوك (المصارف) وبعض الشركات صداه الواسع الكبير في كل مكان .. ومن الصعوبة هنا ان اعبر عن مدى فرحة الشعب وتجاوبه عندما كان يستمع لقائد الثورة الرئيس نميري وهو يعلن هذه القرارات الثورية في خطابه الجامع باستاد الخرطوم لمناسبة العيد الاول لثورة الخامس والعشرين من ايار (مايو) وبحضور الرئيسين جمال عبدالناصر ومعمر القذافي .

وقد جاء قرار التأميم في اعقاب الخطوة بحق بعض الاسر والافراد السودانيين بوضع الحراسة على اموالهم وممتلكاتهم ومصادرة اموال وممتلكات فريق اخر ، والذين وضعت اموالهم وممتلكاتهم تحت الحراسة هم افراد اسرة المهدي واسرة الخليفة التعايش ..

مصادرة قبل التاميم

وقد شملت قرارات المصادرة مجموعة شركات عثمان صالح واولاده وهم من اكثر العاملين في حقل الاقتصاد والتجارة ثروة وجاها .. وقد تولت الثورة بلسان رئيسها اللواء نميري مصادر ممتكلاتهم بعد ان ثبت بالدليل تعاملهم مع الصهاينة ومساعدة اليهود في السودان سابقا لتهريب اموالهم الى الخارج متعاملين بذلك مع حبيب كوهين رئيس الجالية

اليهوديـــة سابقـــا والذي يقيم الان باسرائيل .. وعدد اخر من اليهودالذين سحبت جنسياتهم السودانية والذيـن تمكنوا من الهرب من السودان .

وبجانب ذلك فقد قامت شركـة عثمـان صالح المصادرة دون تعويض بتهريب زهاء المليون جنيه لخمسة مـن اليهـود مقابل عـمولات يحصلون عليهـا مضربيـن بذلك اقتصاديات البلاد .

هذا بالاضافــة للتلاعب في اسعار الصمغ العربي بهدف التهريـب وهذه المؤسسة مؤسسة عثمان صالح واولاده تضم مجموعة شركات تعمـل في الصناعـة حيث تمتلك مصنعا للاحذية ومطاحن دقيق وقشاراتللفول السوداني كمـا تعمل في التجارة بانواعهـا صادرا وواردا وتجارة محلية.. كمـا تملك عقارات عديدة واسهما في الشركات وتكتنز الملايين منالجنيهات

وهكذا ـ وعن طريق هذا القرار الثوري بالتأميم ـ دقت الثورة اخـر مسمار في نعش الاستعمار الحديث الذي عاث فسادا في ارض السودان .. قبل الاستقلال وبعده .. وقد ترك هذا القرار الذي استقبلته الجماهير باستاد الخرطوم وجميع مناطق السودان عن طريق الاثير ـ بحماس بالـغ وتجاوب عظيم ـ ترك هذا القرار صداه في كل الاوساط التي رحبت بـه ابلـغ ترحيـب .

تأييد الغرفــة التجاريــة

فقال السيد عبدالسلام ابو العلا رئيس الغرفة التجارية :

ان القرار يعد من اهم واخطر المقررات التي اعلنتها الثورة وهو قرار طبيعي بالنسبة لاي بلد يعمل بالنظام الاشتراكي .

واستطرد قائلا : ان التأميم يمكـن الحكومة مـن السيطرة علـى الاقتصاد القومي وتوجيهه وبالتالي يمكنها من تطبيقه لتحقيق الاهداف التي ارتبطت والتزمت على تنفيذ برامج الخطة الخمسية .

تاييــد اساتذة الاقتصــاد

وقال البروفيسور عمر محمد عثمان مدير جامعة الخرطوم ورئيس اتحاد الاقتصاديين السودانيين :

ان قرارات التأميم تعتبر نقطة تحول كبيرة في خطة التنمية الاقتصادية وفي اتجاهها واهدافها وتأكيدا لسير الثورة السودانية بما التزمت به في بياناتها الاولى بالسير في طريق التنمية غير الراسمالية كما انها ستكون نهاية للجمود والركود والتخلف الاقتصادي في البلاد .

وقال ان المستثمر الاجنبي لم يكن يهتم باهداف التنمية الاقتصادية بل كان كل همه مصلحته الخاصة التي تتعارض مع مقتضيات التنمية .

وقال ان الاستقلال الاقتصادي يبدأ حتما بالتخلص من سيطرة النفوذ الاجنبي ولذلك جاء قرار تأميم البنوك تحريرا للاقتصاد السوداني لان اعمال تلك البنوك لم تكن استثمارية فقط وانما هي سيطرة على كل جوانب الاقتصاد .

معاضدة المعلمين

وقال السيد عبدالله علي عبدالله رئيس اتحاد المعلمين :

ان قرارات التأميم حققت الكثير من المطالب التي كانت تنادي بها جماهير الشعب وعبدت الطريق امام قافلة الاشتراكية .

.. والاتحاد النسائي

وقالت السيدة فاطمة احمد ابراهيم رئيسة الاتحاد النسائي السوداني ان قرارات التأميم تعتبر نقطة تحول كبيرة في حياتنا نحو الاشتراكية وضربة قاصمة للاستعمار والرجعية وقالت انه لم يكن غريبا ان تتخذ حكومة الثورة هذه القرارات الهامة لانها لم تنتزع السلطة من يدالرجعية الا لمصلحة الشعب وتغيير حياته .

دعم نقابات العمال

وقال السيد الحاج عبدالرحمن الامين العام المساعد لاتحاد نقابات عمال السودان ان الطبقة العاملة لا تؤيد هذه القرارات فحسب بل ستعمل على دعم هذا النظام حتى يقضي على كل الجيوب الاستعمارية وحتى يصبح السودان حرا من كل سيطرة اجنبية ..

٣٠

يــوم مــن ايــام ميــلاد جمــال
يمثل الانسان الكامل كأحسن ما يكون التمثيل

انها قصة مؤثرة متواضعة تدل على الخلق النبيل اشرف دلالة .
القصة كتبها يوسف السباعي الكاتب المعروف لسنوات خلت .

ميلاد الرئيس جمــال :

في مثل هذا اليوم منذ سنوات .. كتبت عن ميلاد الرئيس جمــال .. ولم يكــن احد يعرف ان هذا يوم مولده .. والذين كانــوا يعرفون ، كانوا لا يستطيعون الكتابة .. فقد طلب الرئيس الا ينشر شيء عن عيدميلاده وكانت الصدفة وحدها التي عرفتنــي .

واذكر اني سألت الرئيس قائلا :

ــ بس مش طبيعي ان لا ينشر عن ميلادك شيء .

واذكر انه هز رأسه موافقــا :

ــ يجوز ! لكن اللي مش طبيعي اكثر .. الشيء اللي كنا بنعمله فــي عيــد ميلاد الملك : الاحتفالات والانوار ، والهيصة العجيبة اللي كانــت بتتعمل .. اظن ان احنا نبطلهــا .. والا ايه ؟.

ــ طبعا . .لكن مش لدرجةان الصحف تمنع من انهــا تجيب سيرته .. يعني مش ضروري نبالغ بحيث يبقى عيد ميلادك من الاشياء المحظور ذكرهــا . وضحك الرئيس ثم قــال :

ــ انا عارف ان فيها مبالغة ، لكن لازم اعمل كده عشان اوقف المبالغة

اللي كنـا بنعملها ، وبعد كده نبقى نعمل الحاجة الطبيعية اللي مفروض انها بتنعمل ، واللي الدنيـا كلهـا بتعملهـا .

وآمنت على قوله ..

***

ومع ذلك كتبت ..واذكراني الوحيد الذي استطعت ان اكتب عـن مولد جمال ، فـي ذلـك الوقت .

كتبت اصف عيد مولده الذي اطلعتني عليه الصدفة بعنوان :الرجل الذي لـم يطفىء شموعـا في حياتـه .

« كانت الساعة التاسعـة مساء وكنت في طريقي الى البيت،وعندما بلغت بيت الرئيس جمال عبدالناصر الذي يقع على مسيرة خطوات من بيتي، تبينت انه موجود في الداخل ، فارسلت بطاقتي اطلب لقاءه لادعوه لمشاهدة روايتي (اني راحلة) ، ولاتحدث اليه في بعض الشؤون .

ودخلت لالقاه في احدى حجرات البيت .. واقبل عليّ بقامتـه الطويلـة ، وقد ارتدى (صديري) من الصوف فوق القميص والبنطلون، وشدّ على يدي باسما مرحبا ، وصافحت (علي صبري)، وعرفني هـو بنائب وزير التجارة قائلا : « الاخ ابو نصير .. الاخ يوسف » .

وجلسنا نتحدث .. وسألني مضيفنا ان اشرب شايا او قهوة فاعتذرت وبعد برهة وجدت الخادم يدخل بثلاث صحاف باحداها (بتي فور)والاخرى بضعـة ساندويتشات والثالثة تورتة صغيرة بيضاء .

وتناولت احد الساندونيتشات وبضع قطع من (البتي فور) واخذت اراقب (التورتة) الصغيرة وبنفسي شيء من الدهشة .. حاولت جهدي ان اخفيهـا واخذت اسائـل نفسي عـن سر (البتي فور) (والتورتة) و(الساندويتشات) هل هي احدى المظاهر المحتومة لكرم رؤساء الوزارات؟ ولكني تذكرت اني زرت جمال من قبل ،فلم يقدم لي سوى فنجان قهوة كأي مضيف عادي . وبعد برهة استأذنت في الخروج ، وعند الباب الخارجي التقيت بعلي صبري مدير مكتب الرئيس فصافحته متسائلا في دهشة .

ــ ايه حكاية (التورتة) دى ؟

وضحك علي واجاب :

ــ عشان عيد ميلاد الرئيس .

وكرهت غباوتي .. ولكن (التورتة) كانت صغيرة جدا .. اصغر من التي احتفل بها في عيد ميلاد ابني، والمدعوون كانوا اربعة ، لم تجمعهـم سـوى المصادفـة .

ووجدت ان التورتة قد غررت بي واحسست اني مقصر في تهنئـة



الرئيس عبدالناصر في طريقه الى السيارة مع الثائر القذافي

الرئيس وان مـا تناولته من ساندويتش وبتي فور كان يوجب علي ان اقول له ولـو (كل سنة وانت طيب) على الاقل .

وقلت لعلي صبري مؤنبـا :

ـ طيب يا اخي مش كنت تنبهني عشان اقول للرئيس كل سنة وانت طيب . وعدت ادراجي مرة اخرى ، وطرقت الباب الزجاجي المطل علـى الشرفـة ونهض الرئيس ففتح لي فمددت اليه يدي مصافحاوانا اتمتـم ضاحكـا في شيء من الخجل :

عـذرا :

ـ عذرا ياجمال ... انا ما كنتش اعرف .. كل سنة وانت طيب.
وضحك الرئيس قائلا :

ـ انا كمان ما كنتش اعرف ..(الجيار) هو اللي عملها فيّ .. ولما الولاد جاءوا ينادوني عشان اطفي الشمع قلت لهم انا عمري ما طفيت شمع في حياتي .

وصمت برهة ، ثم اردف قائلا وعلى شفتيه ابتسامة عريضة :

ـ انا النهار ده كمان جبت ولد .. سميته عبدالحكيم ..

وتساءلت في دهشة :

ـ حقيقي ؟. مبروك .

وغادرت بيت الرئيس ، والافكار تتواتر في ذهني وقد ملأني احساس عجيب بالراحة والغبطة ..

لقد احسست ان هذا الحادث البسيط في مظهره يحمل بوادر تغير عميق في حياتنا وتفكيرنا .

انه محو لايات العبودية ومظاهر النفاق .. في مثل هذه المناسبات ... كانت مصر كلها تسخر للاحتفال بعيد ميلاد فرد ..

كانت الانوار تضاء .. والمواكب تسير .

كنا نقول ان نورا شع يوم مولده .. وانه من نسل النبي .

اذا ما قارنا ما كان يحدث فيما مضى (بالتورتة) الصغيرة ،والشموع التي لا يعرف صاحبها كيف يطفئها ..

عرفنا ان تحوّلا عميقا قد حدث في حياتنا .

واذا كان جمال لا يعرف كيف يطفىء الشموع .. فلا شك في انه يعرف كيف يوقدها ..

وختمت مقالي قائلا :

« لقد كتبت مقالي وانا اخشى ان افسد به التواضع الجميل الذي قصدت ان اوضحه ، ولكني كرهت ان اخفي شيئا جميلا اطلعتني عليه مجرد الصدفة ».

وعندما امر بداره كل عام في مثل هذا الموعد .. لا املك نفسي من المقارنة بين ما كنا فيه وما صرنا اليه .. واحس بنفس شعور الراحة والغبطة عندما اجد املا جديدا قد اشرق ، وحلما قد تحقق .. واجدنا في كل عام ، قد حصلنا على مزيد من الانتصارات .

واجده ما زال كما هو . .نفس التواضع.. ونفس الدماثة في الخلق.. ونفس الايمان .. ونفس الهدوء . واجد الرجل الذي اوقد لنا هذه الشموع التي اضاءت حياتنا ومستقبلنا ومنحتنا الحرية والعزة والامل في مستقبل باهر مضيء .. هو .. هو الرجل الذي لم يطفىء شموعا من قبل في حياته ..

٣١

عبدالناصر في التاريخ وكيف هزت مواقفه الاستعمار

ثورة ٢٣ تموز :

لو ان كل ما فعلته ثورة جمال عبدالناصر انها خلعت ملكا لما اشار اليها التاريخ باكثر من سطر او سطرين ،وانما الذي سيحتفل به التاريخ هو اثر هذه الثورة على العالم .. هل هي ثورة عالمية ؟ هل خرجت وراء الحدود ؟ هل استطاعت ان تؤثر في دول اخرى ؟

ومما لا شك فيه ان ثورة ٢٣ تموز فعلت في العالم ما تفعله الحرب العالمية الكبرى . .فلو حدث مثلا ان قامت فيسنة١٩٥٢حرب عالمية ، وخسرتها بريطانيا وفرنسا ، فماذا كان يمكن ان تؤدي اليه اكثر ممافعلته ثورة ٢٣ تموز ؟

اننا ننظر الى خريطة العالم في عام ١٩٥٢ فنجد ان الشرق الاوسط كله تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا ودول الغرب .. اسيا مكبلة بالحديد.. دولافريقيا مستعمرات، تحتلها دول الغرب ، وتستجدي شيئا من الحرية او الحكم الذاتي ، ولا مجيب . .شمال افريقيا كله تحتله الجيوش الاجنبية ... البلاد العربية كلها واقعة تحت النفوذ الاجنبي .

ثم قامت ثورة ٢٣ تموز ، فاذا بها تهز العالم هزا عنيفا .. انهاايقظت النائمين ، وحركت الساكنين ، وانطقت الساكتين ، وحملت الامل للبائسين وبعثت النور الى الشعوب التي تعيش في الظلام .. والذين درسوا ثورة (كاسترو) في كوبا ، يقولون انه تأثر بثورة جمال عبدالناصر ، وانهشعر



الرؤســاء والشعــب ...

بالثقــة عندمــا انتصرت هذه الثورة على العدوان في بور سعيد . وقــد اراد (كاسترو) ان يعمل في اميركا الوسطى وفي اميركا الجنوبية ما فعله عبدالناصر في اسيــا وافريقيا ، ولكنه لم يستطع ان يقضي علــى نفــوذ اميركا . ولعل السبب في هذا انــه لم يتمكــن من التمسك بالحياد الايجابي واضطــر ان ينضم الى احد المعسكرين . ولقد واجه عبدالناصر ظروفــا اقسى من التي واجهها (كاسترو) ومع ذلك رفض ان ينضم الى معسكــر دون معسكر ، واصر ان يحتفظ بحياده الايجابي حتى عندما كانت القنابل تنهال عليه .. ولو ان عبدالناصر فقد استقلاله في هذه اللحظات الحرجة لتراجعت ثورة ٢٣ تموز ، ولما استطاع ان يكــون لهــا هذا التأثير الهائل في افريقيــا واسيا واميركــا الجنوبية نفسها .

اللطمــة الاولــى للعمــلاق :

وعندما أمم (مصدق) البترول في ايران وسقط من الحكم لم تجرؤ اي دولة صغيرة في العالم ان تؤمم اي صناعــة فيها ، ولكن عندما نجــح عبــدالناصر في تأميم القناة ، وصمد لضغط الدول الكبرى ، وعجز مؤتمر لندن عن ان يفرض عليه التراجع ، وفشل العدوان ان يلغــي التأميــم ، تشجعت دول كثيرة في اسيا ان تفعل ما فعله عبدالناصر .

وقد قال (دين اتشيسون) وزير خارجية اميركا السابق ذات مرة: « ان اكبر غلطــة في تاريخ السياســة الغربيــة ان سحبت مساعدة (السد العالي) ووفرت مائة مليون دولار .. ولكنها خسرت ملايين من الدولارات، كما خســرت دول الغرب نفوذهــا الذي مكثت اكثر من مائتي سنة فــي وضــع أسســه » .

والذي فعله عبدالناصر انه اول من تجرأ وضرب العملاق صفعــة،

فسقط على الارض .. وعندئذ تشجعت كل الدول الصغيرة وراحت تضرب العمـلاق وتسترد منه شركاتها ومؤسساتها .

ايدن يقول في ذعــر :

ويقول الوزراء الذين حضروا اجتماع الوزارة الصغيرة في مكتـــب (انطوني ايدن) رئيس الوزارة البريطانية ، وهي الوزارة التي قررت القيام بالعمليات الحربية ضد مصر سنة ١٩٥٦ ، ان (ايدن) قال للوزراء :

« اننا اذا لم نقض على جمال عبدالناصر اليوم ، فاننا لن نستطيع ان نقضي عليه ابدا .. ان كل يوم يمضيه في الحكم يجعلنـا نخسر في العالم كله .. ان وزير المستعمرات يقول : ان نجاح عبدالناصر شجع فجأة الحركات القوميـة ، وجعلهـا تتصور انها قادرة على ان تسحق بريطانيا ! ولو ان عبدالناصر استقل بمصر لمـا كان الخطر كبيرا .. ولكن الخطر هو على كل مصالحنـا في العالم كله . وانني اقول لكم صراحـة ان عبدالناصر اخطر على مصالحنـا من الاتحاد السوفياتي ، وان روسيا لم تسيء الى مصالحنا بقدر مـا يسيء لها عبدالناصر ، ولم تستطع كل جهود روسيـا ان تضعفنا كمـا استطاع ان يفعل بنا جمال عبدالناصر » .

فهرست

مطابع دار الغد ـ شارع سوريـا ـ تلفـون ٢٣٠٥١٢

يصدر قريبا :

الرئيس احمد حسن البكر
زعيم الثورة العراقية ورئيس وزراء العراق
وصف له ولزملائه اعضاء مجلس الثورة
رجال السلام والاتحاد والوحدة

وحدوا الصفوف ، وجمعوا الكلمة ، وعززوا الجيش ، ووطدوا الامن ، وامنوا السبل وزادوا في العمارة والعمران ، والصناعة والتجارة فاصبح العراق في عهدهم ، وعهد بعثهم محط الانظار وقبلة المخلصين المؤمنين ..

من حق كل زعيم عربي مخلص ان نؤرخ له ، ونذيع اخباره ، ونبشر بافعاله ، ونؤكد على مثاليته وما يحاوله من الخير والاحسان للشعب الذي يتولى مسؤولية الحكم فيه ، لتشكره جميع الشعوب العربية التي تعمل جاهدة لتعيد امجادها،وتحرر ارضها من كل طغيان واستعمار واستعباد..

وان بيننا وبين العراق لحديث طويل امتد من عهد الرشيد والمأمون الى ايامنا الحاضرة ، فكم ارخت لخليفة من خلفائه ، وكم كتبت عن اديب بليغ من رجاله ، وشاعر من اعظم شعرائه .. حتى اشرق العهد الجديد فكان حقا علينا ان نكون له من المؤرخين الصادقين ..

الـى قرائنـا
فـي العـراق الشقيق

كتب الينا غير واحد من قرائنا في العراق يسألوننا عن الكتب الجديدة التي صدرت من منشوراتنا .. ما اسماؤها واين هي ، والسبب فيعـدم وصولهـا الى العراق حتى الان ..

وجوابنا على هذا ان تأخر وكيلنا السيد عواد عبـد الكاظـم صاحب مكتبة دار الثقافة في شارع المتنبي بارسال ما وعدنا به ، قد جمد حركتنا بعض الشيء ، فلو تكرم بعض قرائنا واصدقائنا في بغداد ، وتحدثوا الى الاخ عواد ، وحثوه على ارسال مطلوبنا لخدموه وخدمونا ، ولمضينا فـي رسالتنا لاننا في الواقع من المؤلفين ولسنا من التجار المحترفين .. وقـد بلغنا مؤخرا انه سيكون عند وعده لنـا .

وهناك كتب لنا طبعت مؤخرا في بيروت وسمحت بها المراقبة ـ ادامها الله ـ لم يطلبها الاخ ـ عواد ـ حتى الان ولم تكلف احدا بارسالها للعراق، حتى تنتهي من هذه المشكلة التي ارجو ان يعمل الاخ عواد على انهائها باسرع ما يكون ..

***

والواقع ان هذا هو جوابنا لبعض الاصدقاء الذين كتبوا الينا يسألون عن كتبنا الجديدة ..

ان الكتب موجودة ، ولكن الدفع تأخر فتأخر الارسال ، فهـل من صديق مخلص يساعد على دفع العجلة لنكون له من الشاكرين الحامدين ..

منشوراتنا

للتاليف والترجمـة والصحافـة

صدر حديثا من مطبوعاتنـا

١ **ابو نـواس**

لابن منظور صاحب لسان العرب

قدم له واشرف على اصداره عمر ابو النصر

٢ **اللزوميـات**

لابي العلاء المعري

قدم له واشرف على اخراجه عمر ابو النصر

٢ **آثار الجاحظ**

قدّم لها : عمر ابو النصر

٤ **رومـل**

درس في الفن العسكري ومعارك شمالي افريقيا

بقلم : كبار القواد الفربيين

٥ **ملكتان في بغداد**

الخيزران ام هارون الرشيد وزبيدة زوجته للمستشرقة ناديا ابوت

ترجمة : عمـر ابو النصر

٦ **عنترة بن شداد** .. (في مجلدين)

القصة القديمة في ثوب جديد واسلوب حديث دون تبديل ولا تغيير في سيـر الحـوادث

٧ **طبيبك في بيتك**

بقلم : عشرات الاطباء والعلماء الفربيين

محمد يوسف المحويشي

٨ **الاغذية المختارة**
التي تطيل العمر ، وتحفظ الصحة ، وتجلب السعادة
بقلم : جماعة من كبار الاطباء والعلماء الزراعيين .

٩ **المعارك الحاسمة**
في الحرب العالمية الثانية قصة الحرب العالمية ومعاركها الحاسمة
في كتاب واحد

١٠ **الايام الاخيرة لاسرائيل**
وصف الحالة العسكرية والسياسية والدولية في اسرائيل واثرها
على مصائر الصهيونية

١١ **مذكرات ـ زوكوف**
القائد الروسي الكبير الذي انتصر على النازية ودخل برلين مع وصف
للرجال الثلاثة الذين عاصروه وكان لهم اكبر الاثر في سير المعارك
الحرب العالمية الثانية . ستالين .. هتلر .. وتشرشل

١٢ **الهوى والشباب والحضارة**
في عهد الرشيد

١٣ **اسرار المؤامرة**
مؤامرة المشير عامر .. اسرارها واسبابها ومصايرها ، ووصف مثير
لغضبة الشعب العربي في يومي ٩ و١٠ حزيران ١٩٦٧ .

١٤ **الموسوعة الجنسية**
دائرة معارف جنسية تبحث شؤون الجنس واسراره ، ومضاره
ومنافعه للزوج والزوجة والشاب والفتاة والرجل والشيخ .
وصدر من هذه الموسوعة ثلاثة كتب

١٥ **الخوارج في الاسلام**
قصة الجماعة التي حاربت الامويين خمسين سنة،ونادت بالجمهورية
في الاسلام .

١٦ **مع الجيش العربي في صدر الاسلام**
قصة المعارك الاولى في صدر الاسلام

١٧ **رايات الاسلام**

معركة اليرموك التي انتهت بانكسار الروم وانسحابهم من ســورية وفلسطيــن .

١٨ **اشهر الثوار في العالــم**

لينين الى ماوتسي تونغ الى هوشي منه ، ففاندي فنهرو فجمــال عبدالناصر ، فكاسترو فجيفــارا .

١٩ **اسرار اسرائيــل**

خلاصة عشرة كتب كتبت عن اسرائيل

بقلم : جماعة من كبار الكتاب والمعلقين السياسيين

الموسوعة التاريخية في تاريخ الاسلام والعرب

٢٠	معاوية بن ابــي سفيــان	ثمن المجلد ٣٠٠ ق
٢١	عبدالملك بن الملك مروان	« «
٢٢	الايام الاخيرة للدولة الامويــة	« «
٢٣	سيوف اميــة	« «

كل كتاب من هذه الكتب في اكثر من ٣٠٠ صفحــة

تأليف :عمر ابو النصر

٢٤ **حانت ساعة النصر**

قصة الانتصار القريب على اسرائيل وكيف سيكون

٢٥ **الله اكبــر**

وصف لمصارع شهداء العرب في اسرائيل ومدى اجرام هذه الجماعة العنصرية مع السكان العرب في فلسطين

٢٦ **اشهر الروايات الغرامية في العالم**

عنوانها كفيل بتأكيد خطرهــا

٢٧ **الحرب العالمية الاولــى**

الطبعة الثانية كتاب ضخم يقارب الالف صفحة من الحجم الكبيــر ، ومئات الصور . وهو اكمل واتم تاريخ للحرب العالمية الاولى فـــي العربية . لا تزال عندنا بعض المجلدات من هذه المجموعة .

٢٨ **الحرب العالمية الثانيــة**

الطبعة الثانية في اكثر من الف وخمسمائة صفحة ،وفي مجلدين .

٢٩ **(فاطمة) بنت رسول الله صلىالله عليه وسلم**

سلسلة جديدة في تاريخ العرب والاسلام . وكانت باكورة هذهالسلسلة كتاب عن (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . والكتاب لون جديد في التحقيق التاريخي والاعتماد علـى المصادر القديمة ومؤلفات القدامى من المؤرخين . كما انه يناقش المستشرقين في مذاهبهـم وابحاثهم .

٣٠ **اعظم قصة في التاريخ**

سيرة محمد بنعبدالله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في اسلوب جديد وتقسيم وتبويب ووصف حلو مثير .

٣١ **صلاحالدين الايوبي في حطين**

وصف المعارك التي انتهت بانسحاب الصليبيين من الشرق العربي.

٣٢ **زعماء التحرير في الاسلام**

جمالالدين الافغاني ، الشيخ محمد عبده ، محمد بن عبدالوهـاب وصف جديد للمتحررين العظام ، وصورة حلـوة مثيرة لاعمالهم وجهودهم ، وما لاقوه من المتاعب والمشاكل والعقبات فـي تاريـخ النضال والتحرر الاسلامي .

٣٢ **الشجرة المحمدية**

مجموعة تحتوي على عائلة الرسول العربي الكريم صلىالله عليه وسلم من ابويه وعمومته الى اولاده وعماته وزوجاته وخدمه وحشمه وكتابه ومعاونيه وكل من اتصل به وخدمه .

٣٤ **قصة الجاسوسية والمخابرات**

حوادث غريبة ومعارك تجري بين الدول من وراء ستار وفي الخفاء.

٣٥ **فيتنام ومعـارك فيتنـام**

وصف لثورة شعب صغير ضد قوة عاتية .

٣٦ **الشعراء الثـوار**

مختارات من الشعر الثوري العربي لجماعة من كبار الشعراء والثوار. كتاب يحسن بكل ثائر عربي قراءته لما فيه من الاثارة والاندفاع وجمال الشعر وعذوبتـه .

٣٧ **لكي لا تنسوا ايها العرب**

وصف مثير لاعمال العدو الاسرائيلي في الارض المحتلة وكيف يقتل ويسلب ويدمر ويقوض . صفحات يجب على كل عربي ان يقرأها ليعرف مصير من يلهون بحياتهم ، ولا يستعدون للمستقبل ويتحسبون للعدو وجرائمه والاستعمار واغراضه .

٣٨ **المعارك العربية الثلاث**

وصف عسكري للمعارك العربية الثلاث مع اسرائيل سنة ١٩٤٨، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧

٣٩ **ايلي كوهين**

جاسوس اسرائيل في دمشق وكيف افتضح امره وقبض عليه ، وحكم وانتهى امره .

٤٠ **ارسين لوبين**

كتب كبيرة من روايات ارسين لوبين الشهيرة في ٢٥٠ صفحة

٤١ **شرلوك هولمز**

البوليس السري الانكليزي الشهير صدر من هذه المجموعة كتابان

٤٢ **طرزان**

٤٣ **المختار من الادب العربي**

طه حسين ، العقاد ، توفيق الحكيم والمازنى

٤٤ **قلعة الموت .. قصة الحسن بن الصباح ورجاله**

٤٥ **الثورات العربية الثلاث**

عبدالناصر ، النميري ، القذافي

انتظروا صدور كتب جديدة
قريبا ...

محمد يوسف الدريشي

هذا الكتاب

ثورات العرب الثلاث

قصة الثورات الثلاث في مصر ، والسودان ، وليبيا ، التي هزت ارض العرب ..

كيف نشأت ، وظهرت ، وعمرت ، واحسنت وابدعت ، وبدلت دنيا العرب من حال الى حال ..

قصة الرجال الذين باعوا انفساً تموت غداً ، بانفس لا تموت ابداً ..

وتاريخ جماعة فضلوا الموت على حياة الاستعباد والاستغلال.

فخرجوا في ظلام الليل ليقوضوا الفساد ، ويعلنوا اشراق النور وقيام حكم الشعب للشعب ..

قصة ثورات وثوار عرب، يؤكدون ان المستقبل في مقبلات الايام في ارض العرب للعرب، ولن يكون للاغراب والمستغلين والاجانب ..

قصة العراك الرهيب الدائر بين الامة العربية والاستعمار ، والصهيونية هو عراك سوف يهزم فيه الاستعمار والصهيونية ، ويبقى الملك لله الواحـــد القهار .. ومن اختارهم من عباده المخلصين الصالحين ..

الثمن : ٥٠٠ ق. ل